موسوعة

الحسن والحسين

أول موسوعة علمية موثقة عن ريحانتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

أصل الكتاب نسخة ملونة، تحتوي على صور

ووثائق وخرائط وجداول.

وهذه النسخة فقط للتداول على الشبكة العنكبوتية،

لا تغني عن النسخة الملونة

تأليف الدكتور

الشيخ حسن الحسيني

المقـدمة

في سماء أولاد فاطمة الزهراء، سبطي النبي ﷺ وريحانتيه، وحبيبيه وابنيه، السيدين الحسن والحسين ، الإمامين الجليلين، ستكون رحلتنا .. فنلمس في رياضهما الناضرة، وحدائقهما الزاهرة، أحسنَ الأخلاق وأجلَّها، وأمتعها وأزكاها، لذا أدعوا القلوبَ أن تُقبِل ، والعقولَ أن تنتبه، والعيون أن تبصر ، والآذان أن تصغي.

في الصفحات التالية .. سنُبحر مع شخصيَّتين من شخصيات الأمة الإسلامية التي قدّمها محمد ﷺ إلى البشرية، إنّهما الحسن والحسين رضي الله عنهما ، قلوبهم مصابيح الهدى، وسيرتهم معالم الدجى، وفي ذكرهم أنس القلب، وطمأنينة النفوس، ومحبتهم إيمانٌ وصلاح، وبغضهم نفاقٌ واطِّراح . فلنقتبس بعض أنوارهما، ونقتدي بعظيم فعالهما، ونتعرّف على بعض سجاياهما، لتكون لنا نوراً نمشي في دربهما، وقدوة صالحة نسير على نهجهما.

أيها الأحباب .. هلمّوا إلى رياض السبطين نسيح ونسرح، فما أجملها من ذكرى حين نتذاكر سيرة الحسنين، فسيرتهما متعة نلتذ بها، وأسوة نقتدي بها، ورقية نداوي بها أليم قلوبنا، وسقيم عقولنا وأفئدتنا.

فأهلاً بالسيّدين ، ومرحبًا بالحسنين .. ابنا رسول الله ﷺ ..

خادم تراث أهل البيت

الشيخ حسن الحسيني

مملكة البحرين

حبُّ أهل البيت رضي الله عنهم عقيدتي !

أيها الأحبة.. إنّ من أصولِ عقيدة المسلم، محبةَ أهل بيت رسول الله ﷺ ، وتوليّهم وحفظَ وصية رسول الله ﷺ فيهم.

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه ، أنّه قال: «قام رسول الله ﷺ يومًا فينا خطيبًا بماء يُدعى خُما بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكَّر، ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشرٌ يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، **وأنا تاركٌ فيكم ثقلين**:

أولهما : كتابُ الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به، فحثَّ على كتاب الله، ورغَّب فيه، ثم قال: وأهلُ بيتي، أذكِّركم الله في أهل بيتي، أذكِّركم الله في أهل بيتي، أذكِّركم الله في أهل بيتي»[1]

قال العلماء: سمّيا ثقلين لعِظَمهما وكبيرِ شأنِهما، وقيل: لثِقَل العمل بهما[2]، فالرسول ﷺ ذكّر المسلمين بأمرين مهمّين، تركهما وديعةً عند أمته:

الأمر الأول: يقتدى به ويُحكَّم، وهو : (القرآن الكريم)، وهو الصراط المستقيم، الذي أوّله في الدنيا وآخره في الجنة.

والأمر الثاني: يُكرَم ويُحترم، وهو: (أهل بيت النبي ﷺ)، فوجب توقيرهم ومعرفةُ حقوقهم، وعدمُ التعرّض لهم بالسبّ والأذى.

* **أيّها الأحبة**.. إنّ الحديث عن سيرة أهل البيت عليهم السلام ، وبيانِ فضلهم، وتعريفِهم

---

(1) رواه مسلم (2408).

(2) شرح مسلم للنووي (15/ 180) .

للناس بالصورة اللائقة لهم، والدفاعِ عنهم، لمن أبواب الخير التي يتقرب المسلمُ بها إلى ربه ﷻ، وإن من أخص أهل بيت النبي ﷺ ريحانتيه من الدنيا الإمامين الحسنين، السيدين المباركين، الكريمين الطيبين، رفع الله قدرهما، وأحسن درجتهما، وأجزل ثوابهما، وحشرهما مع جدهما .

لماذا الحديثُ عن الحسن والحسين رضي الله عنهما ؟

روى الإمام أحمد في مسنده عن حذيفة رضي الله عنه أنه تَبِع النبي ﷺ بعد صلاة العشاء، قال: « فعرض للنبي ﷺ عارضٌ، فناجاه ثم ذهب، فاتَّبعته، فسمع صوتي، فقال: من هذا؟ فقلت: حذيفة، قال: مالك؟ فحدَّثته بالأمر ... فقال: غفر الله لك ولأمك، ثم قال: أما رأيت العارض الذي عرضَ لي قبيل؟ قلت: بلى، قال: فهو ملكٌ من الملائكة لم يهبط الأرض قبل هذه الليلة، فاستأذن ربه أن يسلِّم علي، ويبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأنَّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنة »[1]، فرضي الله عنهم جميعًا.

شهادةٌ ما أعظمها من شهادة، وتزكيةٌ ما أجلَّها من تزكية، إنها شهادة من خيرِ من وطئ الثرى، رسولِ ربنا الأعلى، الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، والمشهود لهما بهذه المكانة، وعلو المرتبة هما : السبطان الجليلان الحسنان الفاضلان، خير شباب أهل الأرض، كما أنهما سيدا شباب أهل الجنة.

أكرم بفاطمةَ البتولِ وبعلِها	وبمن هما لمحمد سبطان
غصنان أصلهما بروضةِ أحمدٍ	لله دَرُّ الأصلِ والغصنان

إخواني من أين أبدأ؟ هل أبدأ حديثي عن الغصنِ المثمر، والسّبطِ المُقمر، والريحانةِ الأولى، الحسنِ بن عليٍ المرتضى رضي الله عنه ، أم عن من قال فيه عمرو بن العاص رضي الله عنه لما رآه وهو في ظلّ الكعبة جالس: «هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء

(1) أخرجه أحمد (23377) صحيح الجامع (1328) والسلسلة الصحيحة (769)

اليوم»[1] أم بهما معاً؟ فوالله ما طالعت سيرة هؤلاء العظماء، الأئمة النبلاء، فأخطأ الدمع مجراه.

كيف أسرد لكم قصتهما، من أين أبدؤها؟ وكيف أصوغها؟ وبأيّ شعرٍ يستفيض بياني؟ فالكلمات لا تسعفني، والعبارات تخونني، والعبرات تسبقني.

أيها الأحبة... أقدِّمُ رمزين من رموز الشهادة على مرّ تاريخ الإنسان، وعَلَمين من أعلام بيت النبوة الكرام، أقدمهما لكم غضين طريين، وأنا أشعر بالحرج؛ لأنني مهما قلت، ومهما ذكرت، ومهما عبرت، فسوف أقصّر في سيرتهما وترجمتهما، فإن سيرتهما العبقة حياة لضمير الأجيال، بل هي آمال في زمن الآلام، فسيرتهما شعاع وقاد، منها نستمد القوة والعتاد، والصبر على مُر الزمان، إنهما في الحقيقة رمزان من رموز الإسلام، تفتخر بهما الأمة على الأنام.

فمن ههنا.. السلام عليكما أيها السبطان، وبيننا وبينكما أربعة عشر قرناً، السلام عليكما يوم ولدتما، ويوم متما، ويوم تبعثان حيين.

عليكم سلامُ الله وقفًا فإنني رأيت الكريم الحرَّ ليس له عُمْر
ثوى طاهر الأردان لم تبْقَ بقعةٌ غداة ثوى إلا اشتهت أنها قبرُ

أيها الأحباب ..

إذا لم نخرج بالحسنين أمام العالَم، فبمن نخرج؟ ما النموذج الذي نُقدمه إذا لم نُقدّم أمثال هؤلاء الأبطال؟ فمن مدرسة النبوة تخرّج الإمامان الحسنان ابنا علي رضي الله عنهما، ليكونا تلميذين من تلاميذها العظام، وأثرين لتلك المدرسة التي ولَّدت

(1) أورده الذهبي في السير (3/ 285).

النجباء، وخرج منها الفاتحون والعلماء، وانبثق منها من أنقذ العالم من الغثائية والانطواء، إنها في الحق مدرسةٌ فريدةٌ من نوعها، وحيدةٌ في جنسها، وطيدةٌ في ركنها، عاليةٌ معالمها، شامخٌ بنيانها، على أسس ثابتة راسية .

الباب الأول :

قبل ميلاد الحسن والحسين رضي الله عنهما

سنتحدث بين يدي حديثنا عن الحسنين عن أسرتهما التي نشآ فيها، ونبدأ بالحديث عن زواج عليٍّ بفاطمة رضي الله عنهما .

زواج علي بفاطمة رضي الله عنهما :

المجد يشرق من ثلاث مطالع ... في مهد فاطمة فما أعلاها

هي بنت من هي زوج من هي أم من ... من ذا يدان في الفخار أباها

هي ومضة من عين طه المصطفى ... هادي الشعوب إذا تروم هداها

هي أسوة للأمهات وقدوة ... يترسم القمر المنير خطاها

فاطمة الزّهراء .. السيدة البتول، البضعة الشبيهة بالرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم ، أم السبطين، أم الحسنين، أم الريحانتين، التي كانت عن الدنيا ومتعتها عازفة، وبغوامض عيوب الدنيا وآفاتها عارفة.

أتدرون من تزوَّجها؟ أتعلمون لمن أنكحها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ إنها تزوجت أحب أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليه من الرجال،كما كانت هي من أفضل أهل بيته من النساء، وأحب بناته إلى فؤاده رضي الله عنها ، فالتقى الخيران، واجتمع القمران، فكانت الثمرة أنهما أصبحا آباء الأشراف، وأصل السادة، ومنبع الكرم والرفادة.

قال عكرمة: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لها: «يا فاطمة، إني ما آليتُ أن أنكحتك خير

أهلي»[1].

الزّمان والمكان :

كان زواج الخيرين الفاضلين أبوي الإمامين الحسنين رضي الله عنهم أجمعين، بعد وقعة بدر في شهر رجب سنة اثنتين للهجرة ، في مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان عُمْر فاطمة رضي الله عنها يوم بنى بها عليٌّ : ثماني عشر- سنة [2]، وعُمر عليٍّ رضي الله عنه : خمسًا وعشر-ين سنة [3].فولدت له أئمة الهدى، وسادة الورى: الحسن، والحسين، وأمّ كلثوم، وزينب، ومحسِّن. فما قصّة هذا الزّواج ؟

خطبة فاطمة رضي الله عنها :

تعالوا معنا أيها الأحباب، نخترق العصور بسرعة، راجعين إلى الوراء، ونتجاوز القرون، ثمّ نأتي لنقف عند باب تلك الغرفة، وتلك الحجرة الصغيرة، حجرة علي رضي الله عنه ، وعلي جالس يفكّر في الزواج، ممّن؟ من ابنة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة الزهراء، لكنه يستحي أن يكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك ! وكيف لا يستحي ووالدها هو النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم !

فقام إليه الصَّحابة ورغّباه في ذلك الزواج، وشجّعاه على التقدّم لخطبة فاطمة رضي الله عنها ، عن بريدة رضي الله عنه قال : قال نفرٌ من الأنصار لعليٍّ : عندك فاطمة ؟ فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسلَّم عليه، فقال : ما حاجة ابنِ أبي طالب ؟ فقال عليٌّ رضي الله عنه : يا رسول الله ذكرتُ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : مرحبًا وأهلاً ، لم يزد عليهما ! فخرج علي

---

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد (8/ 24).

(2) الإصابة لابن حجر (8/ 264).

(3) الإصابة لابن حجر (4/ 464).

بن أبي طالب على أولئك الرَّهط من الأنصار ينتظرونه ، قالوا : ما وراءك ؟ قال : ما أدري غير أنه قال لي : مرحبًا وأهلاً ، فقالوا : يكفيك من رسول الله ﷺ إحداهما ، أعطاكَ الأهل أعطاكَ المرحَب) [1].

وفي روايةٍ جاء تعيين أسماء من أشاروا على عليٍّ بالزواج من فاطمة ، وهم : أبو بكر الصدِّيق ، وعمر الفاروق ، وسعد بن معاذ [2]. إنهم بحقٍّ أنصح أمة محمد ﷺ لها، وأرأفهم بها، وأحبُّ الناس لآل البيت عليهم سحائب الرضوان، كيف لا وأبو بكر رضي الله عنه كان يقول: «والله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي»[3].

مهر فاطمة رضي الله عنها :

مـن مثـل فاطمـة الزهـراء في نسـب	وفي فخار وفي فضل وفي حسب
والله فضَّـلها حقـا وشرفـها	إذ كانت ابنة خير العجْم والعرب

أما مهر سيدة نساء العالمين، وبنت خير الناس طراً أجمعين، هذه اللؤلؤة المصونة، السيدة الرصينة، التي بلغت من الكمال غاية، ومن الحسب النهاية، كان مهرها قيمة درع علي بن أبي طالب الحطميّة، وقد وهبها عثمان بن عفّان مع قيمتها لعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم .

عن ابن عباس أنَّ عليًّا قال : « تزوّجت فاطمة رضي الله عنها فقلتُ : يا رسول الله ابنِ بي

---

(1) رواه ابن سعد في الطبقات (8/ 21) والطبراني في الكبير بسندٍ حسن. آداب الزّفاف للألباني ص 101 .

(2) المعجم الكبير للطبراني (22/ 408) . ومن كتب الشيعة : الأمالي لشيخ الطائفة الطوسي (1/ 38) ، وبحار الأنوار (1/ 37) .

(3) صحيح البخاري (3508) مسلم (1759).

، قال : أعطِها شيئًا ، قلت : ما عندي من شيءٍ ! قال : فأين درعكَ الحطميَّة ؟ قلت : هي عندي قال : فأعطِها إيّاه » [1].

ثمَّ إنَّ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه باع درعه الحطميّة على عثمان بن عفان رضي الله عنه بأربعمائة مائة وثمانين درهمًا ، ثم إنَّ عثمان ردَّ الدرع إلى عليٍّ هديةً منه لزواجه ، فجاء عليٌّ بالدرع والدَّراهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فدعا الرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم لعثمان بدعواتٍ [2].

هكذا كان الصحابة رضي الله عنهم .. أعانوا أخاهم عليًّا على تحمّل المؤونة المالية للزواج، ، يبثون بينهم روح المحبة، ويحيون في أوساطهم معنى الرَّحمة، وهذا كله دليل الأخوة الإيمانية الخالصة بينهم رضي الله عنهم ، والتي انعكست على حياة السبطين الحسنين بعد ذلك.

هذا جيل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذه مدرسته التي قدمها للتاريخ، وهذا الرعيل الأول الذي ما سمع الناس بمثله، هذا الجيل الفريد الذي سطر أروع المواقف، وأسمى المناقب، وأحسن الأمثال، وأفضل الخصال، فللّه درّهم من كوكبةٍ فقدها الدهر، وزُمرة أضاع الاقتداء بهم جم غفير من أبناء العصر.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

تجهيزات العرس:

بعد أن استقر الأمر أن علياً رضي الله عنه سيتزوج بفاطمة رضي الله عنها الزاكية، الأوابة الباكية، العريقة السامية، بدأ عليٌّ بالتجهيز للعرس المبارك، والمناسبة الكريمة، فبمَ كان التجهيز ؟ جهّز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابنته فاطمة رضي الله عنها في : خميلٍ ـ وهو القطيفة البيضاء من

(1) أخرجه النسائي في سننه : (3376) وحسّنه الألباني .

(2) السيرة الحلبية (2/ 471) . ومن كتب الشيعة : كشف الغمّة لعلي الأربلي (1/ 359).

الصُّوف وهو كساءٌ غليظ ـ ، وقربةٍ للماء ، ووسادةِ أَدَمٍ ـ أي الجلد المدبوغ ـ حشوها ليفُ الإذخِر [1] ، ورَحَيَيْن ـ تثنية رحى ـ ، وسِقاءٍ ، وجَرَّتين [2] ، وسريرٍ مشروط ، وطيبٍ ، وبعض الثّياب [3].

وقد أرسل رسول الله ﷺ الصَّحابة لشراء كلِّ ذلك ، بعد أن دفع عليٌّ رضي الله عنه إليه ثمن الدّرع ، فبعث بلالاً وعمّار بن ياسر وسلمان الفارسيّ ، وجعل أبا بكر الصدّيق مشرفًا على أمرِ الشراء ، فحضروا السوق، فكانوا يعرضون الشيء مما يصلح فلا يشترونه حتى يعرضوه على أبي بكر رضي الله عنه ، فإن استصلحه اشتروه [4].

فتأملوا معي يا أحبابي هذا المنظر الجميل في تجهيز فاطمة رضي الله عنها ، التي أنجبت لنا الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، وكيف كان لكبار الصحابة رضي الله عنهم دورهم في إتمام مراسم ذلك الاحتفال، ومساعدتهم في شؤون التجهيز، والإيثار في دفع ثمن الدرع، وهذا كله دليل المودة والرحمة، بين الصّحابة وآل البيت رضي الله عنهم .

وصدق الله: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا

---

(1) أخرجه ابن ماجه في سننه : (4152) وصحّحه الألباني .

(2) أخرجه أحمد في مسنده : (838) وحسّنه الأرنؤوط .

(3) طبقات ابن سعد : (8/ 21ـ22) .

(4) من كتب الشيعة : أمالي الطوسي (1/ 39)، بحار الأنوار (43/ 94) .

﴿٢٩﴾[1].

كان عرساً سهلا ميسرًا، سهولةٌ في الخطبة، ويسرٌ في المهر، ومراعاةٌ في أمر الزواج، فلا تفريط في هذه المناسبة ولا إفراط، ولا غلو ولا جفاء، ولكن وسطٌ بين ذلك، إذ كيف سيكون شيء من المشقة ورسول الله ﷺ شاهدٌ، وهو الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، بأبي هو وأمي ﷺ. لذا عوّض الله عليًّا وفاطمة وأبناءهما رضي الله عنهم بالسيادة في الدنيا والآخرة، وبارك الله في ذريتهما الطاهرة، وجعل نسلهما طيباً، وفرعهما إلى الناس محبباً.

الشهود على الزَّواج:

دعا النبيُّ ﷺ كبار الصحابة للإشهاد على هذا الزواج، وهم: أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير رضي الله عنهم[2]، فرحوا لأخيهم علي رضي الله عنه، وكانوا شهود هذا النكاح، فما أعظمه من شرف، أن يقوم النبيّ ﷺ بإشهاد الصحابة رضي الله عنهم على زواجِ فاطمة بنت محمد الله ﷺ. وأما علي رضي الله عنه فلم ينس فضل الصحابة رضي الله عنهم في تيسير أمر هذا الزواج، الذي أخرج للدنيا بقية آل بيت النبوة، ولذلك نجده من فرط حبّه لهم سمّى أبناءه بـ: (أبي بكر، وعمر، وعثمان) وكلهم شهداء كربلاء مع أخيهم الحسين - كما سيأتي - .

وليمة العرس:

عن بريدة رضي الله عنه قال: «لما خطب علي فاطمة، قال رسول الله ﷺ: إنه لا بدَّ

---

(1) [الفتح:29].

(2) من كتب الشيعة: كشف الغمة (1/ 348) بحار الأنوار (43/ 119).

للعُرس[1] من وليمة، قال: فقال سعدٌ ـ بن معاذ ـ رضي الله عنه : عليَّ كبش، وجمَعَ له رهط من الأنصار آصعاً [2]من ذُرة »[3]. سبحان الله! كم في هذا الموقف من قيمة اجتماعية رفيعة، فانظروا إلى التعاون بين أفراد المجتمع الواحد في المناسبات الاجتماعية المختلفة، ثمّ انظروا كيف دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم للزوجين عليٍّ وفاطمة بالبركة، ودعا كذلك لذريتهما من بعدهما، فأثمرت هذه الدعوة العظيمة إمامي أهل الدنيا الحسن والحسين رضي الله عنهما ، اللذين بارك الله لهما وبارك فيهما.

ليلة البنـاء :

قالت أسماء بنت عميس رضي الله عنها : «كنتُ في زفاف فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما أصبحنا جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الباب فقال: يا أم أيمن ادعي لي أخي، فقالت: هو أخوك وتنكحه؟ قال: نعم يا أم أيمن، قالت: فجاء علي، فنضح النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الماء، ودعا له، ثم قال: ادعوا لي فاطمة، قالت: فجاءت تعثر من الحياء، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اسكتي فقد أنكحتك أحب أهل بيتي إليّ، قالت: ونضح النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليها من الماء ودعا لها »[4]، وفي رواية : « فلمَّا كان ليلة البناء، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : يا علي لا تُحدِث شيئاً حتى تلقاني، فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بماءٍ، فتوضأ منه ثم أفرغه على عليٍّ، فقال: اللَّهُمَّ بَارِكْ

---

(1) للعرس: أي للعروس.

(2) « آصعًا » : جمع صاع ، وهو مكيال أهل المدينة ، يسع أربعة أمداد . ووزن الصاع النَّبوي ما يساوي : كيلوين وأربعين جراماً .

(3) المعجم الكبير للطبراني (1153)، فضائل الصحابة (2/ 858) والنسائي في الكبرى (6/ 72) ، وحسّنه الألباني في آداب الزّفاف ص 101 .

(4) فضائل الصحابة (342) ، والنسائي في الكبرى (5/ 143) وإسناده صحيح.

فِيهِمَا، وَبَارِكْ لَهُمَا فِي بنائِهما»[1]. هكذا كانت بداية الحياة الزوجيّة لعليٍّ وفاطمة رضي الله عنهما، طاعةٌ وذكرٌ ودعاء.

المنزل:

نعلم أن علياً رضي الله عنه من المهاجرين الذي قدموا المدينة، وليس له فيها بيتٌ ولا مأوى، ولا أرض ولا عجوى، إلا أن التربية المصطفوية للصحابة غرست فيهم أنواعاً من الأخلاق الرضية، والمعاملة السليمة السوية، حتى أن الله تعالى قال فيهم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[2] .

لما تزوَّج عليٌّ فاطمة ، قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: « اطلُب منزلاً ، فطلَبَ عليٌّ منزلا ، فأصابه مستأخرًا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قليلاً ، فبنى بها فيه، فجاء النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم إليها ، قال: إني أريد أن أحولكِ إليَّ . فقالتْ فاطمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فكلِّم حارثة بن النعمان أن يتحوَّل عني، تريد أن يتحول لي عن منزله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قد تحوَّل حارثة عنا حتى قد استحييتُ ! وكانت لحارثة منازلُ قربَ منازل النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة، فكان كلَّما أحدث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهلاً ، تحوَّل له حارثة بن النعمان عن منزلٍ بعد منزلٍ .

فبلغ حارثة ما قاله النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال له : يا رسول الله إنه بلغني أنك تحوِّل فاطمة إليكَ، وهذه منازلي وهي أسقب بيوت بني النجار بك، وإنَّما أنا ومالي لله ولرسوله، والله يا رسول الله للذي تأخذُ مني أحبُّ إليَّ من الذي تَدَع !

---

(1) المعجم الكبير للطبراني (1153)، والنسائي في الكبرى (6/ 72) ، وحسّنه الألباني في آداب الزّفاف ص 101 .

(2) [الحشر:9].

فقال رسول الله ﷺ: صدقتَ بارك الله عليك . فحولها إلى بيت حارثة »[1].

هكذا كان زواج علي بفاطمة رضي الله عنها يعلوه التواضع، وتسوده البساطة، وتكتنفه الرحمة، وتحفه الشفقة والرأفة، فلم يدخل في زواجهما شيء من التبذير، ولم يتسرب إليه مثقال ذرة من إسراف.

بعد الزواج :

بعد أن بارك الله في هذا الزواج المبارك، تكونت من الأسرة الهاشمية الكريمة الذرية الطاهرة، التي منها نسل النبي ﷺ، الحسن والحسين.

دخلت سيدة نساء العالمين بيت الزوجية، وعاشت في حياة متصلة ببيت النبوة، ولقيت من جهد العيش وضيقه ما لاقت، حتى اشتكت يديها مما تلقى من الرحى مما تطحن، ولكن سيد الزاهدين وإمام الصابرين ربى هذا البيت الفاطمي على الزهد والصبر، والتضرع إلى الله بالذكر والشكر، هكذا يكون حال بنات الأنبياء، وزوجات الأصفياء، وأمهات النجباء، فحياتهن فيها أسوة للفقير، وموعظة للغني، فعلى أيديهن يتلقى الناس فن الصبر والفداء، والقناعة، والرضا، والطاعة، والنقاء.

وهكذا مضى البيت الفاطمي آمناً مطمئناً، في ركب السعداء، وعاشوا فيه عيشة النجباء، فخرج منه أشعة مضيئة، هم سادة الناس وأشرافهم، وقدوة الأنام ..

هم آل بيت المصطفى والعروة الـ　　　　وثقى لمن يبغي سنا الإيمان

هم آل طه الطاهرون ومن لهم　　　　شأن عظيم يا له من شأن

---

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد (8/ 166) بتصرف . ومن كتب الشيعة : بحار الأنوار للمجلسي (19/ 113) .

الباب الثاني:

أسرة الحسن والحسين رضي الله عنهما

وخِلٍّ جاء يسأل عن قبيلي وضوءُ الشمس للرائي جليُّ
فقلتُ له ولمْ أفخر وإنّي يحقُّ لمثليَ الفخرُ العليُّ
محمدٌ خير خلق الله جدِّي وأمِّي فاطمٌ وأبيْ عليُّ

نشأ السيدان الحسنان ابنا علي رضي الله عنه في بيت النبوة، وتربّيا على يدي جدهما رسول الله ﷺ، ووالدهما عليٍّ، وأمهما فاطمة رضي الله عنها، فأخذا عن جدّهما ووالديهما مفاهيم الإسلام وأسس الأخلاق، وكان لهذه النشأة تأثيرٌ كبيرٌ في بناء وتكوين شخصيتهما القوية، التي التزمت بأوامر الإسلام، واستقامت على تعاليمه، فالرسول ﷺ يقول: «الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»(1).

فمعدن الحسنين عزيزُ الوجود، ولم ينشآ في الجاهليَّة وإنما نشآ في بيت النبوة، مما جعلهما سيدين بكل ما تحويه هذه الكلمة من معنى، فقد اجتمع للحسن والحسين من أصالة النسب، والتربية الأسرية، ما لم يجتمع لغيرهما من الناس.

فالسيدان الحسنان عليهما سحائب الرضوان تفرعا من شجرةٍ زاكية الندى، باسقة العلى، عربية الأصل، حسيبة الفصل، قرشية الأهل، منافية الأعطان، هاشمية الأغصان، جمعا المحاسن من أطرافها، والفضائل من أنحائها، إنهما من شجرة لا يذوى عودها، ولا تجف ثمرتها، ولا يضل أهلها، فرضي الله عنهما وأرضاهما.

---

(1) البخاري (3383).

الامتداد الوراثي للحسنين رضي الله عنهما :

إنَّ لعوامل الوراثة أثرها الواضح والبيِّن على شخصية الحسنين رضي الله عنهما، وإظهارها المشَرِّف بالمتعارف عليه عند الناس من الشجاعة والإقدام، وعلو الهمة والبعد عن الدَّنايا، والتضحية بالنفس والنفيس في سبيل المبادئ العظيمة.

حقاً لقد كان الأجداد الذين ينتسب إليهم الحسنان رضي الله عنهما عظماء، عظماء بمعنى الكلمة! فمنهم نبي الله «إبراهيم» وابنه «إسماعيل» عليهما السلام، بتاريخهما المعروف بالرسالة والنبوة، والهمة والشجاعة.

ومن الامتداد الوراثي لأصل الحسن والحسين رضي الله عنهما الجد: «قُصَي بن كلاب»، وكان من المكانة وحسن الرأي، ما جعله موضع احترام أهل مكة، وولّوه كل المناصب المتصلة بالكعبة والبيت الحرام، ثم أقرُّوا له بالملك عليهم.

ومن الامتداد الوراثي الجد: «هاشم»، وقد كان كبيراً في قومه، ذا يسار، فَولي السقاية والرفادة، ودعا الناس إلى إطعام الحاج أثناء الموسم، وكان من أعماله أنه سنّ رحلتي الشتاء والصيف، واتصل بالممالك المجاورة، فلما تولَّى من بعده «عبد المطلب» اتصل بيثرب وبأخواله هناك، فكانوا عوناً له، فساعدوه على أن يتولى ما كان هاشم يتولَّاه.

عن واثلةَ بنِ الأسْقَع رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنَّ اللهَ اصطفى كِنانَةَ مِن ولدِ إسماعيل، واصطفى قريشاً من كِنَانَة، واصطفى مِن قريشٍ بَنِي هاشِم، واصطفانِي مِن بَنِي هاشِم»[1].

(1) أخرجه مسلم (4221).

شرف تنقـل كـابراً عـن كـابر　　كـالرمح أنبوبـاً عـلى أنبـوب

ذلك هو الأصل العريـق الـذي انتهـى إليـه الحسـن والحسـين ﭬ، وتلـك هـي الشجرة المباركة التي انتسبا إليها، فكلهم عظماءُ وقتهم، وقد تحقّق هذا في الشخصيتين العظيمتين الحسن والحسين ﭭ، وما امتازا بـه مـن هيبـة وذكـاء، وشـجاعة وإقـدام، وسياسة وحسن تصرف، والتي أدّيا بها دورهمـا في الحيـاة كـما قـدّره الله ﻷ لهـما، لينـالا منزلةً عاليةً في الآخرة، فيكونا سيّدي شباب أهل الجنة.

ودعونا أيّها الإخوةُ نتحدّث عن كلّ فردٍ من أفراد أسرة الحسـن والحسـين ﭭ، بشيءٍ من الاختصار، ونبدأ بجدّهما من جهة أمّهما، رسولنا ونبيّنا محمد ﷺ.

1 -جدّ الحسن والحسين من جهة أمّهما: محمد ﷺ:

الحديث يحلو عن العظماء من الناس، ولكن الحديث عـن هـذا الرجـل العظـيم لا يجاريه أي حديث، في روعتـه وحلاوتـه، والطـرب بـه والشـوق إليـه، رجـلٌ مـلأ حبـه القلوب، واصطفاه الله على الناس، فجعله أكرمهم وأحبّهم إليه، وكان خليـل الله، إنـه رسول الله ﷺ، حبيبٌ تشتاق إليه النفوس، وبذكره ترقّ القلوب، وعند الحديث عنه تطمع النفوس المؤمنة إلى رؤيته والالتقاء بـه، والموعـد حوضـه الشريـف حيـث ينتظـر المؤمنين، يأتون إليه غرًا محجلين.

إنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب من بني هاشم من قريش، أعـز النـاس نسبًا، وأشرفهم مكانة، وأعلاهم عند الله رتبة، وأجلهم قدراً، وأرفعهم ذكراً، ﷺ.

ولد في بطاح مكة، فرأت أمه نورًا أضاءت له قصور الشام، ونشأ حين نشـأ يتـيمًا، فكَفَلَه جده، ثم عمه، نزلت الملائكة من السماء فشقت صدره وغسلت قلبه، فنشأ نشأة

طهر وعفاف، ونبل وكفاف، في مجتمع جاهلي يعج بالشرك والظلم والضّلال، فلم يتجه يومًا بقلبه إلى صنم، ولم يعاقر خمرًا، ولم يلابس من أمر الجاهلية أمرا.

خلقت مبرأً من كل عيب   كأنك قد خلقت كما تشاء

حبّب الله إليه الخلوة والتعبد لربه، بعدما كره بفطرته السليمة ما كان عليه قومه من عبادة الأصنام، بشَّر بقدومه الأنبياء من قبله، وهتفت الجن ببعثته، وفرحت الدنيا بإرساله.

بعثه الله للناس على رأس أربعين سنة، ثمّ تتابع الوحي عليه من ربّه آمرًا له بالدعوة إلى الله، فبدأ يدعو سرًّا، فلما تكاثر المؤمنون من حوله أتاه الأمر: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾[1]، فلقي منذ ذلك الوقت صنوف الأذى والسخرية والاستهزاء.

فلما رأى من قومه الصدود والإعراض بدأ بإخراج دعوته خارج مكة، فوصل الطائف ولاقى من أهلها أكثر مما لاقاه من قومه في مكة، ثمّ هيأ الله له نفرًا من أهل المدينة قدموا مكة في الموسم، فعرض دعوته عليهم، فأوقع الله في قلوبهم الإيمان، فاتفق معهم على الهجرة للمدينة، فكانت تلك الهجرة العظيمة، وذلك الحدث التاريخي، الذي قلب الأمور في الأرض رأسًا على عقب، وانطلقت دولة الإسلام من المدينة، وبدأ الجهاد لما توافرت أسبابه، فجاهد رسول الله ﷺ هو وأصحابه، بأموالهم وأنفسهم، حتى فتح الله له القرى والمدن، ودانت له جزيرة العرب، وهابته العجم.

عاش نبيّنا محمدٌ ﷺ ثلاثًا وستين سنة، قضى منها ثلاثًا وعشرين في النبوة والبلاغ، والإنذار والجهاد، وإقامة الدين، وقمع أهل الشقاق والعناد، فلما أتمّ الله

(1) [الحجر: 94].

الدين، وكملت الرسالة، نزل عليه قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[1]، وفي العام الحادي عشر من الهجرة الشريفة، وفي شهر ربيع الأول كانت وفاته ﷺ، وبموته انقطع الوحي من السماء، وفجع به كل مسلم في كل سقع، فكان موته أعظم مصيبة، ووفاته أكبر قاصمة.

تلكم لمحةٌ عن الحبيب المصطفى ﷺ، جدّ الحسن والحسين رضي الله عنهما،

كفاه علواً في البرية أنَّه لأحمد والطهر البتول سليلُ

فما كل جدٍّ في الرجال محمد ولا كل أمٍّ في النساء بتولُ

فنسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، ألا يحرمنا رؤيته ﷺ ولقاءه، والشرب من حوضه، آمين يا رب العالمين.

2 -جدّ الحسنين من جهة أبيهما: أبو طالب بن عبد المطلب:

بعد وفاة عبد المطلب تولى زعامة قريش ابنه أبو طالب، وقد كان عالي السجايا، عظيم الأخلاق، ما جعله محلَّ احترام الجميع ومحبتهم، واسمه: عبدُ مناف بن عبد المطلب، وكنيته: أبو طالب، وقد غلبت عليه هذه الكنية، حتى لم يُعرف أنَّ أحدًا كان يناديه باسمه الأصلي «عبد مناف»، وقد كانت شخصيّته القويّة تسيطر على النفوس باستقامتها وترفعها عن الدنيا، وكان مع ذلك شاعرًا مجيدًا، فأضاف إلى تأثيره بالشخصية، تأثيرَه باللسان وسحر البيان.

وقد كان أبو طالبٍ الأخَ الشقيق الوحيد لعبد الله – والدِ النبي ﷺ –، وقد عهد إليه والده عبد المطلب بكفالة النبي ﷺ، فكان عند حسن الظن به، فلقد ظلّ محمد

---

(1) [المائدة:3].

ﷺ في بيت عمه أبي طالب محلَّ إعزاز وإكرام، وعناية واهتمام، وتقدير وإجلال وإعظام، إلى أن انتقل إلى بيت الزوجية، حيث بنى بخديجة بنت خويلد، إحدى كرائم مكة.

وحينما تألبّت قريش كلها ضدّ ابن أخيه محمد ﷺ ، وواجه مشركو مكةَ أبا طالبٍ بهذا، لم يلن ولم يهن ! حتى وصل بهم الحال إلى فرض حصارٍ ومقاطعةٍ لبني هاشم، لا يتناكحون معهم، ولا يبايعونهم، فقبل شيخهم أبو طالبٍ هذا التحدّي، وبنو هاشمٍ خلفه، ولم يشذ منهم في ذلك إلا شقيّهم أبو لهب! واستمر الحال على ذلك ثلاث سنوات، صمدوا خلالها وثبتوا، رُغم الجوع والشدّة التي أصابتهم، حتى هيأ الله من أنهى هذا الحصار.

فكان من أشرف مواقف أبي طالب: وقوفُه مع ابن أخيه محمد ﷺ منذ بعثته، يُعينه وينصره، ويحميه ويوقره، دون أن يُلقيَ بالاً لما يترتّب على ذلك من مشاقٍ ومتاعب ماديَّة ومعنويَّة، وظلّ على ذلك حتى انتقل إلى أخراه، وممّا أنشده :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم   حتى أوسَّدّ في التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة   وأبشر وقر بذاك منك عيونا

ودعوتني، وعرفت أنك ناصحي   ولقد صدقت، وكنت ثم أمينا

وعرضت دينا قد عرفت بأنه   من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة   لوجدتني سمحًا بذاك مبينا

3 -جدّة الحسنين من جهة أمّهما : خديجة بنت خويلد رضي الله عنها :

المرأة العاقِلَة الحاذِقة، ذاتُ الدين والنسب، خديجة بنت خُويلدٍ رضي الله عنها، نشأت على

التخلُّق بالفضائلِ، والتحلِّي بالآداب والكرَم، واتَّصفت بالعفّة والشرف، تزوَّجَها المصطفى ﷺ فكانت نِعمَ الزوجة له، آوَته بنفسِها ومالها، وأعانته برجَاحةِ عقلها، كان يأوِي إليها، ويبُثّ إليها همومه، نزل عليه الوحيُ أوّلَ نزوله فرجَع إليها يرجُف فؤادُه، فتلقَّته بقَلبٍ ثابت، وقالت له: «كلاَّ والله، لا يخزيك الله أبدًا»[1].

لاحَ الإسلام في دارِها فكانت أوّلَ من آمن من هذه الأمة، وعظُمَت الشّدائِد على النبيّ ﷺ في مطلَع دعوتِه، واشتدَّ الإيذاء، فكانت له قلبًا حانيًا، ورأيًا ثاقبًا، لا يسمَع من الناسِ شيئًا يكرهه ثم يرجِع إليها إلاّ ثبَّتته وهوَّنت عليه، عظيمة بارّةٌ بزوجِها، وأمّ حنون بأولادها، جميع أولادِ النبيّ ﷺ منها سوَى إبراهيم، أدبُها رفيعٌ، وخُلُقها جَمّ، لم تراجِع المصطفى ﷺ يومًا في الكلامِ، ولم تؤذِه في خِصام، يقول النبيّ ﷺ: «أتاني جبريل فقال: بشِّرها ببيتٍ في الجنة من قصب - أي: لؤلؤ مجوَّف -، لا صخَبَ فيه ولا نصَب». كانت راضيَةً مرضيّة عند ربِّها، يقول ﷺ: «قال لي جبريل: إذا أتتكَ خديجة فاقرأ عليها السَّلام من ربِّها ومنّي»[2]، قال ابن القيّم رحمه الله: «وهي فضيلةٌ لا تعرَف لامرأةٍ سِواها»[3]، أحبَّها الله، وأحبَّتها الملائكة، وأحبَّها النبيّ ﷺ، يقول ﷺ: «إنّي رُزِقت حبَّها»[4].

كان إذَا ذكرَها أعلَى شأنَها وشكَر صُحبتَها، تقول عائشة رضي الله عنها: «كان النبيّ ﷺ إذا ذكَر خديجةَ لم يكن يسأَم من ثَناءٍ عليها واستغفارٍ لها»[5]، كمُلَت في دينها وعقلِها وخلُقها، يقول ﷺ: «كَمَل من الرجال كثيرٌ، ولم يكمُل من النّساء إلا ثلاث: مريم

(1) أخرجه البخاري (3) ومسلم (160).

(2) أخرجه البخاري (3609) ومسلم (2432).

(3) زاد المعاد (1/ 102).

(4) صحيح مسلم (2435).

(5) أخرجه الطبراني في الكبير (23/ 13)، قال الهيثمي في المجمع (9/ 224): «أسانيده حسنة».

بنت عمران، وآسيةُ امرأة فرعون، وخديجة بنتُ خويلد»[1].

وكانت عظيمةً في فؤادِ النبيّ ﷺ ، فلم يتزوَّج امرأةً قبلَها، ولم يتزوَّج امرأةً معها، ولا تسرَّى إلى أن قضَت نحبَها، فحزِنَ لفَقدِها، فـ رضي الله عنها .

4 -جدّة الحسنين من جهة أبيهما : فاطمة بنت أسد رضي الله عنها :

هي فاطمة بنت أسد بنِ هاشم بنِ عبدِ مناف بنِ قصيٍّ- الهاشميّةُ، زوجُ عمِّ النبي ﷺ أبي طالب، والدة علي بن أبي طالب، كانت من المهاجرات الأول، وهي أوّل هاشميّةٍ ولدتْ هاشميًّا! ومن أبنائها: طالب وعقيل وجعفر، وأم هانئ وجمانة وريطة، وكلهم أبناء أبي طالب.

لما كَفَل أبو طالب النبي ﷺ بعد وفاة أبيه، أشرفت فاطمة بنت أسدٍ على تربيته ورعايته، فتربّى في حجرها، وكان ﷺ شاكراً لبرّها، وهذا من اصطفاء الله تعالى لها، من بين نساء العالمين؛ كي تكون الحاضنة الثانية لرسول الله ﷺ ، سيّد الأولين والآخرين، بعد سيدتنا أم أيمن، لم تشغلها رضي الله عنها تربية أبنائها عن خدمة رسول الله ﷺ والإحسان إليه، بل كانت خير راعيةٍ وحافظةٍ لبيتها وأولادها ولرسول الله ﷺ ، الذي منحته أكثر مما أعطت أولادها من العطف والحنان. وكانت سيدة فاضلة قبل إسلامها، وزكّى إحسانها وخلُقها، صحبتها لرسول الله ﷺ ، وإشرافها المباشر على تربيته ﷺ ، فتحوّلت من امرأة الدنيا، إلى امرأة الدنيا والآخرة، تطلب وجه الله بالتوبة والاستغفار والعمل الصالح.

---

(1) رواه أبونعيم في الحلية والثعالبي في تفسيره كما في(تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري) للزيلعي (4/ 67).

وبعد وفاة أبي طالبٍ، شرح الله صدرها للإسلام، فأسلمت وبايعت رسول الله ﷺ ، وهاجرت إلى المدينة النبوية، وكان نبيّنا محمدٌ ﷺ يحبّها حبًّا عظيمًا، ويُنزلها منزلة أمّه، فكان ﷺ يُكثر زيارتها، ويَقيل في بيتها، وعندما تزوّج ابنها عليٌّ رضي الله عنه فاطمة بنت محمد ﷺ ، فرحت بذلك الزواج، وعاشت مع ابنها علي وزوجه في الدار، وقال علي رضي الله عنه لأمّه: « لو كفيتِ فاطمة بنت رسول الله ﷺ سقاية الماء والذهاب في الحاجة، وكفتكِ في الداخل الطحن والعجن »[1] فتراضوا على ذلك.

إنّها صحابية جليلة، مشاركة متميزة في إنشاء خير أمة أخرجت للناس اختارها الله لتساهم في تربية خير البشرية، فصار حجرها مدرسةً يتخرّج منها الرجال، من أمثال ابنها سيدنا علي رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة، واختارها الله لتكون حماةً لسيّدة نساء الجنّة فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ .

توفيت في حياة النبي ﷺ ، إنّها مثالُ المرأة المجاهدة، العالمة المعلمة، الراوية للحديث، الخادمة لله ولرسوله، الوفية المخلصة رضي الله عنها وأرضاها، وجزاها خير الجزاء.

5 -والد الحسنين رضي الله عنهما : علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

هو الإمام الجليل، والبدر المنير، ليث الكتائب، عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عمّ النبي محمد ﷺ ، وزوج فاطمة الزهراء ابنة الرسول ﷺ .

ولد الإمام علي رضي الله عنه قبل البعثة بعشر سنين، وتربّى في حجر النبيّ ﷺ وفي بيته، وهو أول من أسلم من الصّبيان بعد خديجة، حيث كان عمره يقارب ثماني سنوات أو عشر سنوات حسب ما جاء في السير، وكان الإمام عليٌّ يلقب بـ «حيدرة»،

---

(1) الطبراني في المعجم الكبير (24/ 353) وهو من رواية أبي البختري عن علي ولم يسمع منه.

وكنّاه النبيّ ﷺ بـ «أبي تراب» .

ولمّا هاجر النبيّ ﷺ من مكة إلى المدينة، أمر عليًّا رضي الله عنه أن يبيت على فراشه، وأجّله ثلاثة أيام ليؤدي الأمانات التي كانت عند النبيّ ﷺ إلى أصحابها، ثم يلحق به إلى المدينة، فهاجر عليٌّ رضي الله عنه من مكة إلى المدينة المنورة ماشياً على قدميه.

شهد الإمام علي رضي الله عنه المشاهد كلها مع النبيّ ﷺ إلا غزوة تبوك، واصطفاه النبيّ ﷺ صهراً له، وزوّجه ابنته فاطمة الزهراء، وأعطاه اللواء يوم خيبر ففتحها، وكان الإمام علي رضي الله عنه من أشجع الصحابة وأعلمهم بالقضاء، وأزهدهم في الدّنيا، ولم يسجد لصنم قط رضي الله عنه ، كما امتاز بكونه شاعراً وخطيباً بارعاً، ويعدّ من الخلفاء الراشدين الصالحين، قال عنه النبي ﷺ: « إنه لا يحبُّك إلا مؤمنٌ، ولا يبغضك إلا منافقٌ »[1] وقال له النبي ﷺ: « أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي »[2]، فأيُ منزلةٍ أعظم من هذه المنزلة؟ قال الإمام أحمد بن حنبل: « ما جاء لأحدٍ من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما جاء لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه »[3]

كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقيراً، لم يكن من أصحاب الأملاك ولا التّجارة، ولكن زوجّه النبي ﷺ ابنته فاطمة، وكان مهرها درعاً حطمية، وهي درعٌ لاتقاء الطعن وضربات السيوف، فكانت مهراً لسيدة نساء أهل الجنة، لابنة سيد ولد آدم ﷺ ، لفاطمة الزهراء، وكان فراشها وسادة أدم، حشوها ليف، رضي الله عنها وعن زوجها وأولادها وآل النبي ﷺ أجمعين.

---

(1) أخرجه الترمذي (3736)، وأحمد في مسنده (731)، وصححه الألباني.

(2) أخرجه البخاري (4154) ومسلم (2404).

(3) انظر: تاريخ دمشق (42/ 418).

بعد وفاة النبي ﷺ بويع أبو بكر رضي الله عنه بالخلافة، وأوصى بها قبل وفاته لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وبعد مقتل عمر انتقلت الخلافة إلى عثمان بن عفّان، وبعد استشهاده في داره استلم عليّ الخلافة، فكان رابع الخلفاء الراشدين، ولمّا كثر أهل الفتن، وتعددت فرق الضلال، تآمروا على قتل هذا البطل العظيم غدرًا، فوثب عليه ابن ملجم وقد خرج عليٌ رضي الله عنه إلى صلاة الصبح، فضربه بالسيف في جبهته، فكانت وفاته رضي الله عنه ، وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر رضي الله عنه ، ومضى إلى الله بعد أن جمع من الفضل أعلاه، ومن الصفاء أزهاه، ومن النبل أتمه، وانتشرت منه الذرية الطاهرة، لتملأ الدنيا طهرًا وعفةً وعلمًا وجاهًا وقدراً، وترك للأجيال جيلًا فريدًا لم يعهد التاريخ أمثالهم، إنهما الحسن والحسين رضي الله عنهما وعن إخوانهما جميعًا.

6 -أمّ الحسنين رضي الله عنهما : فاطمة الزهراء رضي الله عنها :

لا يمكننا أن نعرف الإمامين المصلحين العظيمين الحسن والحسين رضي الله عنهما ، حتى نعرف الأمَّ الجليلة التي أنجبتهما ، والمرأةَ العظيمة التي وقفت وراءهما، كيف يمكننا أن نتجاوز المرأة العملاقة التي أنجبت مثل الحسن والحسين ؟ والتي كان لها الدّور البارز في تربية الحسنين إمامي أهل الآفاق، وكيف لي أن أتجاهل الحديث عن فاطمة الزهراء؟

في روض فاطمةٍ نما غصنان لم ينجبهما في النيِّرات سواها

فأمير قافلة الجهاد وقطب دائرة الوئام والاتحاد ابناها

حسن الذي صان الجماعة بعدما أمسى تفرُّقُها يحلُّ عراها

ترك الإمامة ثم أصبح في الديار إمامَ ألفتها وحسنَ عُلاها

وقديمًا قالوا: وراء كلّ رجلٍ عظيمٍ امرأة، وأنا أقول: وراء كل رجلٍ عظيم أمٌّ عظيمة !

إنّ تربية فاطمة الزّهراء لابنيها الحسن والحسين جعلت منهما قائدين ربّانيّين، أحدهما كان خليفةً راشدًا، استطاع أن يستوعب الأحداث التي تجري حوله، والآخر كان وزيرًا عاضدًا، وناصحًا أمينًا، يعين أخاه في السير بهذه الأمة إلى سفينة النجاة، فكانت لهذه التربية الفذّة الأثر الكبير في إعداد من يقدر على قيادة الجماهير، والإرادة القوية في تنفيذ الأهداف المرسومة، إن من كانت هذه أوصافهما هما ابنا السيدة فاطمة.

وقد جاءت الأحاديث الصحيحة التي دلت على سيادتها، فقال ﷺ: «فاطمة سيدة نساء هذه الأمة»[1]

بضعة المصطفى وللجزء حكم الـ	ـكل يرضيه كل ما يرضيكِ
إن بدت مسحة من الحزن يومًا	في محياك شوهدت في أبيكِ
أنت كالبحر في العطاء وأولا	دك كالدر مالئًا شاطيكِ
قد دعا المصطفى بأن يخرج الـ	ـله كثيرًا من نسلك المبروكِ

فهي سيدة نساء أهل الجنّة، وأنجبت للدّنيا سيدي شباب أهل الجنة، فـ رضي الله عنها وأرضاها، وأسكنهم عالي الجنة، وجعلنا معهم بفضله ومنته.

* الإخوة الأشقّاء للإمامين الحسنين رضي الله عنهما :

1 - مُحَسِّن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

لا نجد لـ : « محسِّن » ذكرًا كثيرًا في كتب السّير والتراجم ، إلا ضمن أولاد السيّدة

(1) الحديث أخرجه البخاري (5928) ومسلم (2450).

فاطمة ، وورد ذكره في الحديث الذي رواه هاني بن هاني عن علي بن أبي طالب قال : « لَمَّا وُلد الحسن سمَّيته حَربًا ، فجاء رسول الله ﷺ فقال : أروني ابني ما سميتموه ؟ قال قلتُ : حربًا ، قال : بل هو حَسَن ، فلما وُلد الحسين سمَّيته حربًا ، فجاء رسول الله ﷺ فقال : أروني ابني ما سمّيتموه ؟ قال قلت : حربًا ، قال : بل هو حُسين ، فلما ولد الثالث سمَّيته حربًا ، فجاء النبي ﷺ فقال : أروني ابني ما سمَّيتموه ؟ قلت :حربًا ، قال : بل هو مُحسِّن ، ثم قال : سميتهم بأسماء ولد هارون شَبَّر وشَبِير ومُشبِّر » أخرجه أحمد (769) ، وابن حبّان (6958) ، وصحّحه ابن حجر في الإصابة (6/ 243) ، وغيره .

ومُحسِّن : بضم الميم وكسر السين المشددة ، قال في « اللسان » (4/ 393) : شبَّر وشَبير ومشبِّر معناها: حسَن وحُسين ومحسِّن .

وقد ذكر المؤرخون أنّ محسِّنا مات صغيرًا . البداية والنهاية (7/ 332) ، ،الإصابة (6/ 243) ، ويتبيَّن لنا من هذه الرواية الصحيحة أنّ محسِّنًا وُلد في عهد النبي ﷺ ، وهذا يُبطل مزاعم الجفاة في رواياتهم المُفتراة ، التي تزعمُ أنّ عمر بن الخطاب كان سببًا في إسقاطه عندما كان جنينًا !

2 - **زينب بنت علي بن أبي طالب** رضي الله عنها :

أدركت النبي ﷺ ووُلدت في حياته، وتوفي الرسول ﷺ وزينب لم تكن قد تجاوزت الخامسة من عمرها، وكانت عاقلة، لبيبة، جزلة - جّيدة الرأي -، زوَّجها أبوها ابن أخيه عبد الله بن جعفر الطيّار رضي الله عنه ، وكان أبوه جعفر بن أبي طالب ذا الجناحين، و أبا المساكين، وشقيق علي رضي الله عنه ، وحبيب النبي ﷺ ، الذي قبّله النبي ﷺ يوم فتح خيبر وهو عائد من الحبشة، فقال ﷺ : «ما أدري بأيّهما أفرح: بقدوم

جعفر؟ أم بفتح خيبر؟»[1].

وقد ولدت زينب بنت الزهراء لعبد الله بن جعفر أولاداً منهم: علي، وعون الأكبر، وعباس، ومحمد، وأم كلثوم.

ولم يفرّق الزواج بين زينب وأبيها علي رضي الله عنه وإخوتها، فقد بلغ من تعلّق الإمام علي رضي الله عنه بابنته وابن أخيه أن أبقاهما معه، حتى إذا ولي أمر المسلمين وانتقل إلى الكوفة، انتقلا معه، فعاشا في دار الخلافة موضع رعاية أمير المؤمنين.

وكانت زينب مع أخيها الحسين رضي الله عنه لما قتل في كربلاء، فقد كانت تضمّد الجرحى، وتسقي العطشى، وترعى أبناء وبنات المقاتلين، وتحمّس الجند، وقد حفظ لها التاريخ رعايتها لمن فقدوا آباءهم في كربلاء، فقد وقفت بجوارهم إلى آخر رمقٍ في الحياة ـ كما سيأتي ـ.

3 – أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنها:

أم كلثوم بنت فاطمة الزّهراء، ولدت قبل وفاة جدها صلى الله عليه وآله وسلم، خطبها عمر بن الخطاب وأكثر تردّده إلى بيت علي رضي الله عنه، ثمّ قال له: يا أبا الحسن، ما يحملني على كثرة تردّدي إليك إلا حديثٌ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «يَنقطعُ يوم القيامة كلُّ سببٍ ونسبٍ، إلاَّ سبَبِي ونسبِي»، فأحببت أن يكون لي منكم أهل البيت سببٌ وصهرٌ، فقال علي رضي الله عنه: إني أرصدها لابن أخي عبد الله بن جعفر، فقال عمر: أنكحنيها، فوالله ما من الناس أحدٌ يرصد من أمرها ما أرصده.

---

(1) رواه الطبراني في الكبير (1470) وابن أبي شيبة (6/ 381) والبيهقي (7/ 101) وضعفه الألباني في تخريج المشكاة (4686، 4687)

فقام علي فأمر بابنته أم كلثوم فزُيِّنَت، ثم بعَث بها إلى أمير المؤمنين عمر، فلما رآها، قال لها: «قولي لأبيك: قد رضيت، قد رضيت، قد رضيت» فلما جاءت الجارية إلى أبيها، قال لها: ما قال لك أميرُ المؤمنين ? قالت: قال: قولي لأبيك: قد رضيت»، فأنكحها عليٌّ إياه، ثقةً فيه وإقراراً لفضله ومناقبه رضي الله عنه، واعترافاً بمحاسنه وجمال سيرته، وإظهاراً بأن بينهم من العلاقات الوطيدة الطيبة، والصلات المحكمة المباركة، ما يحرق قلوب الحساد من أعداء الأمة المجيدة.

فأتى عمر رضي الله عنه المهاجرين فقال: ألا تهنوني ? فقالوا: بمن يا أمير المؤمنين ? فقال: أم كلثوم بنت علي وابنة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:«يَنقطعُ يوم القيامة كلُّ سببٍ ونسبٍ، إلاَّ سبَبِي ونسبِي»[1].

وقد ولدت أم كلثوم بنت علي من عمر رضي الله عنه ابنةً سمّيت: رقية، وابنًا سمّي: زيداً، وكان زيدٌ يفتخر بنسبه، فيقول: أنا ابن الخليفتين، نعم.. هو كذلك: فأبوه أمير المؤمنين عمر، وجدّه لأمه: أمير المؤمنين علي رضي الله عنهما.

وبعد استشهاد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، تزوّجها : عون بن جعفر، وبعد موته تزوجها أخوه محمد، ثم مات عنها، فتزوجها أخوهما عبد الله بن جعفر، فماتت عنده فتزوّج أختها زينب .

أمّا قصّة وفاتها رضي الله عنها : فإنّ ابنها زيد بن عمر حضر مشاجرةً في قومٍ من بني عدي بن كعب ليلاً، فخرج إليهم زيد بن عمر ليصلح بينهم، فضربه رجل منهم في الظلمة ضربةً، شجّت رأسه، فمكث قليلاً ثم مات، وحزنت أمه أم كلثوم لقتله، ووقعت مغشياً عليها من الحزن فماتت من ساعتها، ودُفنت أم كلثوم وابنها زيد بن عمر في

(1) رواه الحاكم في المستدرك (3/ 153) وصححه الألباني بمجموع طرقه في الصحيحة (2036).

وقتٍ واحد، وصلى عليهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، قدّمه الحسن بن علي بن أبي طالب وصلّى خلفه[1].

كان هؤلاء إخوة الحسن والحسين رضي الله عنهما الأشقاء، الذين شربوا من معين واحد، وتربوا في حضن الزهراء البتول، فاطمة بنت محمد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأشرف على تربيتهم النبي الأعظم، من كان إليه المنتهى في السيادة والفخار والكرم، صلى الله عليه وآله وسلم.

محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم

فاق النبيين في خَلقٍ وفي خُلِقٍ ولم يدانوه في علم ولا كرم

الإخوة غير الأشقّاء للإمامين الحسنين رضي الله عنهما :

بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها تزوّج عليٌّ عدّة نساء ، أنجبْنَ له عدداً من الأولاد ، وهنَّ :

1 - أسماء بنت عميس رضي الله عنها : وأنجبت له يحيى، وعون ، محمّد .

2 - خولة بنت جعفر الحنفيَّة : وأنجبتْ له محمّدًا ، المشهور بابن الحنفية، فينسب إليها تمييزاً عن أخويه الحسن والحسين، وُلِدَ في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان ورعاً، واسع العلم ثقة، له عدّة أحاديث في صحيح البخاري ومسلم.

وهو أحد الأبطال الأشداء، وكان قائداً كبيراً من قواد المعارك التي خاضها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الجمل وصفين، حيث حمل الراية وأبلى بلاءً حسناً، وكان أبوه يعتمد عليه كثيراً في هذه الحروب رغم صغر سنه، لذا ساعدت هذه المرحلة كثيراً على صقل شخصيته، وتُوفي في عهد عبد الملك بن مروان، وله من العمر خمس وستون سنة، وكان فاضلاً عالماً ذا دين وخُلق وعبادة.

---

(1) أسد الغابة (7/ 425) الاستيعاب لابن عبدالبر (ص962).

3 – أمّ سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفية : وأنجبت له أم الحسن، ورملة الكبرى .

4 – ليلى بنت مسعود الدارمية : وأنجبت له عبد الله، ومحمد ، وأبو بكر ـ واستشهد في كربلاء ـ .

5 – الصَّهباء أم حبيب بنت ربيعة التغلبية الوائلية : وكانت سبيةً أصابها خالد بن الوليد رضي الله عنه حين أغار على بني تغلب بناحية عين التمر ، وأنجبت له عمر الأطرف، ورقية .

6 – أُمامة بنت العاص بن الرَّبيع رضي الله عنها : وأمّها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنجبت له محمد الأوسط .

7 – أم البنين بنت حزام بن خالد الكلابية : وأنجبت له أبو بكر – وهو غير الذي مرّ –، والعباس، وعثمان ، وقتلوا كلهم يوم كربلاء.

8 – أمَّهات أولاد : وأنجب منهنَّ : محمد الأصغر، أم هانئ، رقية الصغرى، رملة الصّغرى ، أمّ كلثوم الصغرى ، جمانة، أم الكرام، أم جعفر، أم سلمة، ميمونة، زينب الصغرى، خديجة، فاطمة، أُمامة، نفيسة[1].

(1) نسب قريش للزبيري ص(41–46)، تاريخ الطبري (5/ 153 –155) ، طبقات ابن سعد (3/ 19) ، ومن كتب الشيعة : الإرشاد للمفيد ص 248 ، منتهى الآمال للقمي (1/ 261) ، مقاتل الطالبيين ص 86 .. وغيرها .

زوجات الإمامين الحسن والحسين رضي الله عنهما وأولادهما:

أ – زوجات الحسن رضي الله عنه وأولاده:

قد ذكر المؤرخون أنّ من زوجاته:

1 – أمّ كلثوم بنت الفضل بن عبّاس: أوّل زوجاته، وخلف عليها أبو موسى الأشعريّ ثم توفّي عنها، فتزوجها عمران بن طلحة بن عبيد الله.

2 – خولة الفزازيَّة: وأنجبت له الحسن، والذي عُرف بالحسن المثنى. ومن أولاده: محمد، وعبد الله، وإبراهيم، وزينب التي تزوّجها الوليد بن عبد الملك بن مروان ثم فارقها، وأم كلثوم، وجعفر، وداود، وفاطمة، وأم القاسم، ومُليكة[1].

ومن المواقف الرائعة في حياة الحسن المثنّى: أنّه جاءه رجلٌ فغلا في آل البيت عليهم رضوان الله، فغضب الحسن المثنى، وقال له: «ويحكم أحبونا لله، فإن أطعنا الله فأحبونا، وإن عصينا الله فأبغضونا، فقال له رجل: إنكم قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته، فقال الحسن المثنّى: ويحك لو كان الله مانعاً بقرابةٍ من رسول الله أحداً بغير طاعة الله، لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا أباً وأماً، والله إني لأخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين، وإني لأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين، ويلكم، اتقوا الله وقولوا فينا الحق، فإنه أبلغ فيما تريدون، ونحن نرضى به منكم»[2]، فسبحان الله! لقد كان أبناء الحسن رضي الله عنه مدرسةً تربويةً في تعليم النّاس وتوجيههم.

3 – أمّ بشير بنت أبي مسعود البدريّ: وأنجبت له أمّ الحسن، وأمّ الحسين،

---

(1) سيرة آل بيت النبي الأطهار، مجدي فتحي السيد (ص:312).

(2) طبقات ابن سعد (5/ 319، 320).

وزيدًا .قال عبد الرحمن بن أبي الموال: «رأيت الناس ينظرون إليه – أي زيد بن الحسن – ويعجبون من عُظْم خلقه، ويقولون: جدّه رسول الله ﷺ »[1] ، ومن أولاد «زيد»: محمد، وحسن، ونفيسة، أما محمد: فهلك لا بقية له، وأمه أم ولد، وأمّا حسن بن زيد: فولي المدينة لأبي جعفر المنصور، وأمه أم ولد، وهو والد السيدة نفيسة[2] ، وقد تزوَّجها الوليد بن عبد الملك بن مروان، فتوفيت عنده.

4 – أمّ إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله : وأنجبت له طلحة ـ وقُتل في كربلاء ـ .

5 – جعدة بنت الأشعث بن قيس .

6 – عائشة الخثعمية .

7 – أمَّهات أولاد : وأنجب منهنَّ أبا بكر ، عمر ـ وقُتلا في كربلاء ـ ، القاسم ، عبد الله ، فاطمة ، أم سلمة ، رقيّة ، جعفر ، أحمد ، يعقوب ، عقيل ، حمزة ، إسماعيل [3].

* شبهةٌ حول كثرة زواج الحسن رضي الله عنه :

روى بعض أهل السّير والتاريخ، أنَّ الحسن رضي الله عنه تزوّج سبعين امرأة! وفي بعض الروايات تسعين! بل أوصلها بعضهم إلى ثلاثمائة امرأة! فهذه الكثرة المزعومة لا شك

---

(1) طبقات ابن سعد (5/ 318).

(2) جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص:98، 39)، وسير أعلام النبلاء (3/ 279) الدوحة النبوية الشريفة (ص:100).

(3) مصادر كثيرة ذكرت هذه الأسماء ، منها : تاريخ الطبري (3/ 343) ، البداية والنهاية (8/ 189) ، الكامل لابن الأثير (3/ 443) .. ومن كتب الشيعة : الخوارزمي في مقتله (2/ 47) ، الإرشاد للمفيد ص 248، منتهى الآمال للقمّي (1/ 544) .

في غرابتها، وكل تلك الرّوايات التي جاءت بهذا مطعونٌ في سندها ومتنها.

فمن تتبّع الرّوايات التي روت قصة زواج الحسن ﵁ اتّضح له أنّ أغلب ما ذكر في ذلك هو بدون إسناد، وبصيغ لا تفيد الثبوت مثل: « قالوا: وكان كثير التزوج»، «وذكروا أنه طلّق امرأتين في يوم ».

وبعض الروايات المسندة هي من رواية الواقدي وهو ضعيف، بل متروك، وهو من روى أنّ عليًّا ﵁ نادى أهل الكوفة قائلاً: «يا أهل الكوفة، لا تزوّجوا الحسن بن علي، فإنه رجل مطلاقٌ، فقال رجل من همدان: والله لنزوجنّه، فما رضي أمسك، وما كره طلّق»[1]، فهذه الرّواية وأمثالها لا تصحّ، لأنّها من رواية الواقدي الأسلمي، قال عنه البخاري: «متروك»[2]، وقال الشافعي: «كُتب الواقدي كذب»[3]، وقال الذهبي: «قد انعقد الإجماع اليوم على أنه ليس بحجة، وأن حديثه في عداد الواهي»[4]، وكذلك غيرها من الروايات هي غير صحيحة، وبالتالي لا يمكن الاعتماد على مثل هذه الرّوايات، نظراً للشّبه والطعون التي حامت حولها.

وأيضًا متون تلك الرّوايات فيها معانٍ مستغربة، فلو صحّت الروايةُ السابقةُ مثلاً، من عدم رضا أمير المؤمنين علي ﵁ عن كثرة زواج الحسن، فكيف امتنع الحسن ﵁ عن امتثال أمر أبيه ﵁؟ وهو لم يُعرف عنه إلا البرُّ بأبيه، وعدمُ مخالفة أمره!

---

(1) تاريخ ابن عساكر (14/ 78).

(2) تهذيب التهذيب (9/ 324).

(3) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (8/ 20).

(4) سير أعلام النبلاء (9/ 469).

ولو صحّت تلك الرّوايات، لكان للحسن بن علي رضي الله عنه من الأولاد جمعٌ غفير، والحال أنّ عدد أولاد الحسن رضي الله عنه: اثنان وعشرون ولداً، ما بين ذكر وأنثى، وهذا العدد يعتبر طبيعيًا بالنسبة لذلك العصر، ويتناقض كلياً مع تلك الكثرة من الزّيجات المزعومة.

ولعل بعض هذه الرّوايات أوردها بعض خصوم الحسن بن علي رضي الله عنه؛ ليشوهوا بذلك تاريخه العاطر، وهذه عادة الحاقدين، أصحاب الأقلام المأجورة، الذين يزجّ بهم للنيل من الإسلام، واقرؤوا مثلاً ما كتبه المستشرق الإنجليزي «لامنس» في طعنه في الإمام الحسن رضي الله عنه، حيث زعم أنّ الحسن رضي الله عنه ألقى أباه في خصومات عنيفة مع القبائل بسبب كثرة زواجه وطلاقه، مع أنّ هذا ليس يثبت بإسناد صحيح، ولكنه أراد بذلك تدنيس ساحة الإمام الحسن رضي الله عنه.

ومن هنا تتضح أهميةُ علم الجرحِ والتعديل، والحكمِ على الروايات، والدورُ العظيم الذي قام به علماء الحديث، في بيان زيف مثل هذه الأخبار، ولذلك ننصح الباحثين في تاريخ صدر الإسلام بعدم نقل الرّوايات والآثار على علّاتها، بل لابدّ من الاهتمامِ بالنقد والتمحيص، حتى يميزوا صحيحَها من سقيمِها، فيقدموا للأمة خدمةً جليلةً، وتراثًا صافيًا، وتاريخًا مشرقًا، ولا يقعوا فيما وقع فيه بعض السادة، الذين لا نشكّ في صدق نواياهم، بسبب اعتمادهم في بحوثهم على الرّوايات الضعيفة.

ب – زوجات الحسين رضي الله عنه وأولاده:

أما الإمام الجليل الحسين بن علي رضي الله عنه، فقد تزوَّج من عدّة نساء، أخرجت للأمة أشبالاً كثيرين، يحملون لواء السؤدد، ويقلون في أنفسهم الشرف العالي، إنه شرف الأصل الرفيع، والعرق الزاهي، منهنَّ:

1 – ليلى بنت أبي مُرَّة الثقفيَّة : وأنجبتْ له عليًّا الأكبر .

2 – أمّ إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله ، وقد كانت أم إسحاق من زوجات الحسن، لكنه أوصى أخاه الحسين قبل موته بالزواج منها، فكان ذلك، وولدتْ له: فاطمة .

3 – السُّلافة القضاعيَّة : وأنجبتْ له جعفرًا .

4 – الرّباب بنتُ امرىء القيس الكلبية : وأنجبتْ له سُكينة ، وعبد الله ـ والذي استشهد في كربلاء صغيرًا ـ .

5 – أسماء بنت عطارد بن حاجب : وكانت عند عبيد الله بن عمر بن الخطاب، فلما قُتل يوم صفين خلف عليها الحسين .

6 – أمُّ ولد ابنة ملك الفرس «يزدجرد»، والمشهور أنّ اسمها: شاه زنان، وقيل شهربانو ، وقيل غزالة، صارت في السّبي بعد فتح المدائن، فنفلها واصطفاها عمر بن الخطاب للحسين رضي الله عنهما ، فولدت له زينَ العابدين عليّ بن الحسين، والذي لم يبق من أبناء الحسين غيرُه، وكلّ ذريّة الحسين تناسلوا منه وينتسبون إليه[1]. وعلي بن الحسين : سيد الهاشميين في عصره، وإمام الطالبيين في زمنه ، كان إمامًا فاضلاً، وعلمًا نادرًا، ليس له في العلويين مثيل ولا من القرشيين مساوٍ، قال عنه الزهري: «ما رأيت قرشياً أفضل من علي بن الحسين»[2]. ومن أولاد: محمد الباقر، وعبد الله الباهر، وعمر الأشرف، وزيد الإمام الشهيد، والحسين الأصغر، والقاسم، وخديجة، وفاطمة، وأم كلثوم، وزينب[3].

---

(1) أنساب الأشراف (2/ 454) ، ومن كتب الشيعة : عمدة الطالب في أنساب أبي طالب لابن عنبة ص192 .

(2) سير أعلام النبلاء (4/ 387).

(3) الشجرة المباركة للرازي (ص20).

ومن مواقفه العظيمة أنه سأله رجلٌ: «ما كان منزلة أبي بكر وعمر من النبي ﷺ ؟ فقال: كمنزلتهما الساعة، وأشار بيده إلى القبر»[1].

7 – أمَّهات أولاد : أنجب منهنَّ أبا بكر ـ قُتل في كربلاء ـ ، وعمر [2].

(1) تاريخ الإسلام للذهبي (2/ 267).

(2) مصادر كثيرة ذكرت هذه الأسماء ، منها : تاريخ الطبري (3/ 343) ، طبقات ابن سعد (3/ 19) ، الكامل في التاريخ (3/ 430) ومن كتب الشيعة : مقاتل الطالبيين للأصفهاني ص 57 ، كشف الغمّة ، شرح الأخبار (3/ 178) .

الباب الثالث :

ولادة الحسن والحسين رضي الله عنهما

كنية الحسنين ونسبهما رضي الله عنهما :

السيّد الأول فهو الطيِّب أصله وفرعه، الزاكي بذره وزرعه، السيد الحسيب، أبو محمد الحسن « الرّيحانة الأولى » ، وأما السيّد الثاني فهو من جمع شرف الأخلاق إلى شرف الأعراق، وكرم الآداب إلى كرم الأنساب، إنه السيد المحبَّب، والحكيم المقرب، أبو عبد الله الحسين « الريحانة الثانية » ، وهما ابنا عليٍّ بن أبي طالب (عبد مناف)[1] بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان [2] .

نَسبٌ كأنَّ عليهِ من بدرِ الدُّجى * نُوراً ومِن فلقِ الصَّباح ضِياءً

ألقابهما :

لهما ألقاب تدل على علو شأنهما، ومكانتهما ، ومنها :

1 . **السِّبطان**: أي سِبطا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والسّبط هو وَلَد الولد، ويُغَلَّبُ على وَلَد البنت، مقابل الحفيد الذي هو وَلَد الابن، فأطلق عليهما سبطا النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكونهما ابنَي فاطمة الزّهراء بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ويطلق السبط على الجماعة الراجعين إلى أصل واحد، ولذلك سمي الحسن والحسين سبطين لأنهما والنبي صلى الله عليه وآله وسلم من أصلٍ واحد.

---

(1) أبو طالب اسمه: عبد مناف.

(2) الطبقات الكبرى (3/ 19)، الإصابة (1/ 507).

قال ﷺ في حسين: «حسينٌ مني وأنا من حسينٍ، أحبّ الله من أحب حسيناً، حسينٌ سِبطٌ من الأسباط»[1].

2. **ريحانتا النبي ﷺ**: عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، أنّ النبي ﷺ قال عن الحسن والحسين رضي الله عنهما : «هما ريحانتايَ من الدُّنيا»[2]. سبحان الله!! لقد شبّه النبي ﷺ حفيديه الحسن والحسين بالريحانتين، والريحانة نبتٌ معروف هو المشموم ، وهو من أنواع النباتات العطريَّة ، وكما أنَّ الرَّيحان يشمُّ فكذا الولد مما يشمُّ ويقبَّل .

وقوله ﷺ: «مِنْ الدُّنْيَا» أي: نصيبي من الريحان الدنيوي، والمعنى: أنّ الحسن والحسين مما أكرمني الله تعالى بهما وحباني إيّاهما، لأن الأولاد يُشمَّون، ويقبَّلون، فكأنهما من جملة الرَّياحين.

و«**الريحانة**» استعملت هنا إما على سبيل الاستعارة، أو على سبيل الحقيقة :

- فالاستعارة لارتياح النبي ﷺ عند رؤيتهما ، فكما أنَّ الطِّيب يبعث الارتياح إلى النَّفس عند شمّه ، فكذا الحسنين كانا يبعثان الارتياح إلى نفس رسول ﷺ عند رؤيتهما .
- والحقيقة حينما يأخذهما ويشمُّهما، فإنه يجد منهما انطلاقاً من العاطفة والرَّحمة والرِّيح الطيبة ، مثلما يجد من شمَّ الريحانة بالفعل ، ونحن نشاهد هذا بين الوالدين والطفل ، فتجد الأم لو كانت مكتئبة وولدها غائب عنها، فإذا أخذته -وخاصة إذا كان صغيراً- فإنها تقبّله وتشم رائحته، وقد قال سبحانه في قصة يعقوب مع يوسف: { إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ } [يوسف:94] .

---

(1) أخرجه ابن ماجه (141) والترمذي (3708) وأحمد (16903) السلسلة الصحيحة (1227).

(2) رواه البخاري (3543).

3. **السيَّدان:** عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: « الحسنُ والحسينُ سيِّدا شبابِ أهل الجنة، وأبوهُما خيرٌ منهما »[1]. والسيّد هو الرئيس على القوم، وهو مشتقٌ من السُّؤدَد، وقيل من: السواد، لكونه يرأس على السواد العظيم من الناس، أي الأشخاص الكثيرة .

وسيادة الحسن والحسين لشباب أهل الجنة ، تحتمل عدّة معانٍ :

- يعني أنّهما أفضل من مات شابًا في سبيل الله من أصحاب الجنة، فإن قيل بأنّهما ماتا وقد كهلا ! قلنا : ليس المراد بالشباب في الحديث سنَّ الشباب ، وإنّما ما يفعله الشباب من المروءة ، كما يقال :«فلانٌ فتى» وإن كان شيخًا، يشير إلى مروءته وفتوته .

- أو أنّ لهما السيادة والسؤدد على أهل الجنة ، عدا الأنبياء والخلفاء الراشدين، وذلك لأن أهل الجنة كلهم في سنٍّ واحدٍ وهو الشباب، وليس فيهم شيخٌ ولا كهلٌ .

- أو أنّهما الآن سيدا شباب من هم من أهل الجنة من شبان هذا الزمان [2].

4. **ومن الألقاب التي اختص بها الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه خامس الخلفاء الرّاشدين** : إنّ سيرة الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه ، هي في الحقيقة امتدادٌ لدراسة الخلافة الراشدة، فالحسن رضي الله عنه بحقٍّ خامسُ الخلفاء الراشدين: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وقد يعجب البعض من هذا الكلام؛ لأنّنا قد تعوّدنا على سماع إطلاق لقب: «خامسِ الخلفاءِ الراشدين» على الخليفة الأموي: عمرَ بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وهذا اللقب أطلقه بعض المؤرخين وأهلِ السّير مجازًا، لأنه اشتهر بالعدل في نفسه

(1) أخرجه ابن ماجه (118) ، وصحّحه الألباني في صحيح ابن ماجه .

(2) تحفة الأحوذي (10/ 186) .

وأهله وقومه، وقد اجتهد عمرُ بن عبد العزيز ﷺ في السير على نهج الخلفاء الراشدين الأربعة.

أما أمير المؤمنين الحسن بن علي ﷺ، فهو خامسُ الخلفاء الراشدين على الحقيقة، فخلافته كانت خلافةً راشدةً حقة، لأن مدَّته في الحكم كانت تتمةً لمدة الخلافة الراشدة التي أخبر النبي ﷺ أنها مدّتها ستكون ثلاثين سنة ثم تصير ملكًا، قال رسول الله ﷺ: «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملكٌ بعد ذلك»[1].

مولد الحسنين ﷺ وتسميتُهما:

استقبل البيت النبوي، الريحانة الأولى، والسبط الأكبر، والسيد المسود، الحسن ﷺ في رمضان سنة ثلاث من الهجرة النبوية على الصحيح، قال الليث بن سعد: ولدت فاطمة بنت رسول الله ﷺ الحسن بن علي ﷺ في شهر رمضان من ثلاث، وولدت الحسين في ليال خلون من شعبان سنة أربع[2]، ولم يكن بينهما إلا طهر واحد.

في ذلك اليوم المبارك عمّت الفرحة بيت فاطمة ﷺ، فرح الأب علي ﷺ بمولد الحسن، وسارع الصحابة بتهنئة الأبوين بهذا السبط المبارك، وقد كان السلف الصالح ﷺ يسرعون في زفّ البشرى لأهل المولود الجديد، وقد ثبت عن الحسن البصري تهنئة لطيفة يقول فيها: «بورك لك في الموهوب، وشكرت الواهب، ورزقت برّه، وبلغ أشده »[3].

وعندما سمع جدّه المصطفى ﷺ بخبر مولد الحسن ﷺ، غمرته الفرحة

(1) رواه الترمذي (2226) . وصحّحه الألباني في صحيح الترمذي .

(2) نسب قريش (1/ 23).

(3) رواه ابن أبي الدنيا في العيال (1/ 365).

الشديدة، وبدا عليه الارتياح، وعانقه الانشراح، وقام من ساعته إلى بيت الزّهراء، ونادى: أين ولدي؟ فأتي بالسّبط، وحمله المصطفى ﷺ بين يديه، وسأل عليًّا عن الاسم الذي اختاره لهذا المولود الجديد ؟

فعن علي رضي الله عنه أنّه لما ولد الحسن سماه حمزة، فلما ولد الحسين سمّاه باسم عمه جعفر، يقول علي رضي الله عنه : فدعاني رسول الله ﷺ فقال: «إني أُمِرتُ أن أغيِّر اسم هذين، فقلت: الله ورسوله أعلم، فسماهما حسنًا وحسينًا»[1]، وفي هذا الحديث معنى عظيم، وهو أنّ النبي ﷺ أُمِر بتغيير اسمِ الحسن والحسين، فأمَر أباهما عليًّا بمباشرة ذلك، ولا شكّ أنّ الله تعالى هو الآمر بتغيير اسم هذين المولودَين.

وفي رواية أخرى: أنّ عليًّا رضي الله عنه سمّى الحسن: حرباً، فجاء النبي ﷺ فقال: «أروني ابني ما سميتموه؟ قال: حرباً، قال: لا، بل هو حسن، فلما ولد الحسين سمّاه عليٌّ: حرباً، فجاء النبي ﷺ فقال: أروني ابني ما سميتموه؟ قال: حرباً، قال: بل هو حسين، فلما ولد الثالث سمّاه عليٌّ: حرباً، فقال: بل هو محسِّن، ثم قال ﷺ: إني سميتهم بولد هارون: شَبّر وشُبَيْر ومشبِّر»[2].

وفي هذه الرّواية معانٍ أخرى عظيمة، من أبرزها: أنّ الرسول ﷺ عندما سمى الحسن والحسين رضي الله عنهما ، عدل بهما عن مسمّيات قبل الإسلام، وما تدل عليه أسماؤها من القتال وسفك الدماء، فاختار لهما أكرم الأسماء وأجل المعاني، الدّالة على الحُسْن والجمال.

إنّه نداءٌ إلى الآباء والأمهات، أن يحرصوا على حُسنِ اختيار أسماء أبنائهم، حُسنًا

---

(1) أخرجه أحمد (1370)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (2709).

(2) تقدم تخريجه .

في اللفظ، وحُسنًا في المعنى، موافقًا للنظر الشّرعي، واللسان العربي، يحمل معنىً كريمًا، ووصفًا صادقًا، وهذا ليس بصدقةٍ يتصدّق بها الوالد على ولده، بل هو حقٌ من حقوق الولد، ولا بدّ أن ندرك بأنّ تمييع الأسماء جبنٌ يورث تمييع الشمائل والطباع، والاسم يؤثر على المسمى، لقد كان المسلمون على عدوهم جنادل وصخورًا، يوم وجدنا فيهم صدِّيقًا وفاروقًا، وكانوا عليهم غُصصًا وسمومًا يوم وجدنا فيهم حسنًا وحُسينًا .

أما الأسماء والألقاب الرِّخوة، فلا يرضى بها إلا العبيد، وما شاعت هذه الرخاوة يوم كان المسلمون سادة، وإنّما راجت بينهم عندما أضاعوا السيادة والقيادة، أما والله لو نادى منادٍ ببعض هذه الأسماء المُمَيّعة في حضرة عمر رضي الله عنه لهاجت شِرَّته، وبادرت بالجواب دِرّته.

فإن لم يكن حسنُ فِعالٍ فليكن قوةُ اسمٍ وكنيةٍ ولقبٍ وحُسنُ فَال

وجاء في آخر الرواية: «إني سمّيتهم بولد هارون: شَبّر وشُبَيْر ومُشَبِّر» ومّما نستفيده من هذا الجزء من الرّواية: أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم حرص على اتّباع هُدى الأنبياء الذين كانوا قبله، حتى في هذه الجزئية اليسيرة، قال تعالى: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ** ﴾[1] فالرّسل والأنبياء وفّقهم الله تعالى لدينه الحق، فأمر الله تعالى رسوله محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم باتّباع هداهم، وسلك سبيلهم.

وفي رواية عند عبد الرزاق الصنعاني عن عكرمة أنه قال: «لما ولدت فاطمة الحسن بن علي جاءت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسماه حسنًا، فلما ولدت حسينًا جاءت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله، هذا أحسن من هذا، تعني حسينًا، فشق له

---

(1) [الأنعام:90].

من اسمه فسماه حسينًا»[1].

وعند ابن عساكر أن الذي قال: هذا أحسن من هذا، هو النبي ﷺ[2].

ونقل النووي عن بعض أهل العلم أنه قال: «إنَّ الله تعالى حجب اسم الحسن والحسين حتى سمَّى بهما النبي ﷺ ابنيه الحسن والحسين»[3]

هذه المعاني العظيمة التي وردت في هذه الرّوايات، لابد أن نراعيها عند تسمية أبنائنا وبناتنا، ونجتنبَ الأسماء التي دلّت الشريعة على تحريم تسمية المولود بها، كالتسمية بالأسماء الأعجمية المولّدة للكافرين الخاصة بهم، وكم نحن نرى من أبناء المسلمين من يتسمّى بأسماء الكفرة والملحدين، كجورج، وديانا، وبطرس، وجون، وغيرها، وهذا التقليد الأعمى، يدلّ على قلةِ علمٍ، وبلادة ذهن، بل هو صورةٌ من صور الانهزامية.

أضحى هذان الاسمان الشريفان علمين بارزين للشخصيتين النبيلتين الحسن والحسين رضي الله عنهما، وكانا بداية مباركة لكل من أراد أن يبتغي الخير في دنيا الأسماء، إذ هام المحبون بحبهما، واقتدوا بفعلهما، وساروا على دربهما.

تأذين رسول الله ﷺ في أذن الحسن والحسين:

كان السعد يصاحب السيدين الجليلين الإمامين الحسنين من أول وهلة برزا فيها إلى الدنيا، إذ حضيا بأندى صوت في الدنيا يؤذن في أذنيهما اليمنى، ويقيم في أذنيهما

---

(1) مصنف عبد الرزاق (4/ 335)

(2) تاريخ دمشق (13/ 171).

(3) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (1/ 210).

اليسرى، فكان أول صوت طرب به قلبهما، ولذَّت به أذناهما هو صوت جدهما المعصوم ﷺ، وأول شيء صافح سمعهما وروحهما كلمات التوحيد الندية التي تنجي الإنسان من مهالك الردى.

ورد في سنن أبي داود بإسنادٍ ضعيفٍ، أنّه لما ولد الحسن رضي الله عنه أذّن رسول ﷺ في أذنيه بالصلاة[1].

وفي المعجم الكبير للطبراني[2] أن النبي ﷺ أذَّن في أذن الحسن والحسين رضي الله عنهما حين ولدا.

وتخيّلوا معي أيها الأحبّة كيف كان أول صوت مرّ على سمع السّبطين الكريم، وتغلغل في أعماق نفسيهما، صوت جدّهما العظيم: (الله أكبر.. الله أكبر) مسجلا أول لقطةٍ من لقطات التعالي على الدّنيا في حياة الإمامين الحسنين رضي الله عنهما.

ولنا وقفةٌ مع الأذان..

الذي هو شعيرةٌ عظيمةٌ من شعائر الإسلام، والذي من خصائصه: فرار الشيطان منه، فما سرّ تخصيص المولود بالأذان بأن يصوّت في أذنه؟

لابدّ أن نعلم أولا أيّها الإخوة أنّ استهلال المولود صارخًا حال ولادته، إنّما هو من مسّ الشيطان، فالشيطان يؤذي الولد في أول نشأته، فقد ثبت أن النبي ﷺ قال: «ما من مولد يولد إلا والشيطان يمَسُّه، فيستهل صارخاً من مسّ الشيطان، إلا مريم وابنها» ثم قال أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ

---

(1) أخرجه الترمذي (1514) أبوداود (5105) وفيه عاصم بن عبيدالله متفق على ضعفه.

(2) (1/ 313) من طريق عاصم أيضا.

ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾[1][2]

لكن إذا سمع الشيطان كلمات الأذان، ضعف وخار، وهرب وخنس، فقد ثبت أنّه ﷺ قال: «إذا نودي للصلاة، أدبر الشيطان وله ضُراطٌ، حتى لا يسمع التأذين»[3]، فكلمات الأذان كلماتٌ قوية، تحمل في طيّاتها كبرياء الرب وعظمته، وشهادة التوحيد، فناسب أن تكون تلك الكلمات أول ما يقرع سمع الإنسان، وفي الأذان معنى آخر، وهو أن تكون دعوته إلى الله وإلى دينه الإسلام، سابقةً على دعوة الشيطان.

وهكذا نتعلم من هدى النبي ﷺ ، استحباب الأذان في أذن المولود اليمنى ثم تقام الصلاة في الأذن اليسرى، وبذلك يكون أولَ ما يلامس أذنيه: الدعوةُ إلى الركن الركين في هذا الدين، وهو توحيد رب العالمين.

التبريك والتحنيك:

روى البزار في مسنده عن علي رضي الله عنه ، قال: «لما ولد الحسن سميته حرباً، وكنت أحب أن أكتني بأبي حرب، فجاء النبي ﷺ فحنَّكه، فقال: ما سميتم ابني؟ فقلنا: حربا، فقال: هو الحسن، ثم ولد الحسين، فسميته حربا، فأتى النبي ﷺ فحنَّكه، فقال: ما سميتم ابني؟ فقلنا: حربا، قال: هو الحسين»[4].

وورد عن عائشة رضي الله عنها : «أنّ النبي ﷺ كان يؤتي بالصّبيان، فيبرك عليهم

(1) [آل عمران:36].

(2) البخاري (3248) مسلم (2366).

(3) البخاري (583) مسلم (389).

(4) مسند البزار (1/ 436)، وفيه هانئ بن هانئ وقد تقدم.

ويحنّكهم»[1]، فمن باب أولى أن يكون جدُّ الحسنين ﷺ قد برك على حفيديه الحسن والحسين وحنّكهما.

وذكر صاحب كتاب نساء حول الرسول عن الحسن: أن النبي ﷺ تلا الأذان في مسمعه، ثم حنكه بنفسه وسماه الحسن[2]، وذكر كذلك ابن عساكر أن النبي ﷺ تفل في فيِّ الحسن رضي الله عنه[3]، وذكر أيضا ابن كثير أن النبي ﷺ حنك الحسين، وتفل في فيه، ودعا له[4].

فما معنى التبريك والتحنيك؟

يقول النووي رحمه الله معلقاً على هذا الحديث: «فيبرك عليهم، أي: يدعو لهم ويمسح عليهم، وأصل البركة: ثبوت الخير وكثرته، وقولها: فيحنّكهم، قال أهل اللغة: التحنيك أن يُمضَغ التمرُ أو نحوُه، ثم يدلك به حَنَك الصغير»[5].

ووقت التحنيك: يكون عقب التأذين إن أمكن ذلك، **والذي يقوم به**: رجلٌ عرف بالتقوى والصّلاح، وفي ذلك تأسٍ بالصحابة الكرام، حيث حرصوا على إرسال أبنائهم إلى النبي ﷺ ليحنّكهم، وكان ﷺ يستخدم التّمر في التحنيك، وقد أثبت الطبّ الحديث فوائد هذا التحنيك، الذي هو بكل المقاييس معجزةٌ نبوية، فالتّمرُ مثلُ حليب الأم، يحمل جميع الفيتامينات التي يحتاجها جسم الغلام حال ولادته.

---

(1) مسلم (286).

(2) انظر: نساء حول الرسول لمحمد برهان (ص103).

(3) تاريخ دمشق (13/ 168).

(4) البداية والنهاية لابن كثير (8/ 150).

(5) شرح مسلم (3/ 194).

حلق شعر رأس الحسن والحسين رضي الله عنهما :

عن جعفر الصّادق عن أبيه محمد الباقر أنه قال: وزَنَت فاطمة بنت رسول الله ﷺ شعر حسن وحسين وزينب وأم كلثوم فتصدَّقت بزنة ذلك فضة»[1]، وعن محمّد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشّهيد عن علي رضي الله عنه : أنّ النبي ﷺ عقّ عن الحسن رضي الله عنه شاةً، وقال: «يا فاطمة احلقي رأسه، وتصدّقي بزنة شعره فضة» فوزنته، فكان وزنه درهماً أو بعض درهم[2].

وروى البيهقي من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل عن علي بن الحسين عن أبي رافع قال: «لما ولدت فاطمة حسناً قالت: يا رسول الله ألا أعقُّ عن ابني بدمٍ؟ قال ﷺ : لا ولكن احلقي شعره، وتصدّقي بوزنه من الوَرِق على الأوفاض – يعني أهل الصفة– ففعلت ذلك، فلما ولدت حسينًا فعلت مثل ذلك»[3].

أمّا عن حكمة ذلك: فقد قال الشيخ الدهلوي رحمه الله: «السبب في التصدق بالفضة، أن الولد لما انتقل من الجنينية إلى الطفلية، كان ذلك نعمةً يجب شكرها، وأحسن ما يقع به الشكر ما يؤذن – يشعر –أنه عوضه... وأما تخصيص الفضة فلأن الذَّهب أغلى، ولا يجده إلا غنيٌّ»[4]

فيُستحب لمن وُلد له ولد أن يسمّيه يوم أسبوعه، ويحلق رأسه، ويتصدق عند الأئمة الثلاثة بزنة شعره فضةً أو ذهباً .

---

(1) موطأ مالك (1067).

(2) رواه الترمذي (1519) والحاكم (3/ 197). وحسّنه الألباني .

(3) رواه البيهقي (9/ 304) ، وحسّنه الألباني في إرواء الغليل (4/ 403) .

(4) حجة الله البالغة (2/ 385).

العقيقة عن الحسن والحسين رضي الله عنهما :

كانت العقيقة عند العرب أمراً لازماً، فأبقاها الرسول ﷺ ورغّب الناس فيها، إلا أنّه غيّر في تقاليدها، فعن بريدة رضي الله عنه قال: « كنا في الجاهلية إذا ولد لأحدنا غلامٌ ذبح شاة، ولطخ رأسه بدمها، فلما جاء الله بالإسلام كنا نذبح شاة، ونحلق رأسه، ونلطخه بزعفران»[1]

وورد عن ابن عباس: «أنّ رسول الله ﷺ عقّ عن الحسن والحسين كبشًا كبشًا»[2]، وقد رُوي عن فاطمة أنّها عقَّت عنهما، وأعطت القابلة فخذ شاة وديناراً واحداً[3].

وهل يقال شيءٌ عند العقيقة؟

ورد في ذلك حديثٌ عن أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: « عقَّ رسول الله ﷺ عن حسن شاتين، وعن حسين شاتين، ذبحهما يوم السابع، ومشقهما، وأمر أن يماط عن رؤوسهما الأذى، قالت: قال رسول الله ﷺ: اذبحوا على اسمه، وقولوا: بسم الله، اللهم لك وإليك، هذه عقيقة فلان»[4].

ختان الحسن والحسين رضي الله عنهما :

---

(1) رواه أبوداود (2843) وقال الألباني: (حسن صحيح).

(2) أخرجه أبو داود (2841) ،قال الألباني في صحيح أبي داود : (صحيحٌ ، لكن في رواية النسائي: كبشين كبشين، وهو الأصح).

(3) تحفة المودود (ص55).

(4) رواه عبدالرزاق (7963) والبيهقي (9/ 303) حسّن إسناده النووي في المجموع (8/ 428) وابن المنذر كما في تحفة المودود (ص65).

الختان هو: قطع الجلدة التي على رأس الذكر، عن أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «أنّ رسول الله ﷺ ختن الحسن والحسين يوم السابع من ولادتهما»[1]، وينبغي أن نعلم أنّ الختان من أمور الفطرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الأبط»[2]

فهذه بعض الأمور التي تعلّقت بمولد الحسنين، والتي حريٌ بنا كمسلمين أن نطبّقها، ونعمل بها، وما عرضنا لسيرة الحسن والحسين رضي الله عنهما إلا لهذا الهدف النبيل.

جولة في بيت الحسن والحسين رضي الله عنهما

إنّ الرحلة إلى حيث بيت الحسن الحسين رضي الله عنهما، ورؤية دقائق حياتهما وأسلوب معاملتهما أمرٌ مشوّق للغاية، سنعود قرونًا خلت، ونقلّب صفحات مضت، نقرأ فيها، ونتأمّل سطورها، سنقوم بزيارة السبطين رضي الله عنهما في بيتهما عبر الحروف والكلمات، وسندخل بيتهما، ونرى حالهما وواقعهما، نستلهم الدروس، ونستنير بالقول والفعل.

ها نحن نطلّ على المدينة المنوّرة، وهذا أكبر معالمها البارزة بدأ يظهر أمامنا، إنّه مسجد الرسول ﷺ، إنّه المسجد الذي يصطفّ فيه الصحابة الكرام رضي الله عنهم يصلّون فيه خلف أعظمِ البشر، سيدِ ولد آدم ﷺ، إنه المسجد الذي يصلي فيه الحسن والحسين رضي الله عنهما، إنّه المسجد الذي شرع لنا شدّ الرحال إليه، إنه المسجد الذي انبثقت منه معالم الإسلام، وظهرت منه مكارم الأخلاق، وخرج من رحابه الخلفاء الأفذاذ، والقادة الأبطال، والأئمة الأعلام، والسادة الأطهار.

---

(1) قال ابن الملقن: (رواه الحاكم والبيهقي من رواية عائشة قال الحاكم صحيح الإسناد) انظر البدر المنير (8/ 751).

(2) مسلم (257).

وعندما نلج بيت الحسن والحسين ﭭ، ونرى بناءه وهيكله، لا نتعجّب إن رأينا المسكن الصغير، والفراش المتواضع، فإنّ عليًا ﮄ والد الحسن والحسين من أزهد الناس في الدُّنيا، لا ينظر إلى زخارفها وأموالها، وقبله جدهما رسول الله ﷺ، الذي كانت الدنيا عنده لا تساوي جناح بعوضة، فكان ينام على الحصير ليس بينه وبين شيء، حتى يُرى الحصير قد أثَّر في جنبه، وما أكل خبزا مرققا حتى قبضه الله، ولا رأى شاة سميطاً حتى لحق بربه، صلوات ربي وسلامه عليه، وما الحسنان إلا بضعة من النبي العظيم، والرسول الكريم، ولحمة من أبيهما ذي القدر المكين.

أوصاف بيت الحسنين ﭭ:

إن بيتهما كان مبنيًّا من جريدٍ عليه طين، من حجارة مرضومة[1]، وسقفه من جريد، وهكذا كانت بيوت الصحابة ﭫ، حتى يقول الحسن البصريّ: «كنت أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان بن عفّان، فأتناول سقُفَها بيدي»[2]، وهو لاشك أنّه بيتٌ متواضع، ومكانٌ ضيّق، لكنه عامرٌ بالطاعة والإيمان، حيٌّ بالوحي والقرآن، كظٌّ بالعبادة والذكر بالغدو والآصال.

ونحن نقترب من بيت الحسنين ﭭ، ونطرق بابهما استئذاناً، أذنا لنا، واستقر بنا المقام في وسَط بيتهما ﭭ، سلام عليكما أبا محمد وأبا عبد الله، ألا تأذنان لنا أن نجيل النظر في بيتكما، لننقل إلى الأجيال صورة عن بيتكما ؟

نسأل الصحابة رضوان الله عليهم عن الحسن والحسين عليهم سحائب الرضوان، وعن بيتيهما، فينقل لنا الصحابة ﭫ أن واقع هذا البيت من فرشٍ وأثاثٍ

---

(1) مرضومة: أي بعضها فوق بعض.

(2) الطبقات الكبرى لابن سعد (1/ 501).

وأدواتٍ متواضع، إنّه بيتٌ أساسه التواضع، ورأس ماله التقوى، والبركة تحلّ في نواحيه، والملائكة تحفّه، والرحمة تتغشاه؛ لما فيه من الذكر، والشياطين يفرون منه؛ لأنها لا تدخل بيوت الذاكرين، خاصة أنّ جدران بيت الحسن والحسين رضي الله عنهما تخلو من الصور التي يعلّقها كثير من الناس اليوم، فقد قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة، فقال: لا تدع صورة إلا محوتها، ولا قبراً إلا سوّيته»[1]، كما ورد في كتاب الوسائل[2]، وجاء في كتاب الكافي: عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال جبريل عليه السلام: «يا رسول الله إنا لا ندخل بيتاً فيه صورة إنسان»[3].

بعض أدوات البيت:

أطلق بصرك، لترى بعضًا مما كان يستعمل في الحياة اليومية، فهناك الدرع الحطميَّة، التي شهدت بطولات علي رضي الله عنه، ومعاركه الحربية، وأيامَ البأسِ والشدّة، وقد كان ثمنُ هذا الدرع مهراً لفاطمة، عندما ابتاعه عثمان بن عفّان رضي الله عنه من علي رضي الله عنه، ثمّ وهبه إيّاه، فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعثمان بن عفّان رضي الله عنه.

وفي تلك الزاوية توجد جرَّتان للماء، وهما اللتان بعث بهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى بيت علي رضي الله عنه[4].

وانظر إلى تلك الناحية، إنّه الفراش الذي ينام عليه أهل البيت عليهم السلام، فهو من

---

(1) وسائل الشيعة (3/ 562).

(2) وانظر هذه الرواية في صحيح مسلم (969) بنحوها.

(3) الكافي (3/ 393)، وانظر بنحو هذه الرواية في صحيح البخاري (3055) ومسلم (2104).

(4) أخرجه أحمد (797). وحسّنه شعيب الأرنؤوط: (2 / 203).

جلد كبش، ينامون عليه في الليل، وفي النهار تعلف عليه فاطمةُ ناضحهم[1]، والوسادة من الجلد المدبوغ، حشوها ليفٌ، أما اللحاف فهو متواضع وقصير، قطيفة إذا غطيت بها الرؤوس تكشفت الأقدام، وإذا غطيت الأقدام تكشفت الرؤوس[2].

ولو نقلنا النظر، شاهدنا الرَّحى الذي كانت فاطمة رضي الله عنها تطحن به حتى تأثّرت يداها، فبدأت تشكو مما تلقى في يدها من الرحى، ففي صحيح البخاري عن علي أنّ فاطمة رضي الله عنها أتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحى، وبلغها أنه جاءه رقيقٌ – أي: سبي –، فلم تجده في البيت، فذكرت ذلك لعائشة رضي الله عنها، فلما جاء الرسول أخبرته عائشة، قال: «فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبنا نقوم، فقال: على مكانكما، فجاء فقعد بيني وبينها حتى وجدت برد قدميه على بطني، فقال: ألا أدلكما على خير مما سألتما، إذا أخذتما مضاجعكما أو أويتما إلى فراشكما، فسبحا ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين، وكبرا أربعا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم»[3] وبقي أهل هذا البيت، محافظين على وصيّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم طيلة حياتهم، حتى قال علي رضي الله عنه: «ما تركته أو تركتهن منذ سمعته – أو سمعتهنَّ من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قيل له: ولا ليلة صفين؟ قال ولا ليلة صفين»[4] ومعنى ذلك: أنّ الشغل الذي كان فيه علي بن أبي طالبٍ ليالي صفين، لم يمنعه مما أرشده إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

الله أكبر.. إنها تربية إمام الصابرين، وقدوة الغر المحجلين، إنها تربية مصطفوية لهذا البيت الفاطميِّ المجيد، على الصبر والزهد، فكانت السيدة فاطمة وبعلها رضي الله عنهما

---

(1) كنز العمال (7/ 133)، المرتضى للندوي (ص:41).

(2) أخرجه أحمد (797). وحسّنه شعيب الأرنؤوط : (2 / 203) .

(3) أخرجه البخاري (4942).

(4) البخاري (5047) ومسلم (2727).

مثالَ تطبيقِ الأوامر المحمَّدية، لا يحيدان عنها، ولا يبغيان سوى تنفيذِها، يطلبان بذلك طاعة الرحمن، وجنة الرضوان.

مـن مثلُ فاطمـةَ البتـولِ وبعلِهـا | أعنـــي عليـــًّا ســـيدَ الفرســـانِ
نـــالا مـــن المختـــارِ أعـــلى رتبـــةٍ | فلأجـــل ذا فَاقَـــا عـــلى الأقـــرانِ
تركـا فراشـهما وقامـا في الـدُّجى | يتلـــذَّذان بطاعـــة الرحمــــنِ
قـد آثـرا الأخـرى عـلى الـدنيا ومـا | فيهـا مـن العـيش اليسـير الفـاني[1]

فمن هنا خرج السبطان، وفي هذا البيت تربّى الريحانتان، نشآ في حضن النبوة، على مسمع ومرأى من جدهما ﷺ .

طعـام الحسنين رضي الله عنهما:

قد يتساءل البعض، كيف كـان طعـام الحسـن والحسـين وشرابهما، أكانـا يعيشـان عيشة الملوك؟ أم أرفع وأعظم؟

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما شَبع آل محمـد ﷺ مـن خبـز شـعيرٍ يـومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ »[2]، قال الحـافظ ابـن حجـر في الفـتح: «والـذي يظهـر أن سببَ عدمِ شبعهم غالبا، كان بسبب قلّـة الشيء عنـدهم، عـلى أنهـم كـانوا قـد يَجِـدونَ ولكن يُؤثرون علَى أَنفسهم»[3].

---

(1) انظر: رجال أهل البيت؛ لأحمد خليل جمعة (ص321-323)، نقلا عن كتاب الروض الفائق (ص:217-218).

(2) أخرجه مسلم (5276).

(3) فتح الباري لابن حجر (9/ 519).

ولا تعجب من أن الحسن والحسين رضي الله عنهما كانا أحيانًا لا يجدان ما يأكلان! فعن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يبيتُ الليالي المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاءً، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير»[1]، هكذا كانت معيشةُ علي وفاطمة والحسن والحسين، معيشة زهدٍ وتقشف، وصبرٍ وجَهْد.

الحسن والحسين رضي الله عنهما خارج البيت:

ولما كَبُر الحسن والحسين رضي الله عنهما قليلاً كانت أولى خطواتهما الصغيرة تتَّجه للمسجد النبوي الشريف، ولقاء جدّهما صلى الله عليه وسلم نبي هذه الأمة.

فذات يومٍ اصطحب الحسن أخاه الحسين رضي الله عنهما إلى المسجد النبوي، وقد اجتمع الصحابة رضي الله عنهم فيه، يستمعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخطبهم من أعلى منبره، فدخل الحسن، وقد أمسك بيمين الحسين، وعليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان، ويمشيان وسط الناس، فلما رآهما جدّهما صلى الله عليه وسلم نزل وأخذهما، ثم صعد بهما، ثم قال: «صدق الله: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ ﴾[2] نظرتُ إلى هذين فلمْ أصبِر» ثم أخذ في الخطبة[3]. هكذا كانت محبة الجدّ لحفيديه رضي الله عنهما ، ورحمته بالصغار، فكانت مكانة الحسنين في الحضرة النبوية رفيعة، ودرجتهما عند خليل الله سامية.

وقد كان الحسن والحسين رضي الله عنهما معتادين المسجد، فلم يكن يمنعهما ظلام الليل من أن يحظيا بروحانية المسجد النبوي، وصحبة جدّهما صلى الله عليه وسلم .

ثمّ تأمّل معي هذا الحديث العظيم، الذي يكشف لنا كيف أنّ الله كان يحرس تلك

---

(1) أخرجه الترمذي (2283) وابن ماجه (3338) وصحّحه الألباني في مختصر الشمائل (125).

(2) [التغابن:15].

(3) أخرجه أبو داود (935) وصححه الألباني.

الخطوات وينير لها الطريق.

عن أبي هريرة ﵁ قال: «كنا نصلي مع رسول الله ﷺ العشاء، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، وإذا رفع رأسه أخذهما بيده من خلفه أخذا رفيقا، فوضعهما وضعا رفيقا، فإذا عاد عادا، فلما صلى وضعهما على فخذيه واحدا ههنا، وواحدا ههنا، قال أبو هريرة ﵁ : فجئته، فقلت: يا رسول الله، ألا أذهب بهما إلى أمهما؟! قال: لا، فبرقت بَرقَةٌ، فقال: الحقا بأمكما، فما زالا يمشيان في ضوئها، حتى دخلا إلى أمهما»[1]، فسبحان الله! ضوءٌ إلهي يضيء لهما ظلامَ الليل، فأنعم بهما وأكرم.

ولله در من قال:

من في الوجود ينال ظهر محمد   مثل الحسين يناله محموداً

اللعب مع الصِّغار :

ومع هذا فقد نشأ الإمام الحسن والحسين ﵄ ، نشأةً طبيعية كغيرهما من الصغار، سوِيًّا النفس، يحبّان الخروج من البيت، فيلعبان أحيانًا مع أترابهما من الصحّابة الصّغار ﵃ .

أخرج ابن ماجه وأحمد، عن يعلى بن مرة: أنه خرج مع النبي ﷺ إلى طعام دُعوا له، فإذا حسينٌ يلعب في السِّكة، قال: فتقدم النبي ﷺ أمام القوم، وبسَط يديه، فجعل الغلام يفرُّ هاهنا وهاهنا، ويضاحكه النبي ﷺ حتى أخذه، فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى في فأس رأسه فقبَّله، وقال: «حسينٌ مني وأنا من حسين، أحبَّ

(1) المستدرك للحاكم (4/ 275)، وصححه الذهبي، انظر: السلسلة الصحيحة رقم (3325)

الله من أحب حسيناً، حسينٌ سِبطٌ من الأسباط»[1].

زيارة الرسول لبيت الحسن والحسين رضي الله عنهما:

قد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم محبًّا للحسن والحسين، حتى إنّه إذا افتقدهما في المسجد ذهب يبحث عنهما في البيت، رغم ما وكل إليه من شرف الرّسالة وهمومها، لكنّ الحبّ لآل البيت عليهم السلام يجعله يأخذ من وقته الثمين جزءًا ينفقه على الحسن والحسين وأبويهما، بل يبشّرهم بأنّ هذه الصحبة والرفقة باقية إلى ما بعد الموت، في رياض الجنّة.

خرج الإمام أحمد في مسنده، عن علي رضي الله عنه قال: «دخل علي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا نائم على المنامة، فاستسقى الحسن أو الحسين، قال: فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى شاةٍ لنا بكر فحلبها فدرَّت، فجاءه الحسن فنحَّاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالت فاطمة: يا رسول الله كأنه أحبُّهما إليك، قال: لا ولكنه استسقى قبله، ثم قال: إني وإياك وهذين وهذا الراقد – يعني عليًا – في مكانٍ واحدٍ يوم القيامة»[2].

أما حالهما مع جدهما خارج البيت، فلقد بلغ من مكانتهما عند جدهما رضي الله عنهما ، أنه كان يصحبهما معه في بعض أموره، وكان يجعل أحدهما قدامه على البغلة والآخر خلفه، ويدخل الثلاثة الحجرة النبوية، فقد أورد الإمام مسلم من طريق سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أنه قال: «لقد قدتُ بنبيِّ الله صلى الله عليه وآله وسلم والحسنِ والحسينِ بغلتَهُ الشهباء حتى أدخلتُهم حجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، هذا قدامه وهذا خلفه»[3]، إنّ هذه الصّورة الجميلة تعتبر

---

(1) أخرجه ابن ماجه (141) والترمذي (3708) وأحمد (16903) انظر السلسلة الصحيحة: (1227).

(2) أخرجه أحمد (753) وانظر السلسلة الصحيحة رقم (3319).

(3) صحيح مسلم (5618).

من أحسن المقدمات الأولى في تربية الصغار، وتنشئة الأجيال على الفضائل، كما تدلّ أيضا على الرأفة بالأطفال، وتفقُّد أحوالهم، والاهتمام بما يدخل السرور على قلوبهم البريئة، تلك هي تربية المصطفى ﷺ.

أثر الواقع الاجتماعي على تربية الحسن والحسين رضي الله عنهما:

إن البيئة الاجتماعية المحيطة لها دورٌ فعال ومهم في صناعة الرجال وبناء شخصيتهم، فالحسن والحسين رضي الله عنهما عاشا في زمن ساد فيه الصحابة رضي الله عنهم، وساد الرعيلُ الأول الذي تربى على يدي رسول الله ﷺ، فهيمنت الفضيلة والتقوى والصلاح على ذلك المجتمع الفريد، وكثر الإقبال على طلب العلم، والعمل بالكتاب والسنة.

فهذه الحالة دفعت الحسن والحسين إلى الاستفادة والاقتداء بالمجتمع الذي يعيشا فيه، فالصحابة رضي الله عنهم الذين استوطنوا المدينة في حياة الرسول ﷺ كمٌّ كبير، وجمٌّ غفير، منهم الخليفة الراشد، ومنهم الصنديد المجاهد، ومنهم العالم الزاهد، ومنهم المختلي بربه العابد، وكل هذه الصفات كانت في رسول الله ﷺ أعلى وأتم، وأكمل وأعظم، فاكتسب صغار الصحابة من كبارهم أخلاق نبيِّهم، واستفادوا منهم في كل شؤونهم.

في الحقيقة إن مجتمعاً عاش فيه الرسول ﷺ وتربَّى فيه على يديه أولئك الرجال، لهو مجتمع لا يدانيه أي مجتمع آخر،كيف لا، والله تعالى يقول: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

(1) [آل عمران:110].

فقد شاهد هذا المجتمعُ الوحيَ وصاحبَ الدّعوة ﷺ، فكان لهذه الملازمة والصحبة آثارٌ نفسية ومعان إيمانية، وتعلقٌ روحيٌ، إنه مجتمع المربي محمد ﷺ، ومجتمع التلامذة المخلصين رضي الله عنهم، وهو الذي صاغ شخصية الحسن والحسين، من الناحية التربوية والعلمية.

الباب الرابع:

صفات الحسنين الخَلقية والخُلقية

صفات الحسنين الخَلْقية:

كان الحسن بن علي رضي الله عنه سيداً، وسيماً، جميلاً، أبيض اللون مُشرباً بحمرة، أدعج العينين، سهل الخدين، كث اللحية، كأن عنقه إبريق فضة، عظيم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين، ليس بالطويل ولا بالقصير، من أحسن الناس وجهاً، جعد الشعر، حسن البدن[1]، ومن بركات الله سبحانه وتعالى على الحسن أنه كان أشبه الناس بجده صلى الله عليه وآله وسلم[2].

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «لم يكن أحد أشبه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم من الحسن بن علي رضي الله عنهما»[3].

أما الحسين فكان شجاعًا، سخيًا، فاضلاً، ديناً، سيدًا، وسيمًا، جميلاً، وقد كان من أشبه الناس بجدّه صلى الله عليه وآله وسلم كذلك، قال ابن عباس عن الحسين رضي الله عنه: «إنا كنا نشبهه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم»[4].

وعن عبيد الله بن أبي يزيد قال: «رأيت الحسين بن علي: أسود الرأس واللحية، إلا شعرات في مقدم لحيته»، وعن عمر بن عطاء: «رأيت الحسين يصبغ بالوَسمة، كان رأسه ولحيته شديدي السواد»[5]، وعن السدي قال: «رأيت الحسين وله جُمة خارجة

---

(1) سير أعلام النبلاء (3/ 49)، أخبار الدول (ص:105).

(2) الحسن بن علي فتيخان كردي (ص:24).

(3) البخاري (3542).

(4) التاريخ الكبير للبخاري (2/ 381).

(5) أورده الذهبي في السير (3/ 281).

من تحت عمامته»[1] والجمة: مجتمع شعر الرأس.

فمن فضل الله على الحسنين السبطين أنهما اشتركا في مشابهة النبي ﷺ، فكانت صفاتهما الخلقية تشبه صفات رسول الله ﷺ، كما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: «كان الحسن بن علي أشبههم برسول الله ﷺ من شعر رأسه إلى سرته، وكان الحسين بن علي أشبههم برسول الله ﷺ من لدن قدميه إلى سرته، اقتسما شبهه»[2].

وقال محمد بن الضحاك الحزامي: «كان وجه الحسن بن علي يشبه وجه رسول الله ﷺ، وكان جسد الحسين يشبه جسد رسول الله ﷺ»[3].

ثمّ أقول : إنَّ شبه الحسن والحسين رضي الله عنهما بجدِّهما رسول الله ﷺ في الخَلقِ والخُلُق ليعدُّ من بركات الله سبحانه وتعالى عليهما ! ومن ألطف ما رواه الحسن رضي الله عنه عن جدّه ﷺ أنّه قال : « ما حسَّن الله خَلْق عبدٍ وخُلُقه إلا استحيا أن تَطعم النارُ لحمَه ! » [4].

صفات الحسنين الخُلُقية :

كانت لمعاشرة الحسنين رضي الله عنهما لجدهما خير البرية ﷺ أثر كبير في تنشأتهما، والتخلق بأخلاق جدهما الذي قال الله عنه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[5]، فاكتسبا من مشكاة النبوة أخلاقًا جمة، واستفادا منها صفات كثيرة، وتعلَّما من معينها الذي لا

(1) سير أعلام النبلاء (3/ 291).

(2) تاريخ دمشق (14/ 125).

(3) تاريخ دمشق (14/ 127).

(4) تاريخ بغداد (12/ 286) ، وذكره صاحب فيض القدير عن عائشة ، وقال : «رواه الخطيب عن الحسن بن علي ، وطرقه كلها ضعيفة لكن تقوى بتعددها وكثرتها » .

(5) [القلم:4].

ينضب علومًا متنوعة، وأصبغاها على حياتهما اليومية، فكانا خير خلف لخير سلف، وأطيب فرع لأطيب أصل، فشخصية الحسنين تعتبر شخصية قياديّة، فقد اتصفا رضي الله عنهما بصفات القائد الرّباني، فكان من أهم صفاتهما: إيمانهما العظيم بالله واليوم الآخر، وتحليهما بالعلم الشرعيُّ، والثقة بالله، والقدوة، والصِّدق، والكفاءة، والشَّجاعة، والمروءة، والزُّهد، وحب التضحية، والتّواضع، وقبول النصيحة، والحلم والصَّبر، وعلو الهمَّة، والحزم، والإدارة القويَّة، والعدل، والقدرة على حلِّ المشكلات .. وغير ذلك من الصِّفات، وبسبب ما أودع الله فيهما من الصفات العالية، والأخلاق السامية، أصبحا علمين من أعلام الأمة، إذ صارت سيرتهما محل قدوة وأسوة، وصار حسن تدبيرهما مكان رعاية واهتمام.

ومن أهم تلك الصِّفات التّي أعطتهم هذه المكانة، والتي نحاول تسليط الأضواء عليها:

علم الحسنين رضي الله عنهما :

لقد ترعرع الغلامان السيدان الحسن والحسين رضي الله عنهما في بيت سيّد الأنام ﷺ ، يتأدّبان بأدبه ويتعلّمان من علمه، ويتربّيان على تربيته، حتى بلغا الذروة في العلم والأدب، كيف لا ؟ وقد تلقّيا علومهما الأولى على يد جدِّهما رسول الله ﷺ ، ثم على يد والدهما علي رضي الله عنه ، وعلى أيدي كرامِ الصحابة رضي الله عنهم .

حفظا القرآن وهما صغيران، ورويا عن جدهما الأحاديث، وأيضًا رويا عن أبيهما، وطائفةٍ من الصحابة رضي الله عنهم ، وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يعلّم الناس كتاب الله تعالى، ومن بينهم: الحسنُ والحسين، فتعلَّما منه منهجه لبيان الحكمِ الشرعي، وطريقتَه في الاستنباط، والتي كان من أهم ملامحها: الالتزام بظاهر القرآن الكريم،

وحمل المطلق على المقيّد، و المجمل على المفسّر، والعلم بالناسخ والمنسوخ، والنظر في لغة العرب، وفهم النّص بنصٍ آخر، إلى غير ذلك، فكان القرآن الكريم لذلك الجيل – ومنهم الحسن والحسين – هو المنهج التربوي، إضافة إلى الهدي النبوي، الذي يصوغ الشخصيّة، ويطهّر القلوب، ويزكّي الأنفس، لتبصر الحقائق في عالم الوجود.

وكان من شيوخهما الذين حفظا عليهم القرآن الكريم: عبد الله بن حبيب بن ربيعة أبو عبد الرحمن السلُّمي، مقرئ الكوفة، أخذا عنه القراءة، فكان يقرئهما عشرين آيةً بالغداة، وعشرين آيةً بالعشي، وكان فقيهاً، وتوفي في الكوفة في خلافة عبد الملك بن مروان، وكان ثقةً كثير الحديث[1].

وكان منهجه رحمه الله في تعليم القرآن الكريم منهج الصحابة الكرام، فعن أبي عبد الرحمن السُّلمي قال: «حدّثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفّان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما، أنَّهم كانوا إذا تعلَّموا من النبي ﷺ عشر آيات، لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلَّمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً» ولهذا كانوا يبقون مدّةً في حفظ السُّورة[2]، ويعتبر أبو عبد الرحمن السُّلمي شيخ الحسن والحسين رضي الله عنهما في القرآن الكريم، وهو من أشهر تلاميذ عثمان بن عفان رضي الله عنه[3].

وقد سار الحسنان على نفس الطريقة في حفظ وفهم والعمل بالقرآن الكريم.

ومن خلال سيرتهما الكريمة نعلم أنهما كانا والقرآن لا يفترقان، إذ كانا يريان أن في تلاوته الروح والريحان، والخيرات الحسان.

---

(1) تهذيب التهذيب (5/ 183–184) الطبقات (2/ 173).

(2) انظر: تفسير ابن جرير (1/ 60) الفتاوى (13/ 177).

(3) تيسير الكريم المنّان في سيرة عثمان بن عفان (ص:25).

فهذا الحسن السبط الأول، والسيد الأجل، كان يقرأ في بعض خطبه سورة إبراهيم، كما كان يقرأ كل ليلة سورة الكهف قبل أن ينام، وكان يقرؤها من لوح كان يدور معه حيث كان في بيوت نسائه، فيقرؤه بعدما يدخل في الفراش قبل أن ينام، عليه سحائب الرضوان[1].

ومن المؤكد أيضًا أنَّ السيد الحسين رضي الله عنه عالمٌ من رجال أهل البيت، الذين جمعوا إلى حفظ كتاب الله تعالى فهم مقاصده وأحكامه وعلومه، فهم معدن العلم، وينبوع المعرفة والفهم، والمتتبع لكتب التفسير وعلوم القرآن سيجد للحسين السبط وقفات جميلة، وإشارات لطيفة، ومعان تدل على علمه، بالإضافة إلى روايته عن جده من الأحاديث ما يدل على سعة علمه، وقوة إدراكه.

ومما يدلُّ على علمهما، ومكانتهما رضي الله عنهما، وأنهما محل ثقة، وإليهما ترد الفتاوى: شهادة الصحابة لهما بالعلم، فعن مجاهد قال: «جاء رجلٌ إلى الحسن والحسين فسألهما، فقالا: إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لحاجة مجحفة، أو لحمالة مثقلة، أو دين فادح، فأعطياه. ثم أتى ابن عمر فأعطاه ولم يسأله، فقال له الرجل: أتيت ابني عمك فسألاني وأنت لم تسألني؟ فقال ابن عمر: هما ابنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنهما كان يغران بالعلم غرا»[2].

والسبطان يعتبران ممن يُؤخذ عنهما الفقه والأحكام، ويُقتدى بهما في مسائل الاجتماع والوئام، فقد كانا حريصين على جمع الأمة، ولمِّ شعثها، ومما يدل على هذا ما أوردته المصادر الوثيقة عن أبي جعفر عن أبيه قال: «كان الحسن والحسين رضي الله عنهما

---

(1) انظر فضائل القرآن للقاسم بن سلام رقم (381) والبداية والنهاية (8/ 19).

(2) تاريخ دمشق (14/ 174)، وتاريخ بغداد (9/ 366).

يصلِّيان خلف مروان بن الحكم الأموي، ولا يعيدانها، ويعتدان بها»[1]، وذكر الذهبي أنه قيل لأبي جعفر: «أما كانا يصليان إذا رجعا إلى منازلهما؟ قال: لا والله»[2].

وكان للسبطين رضي الله عنهما تلاميذ أخذوا عنهما العلم الذي ورثوه من جدهما صلى الله عليه وسلم.

فمن تلاميذ الحسن بن علي رضي الله عنه: ابنه الحسن، والمسيب بن نجبة، وسويد بن غفلة، والعلاء بن عبد الرحمن، والشعبي، وهبيرة بن يريم، والأصبغ بن نباتة، وجابر بن خالد، وأبو الحوراء، وعيسى بن مأمون بن زرارة، ويقال: ابن المأموم، وأبو يحيى عمير بن سعيد النّخعي، وأبو مريم قيس الثقفي، وطحرب العجلي، وإسحاق بن يسار والد محمد بن إسحاق، وسفيان بن الليل، وعمر بن قيس الكوفي[3].

وتظهر غزارة علمه، ودقة فقهه في علم المصالح والمفاسد، ومعرفته العميقة بمقاصد الشريعة في تقديمه وحدة الأمة، وحفظ الدماء، على المصلحة الخاصة من ملك الدنيا عندما تنازل لمعاوية رضي الله عنه.

أما الحسين رضي الله عنه فقال عنه الحافظ ابن حجر في كتاب الإصابة: «وقد حفظ الحسين أيضًا عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه، أخرج له أصحاب السنن أحاديث يسيرة، وروى عن أبيه، وأمه، وخاله هند بن أبي هالة، وعن عمر.

وروى عنه أخوه: الحسن، وبنوه: علي زين العابدين، وفاطمة، وسكينة، وحفيدُه الباقر والشعبيُ، وعكرمةُ، وسِنان الدؤلي، وكَرَزُ التيمي، وآخرون»[4].

---

(1) البداية والنهاية (8/ 258).

(2) تاريخ الإسلام للذهبي (2/ 112).

(3) تاريخ دمشق (14/ 5).

(4) الإصابة لابن حجر (1/ 226).

وقال الحافظ الذهبي في سيره: «حدَّث عن جده، وأبويه، وصهرِه عمر- بن الخطاب - وطائفة، حدَّث عنه: وَلدَاه: علي، وفاطمة، وعبيدُ بن حنين، وهَمّامُ الفرزدق، وعكرمة، والشعبيُ، وطلحةُ العقيلي، وابنُ أخيه زيد بن الحسن، وحفيدُه محمد بن علي الباقر، وابنته سكينة، وآخرون»[1].

تواضع الحسنين رضي الله عنهما:

من الأخلاق التي اتصف بها الحسن والحسين رضي الله عنهما: التواضع، وخفض الجناح، والرفق بالناس، اقتبسا هذا الخلق من سيد المتواضعين، وإمام المتقين، من جدهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فهذا الحسن بن علي رضي الله عنه ريحانة خليل الرحمن، مرّ على جماعة من الفقراء قد وضعوا على وجه الأرض كسيرات من الخبز كانوا قد التقطوها من الطريق، وهم يأكلون منها، فدعوه إلى مشاركتهم، فأجابهم إلى ذلك وهو يقول: إنَّ الله لا يحب المتكبرين، ولما فرغ من تناول الطعام دعاهم إلى ضيافته، فأطعمهم، وكسَاهم، وأغدق عليهم من إحسانه[2].

ومن مواقف تواضعه: أنه مرّ على صبيان يتناولون الطعام فدعوه لمشاركتهم، فأجابهم إلى ذلك، ثم حملهم إلى منزله، فمنحهم ببره ومعروفه، وقال: «اليد لهم؛ لأنهم لم يجدوا غير ما أطعموني، ونحن نجد أكثر منه»[3].

أما الحسين بن علي رضي الله عنه فقد سجَّل له التاريخ أروع المواقف في التواضع، كما

---

(1) سير أعلام النبلاء (3/ 280).

(2) حياة الإمام الحسن بن علي (1/ 291)

(3) مدارج السالكين (2/ 327).

روى أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: «مرَّ الحسين بمساكين يأكلون في الصفة، فقالوا: الغداء، فنزل وقال: إن الله لا يحب المتكبرين، فتغدى معهم، ثم قال لهم: قد أجبتكم فأجيبوني، قالوا: نعم. فمضى بهم إلى منزله، فقال للرباب: أخرجي ما كنت تدخرين»[1].

وذكر أبو نعيم الأصبهاني عن الحسين رضي الله عنه أنه كان من ولاة الفقراء وأهل الصفة، يجلس معهم طلبًا في مجالستهم ومحبتهم الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه أمر بالصبر على مجالستهم ومخالطتهم، كما حكى عن الحسين بن علي التبرم من العيش مع من يخالف سيرتهم[2] .

فصفة التواضع من صفات عباد الرحمن، قال الله تعالى وتبارك: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾[3]، والتواضع علامة من علامات حب الله للعبد، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ ﴾[4] فمن سيرة الحسنين ابنا علي رضي الله عنهما نتعلم صفة التواضع.

تواضع تكن كالنجم لاح[5]لناظر على صفحات الماء وهو رفيع

---

(1) تاريخ دمشق (14/ 18).

(2) انظر: المصدر السابق (2/ 39).

(3) [الفرقان:63].

(4) [المائدة:54].

(5) الأخلاق بين الطبع والتطبع (ص:128): لاح: ظهر وبرز.

ولاتــك كالــدخان يعلــو بنفســه على طبقـات الجـو وهـو وضـيع[1]

كرم الحسنين رضي الله عنهما :

ومن الأخلاق القرآنية، والصفات النبوية، التي تتصف بها النفوس الكريمة، والتي تجسدت في شخصية الحسن والحسين رضي الله عنهما، خلق الكرم والجود، وكثرة الإنفاق في سبيل الله تعالى. وتنويه القرآن الكريم بأهل الكرم عظيم، وقد كان هذا التنويه من القرآن الكريم في أول سُوَره، حيث يقول سبحانه في مستهل ثاني سورة بعد البسملة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾[2] ثم وصفهم بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾[3].

وقد تأثَّر أمير المؤمنين الحسن وأخوه الحسين بالقيم القرآنية، والأخلاق النبوية، والتربية العملية، في حضن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، وانعكس ذلك على نفسيتهما، فتركا لنا آثاراً بارزة دالة على تأصل خلق الجود والكرم والإنفاق في شخصيتهما العظيمة، وكيف لا يكون كذلك وقد شبَّا وكبرا في بيت أكرم الكرماء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، الذي كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وقد تسلسلت إليهما هذه الخلة الكريمة، وتشربتها أنفسهما في الطفولة، وأخبار كرمهما وجودهما أصبحت مضرب

---

(1) المصدر السابق (ص:128).

(2) [البقرة:3].

(3) [البقرة:5].

الأمثال، وقدوة العظماء من الرجال[1].

فمن ذلك: ما قاله محمد بن سيرين: «ربما أجاز الحسن بن عليٍّ الرجل الواحد بمائة ألف»[2] وقال سعيد بن عبد العزيز: «سمع الحسن رجلاً إلى جانبه يدعو الله أن يملكه عشرة آلاف درهم، فقام إلى منزله فبعث إليه»[3].

وذكروا أنه رأى غلاماً في حائط من حوائط المدينة يأكل من رغيف لقمة، ويطعم كلباً هناك لقمة، فقال له: ما حملك على هذا؟ فقال: إني أستحيي من أن آكل ولا أطعمه، فقال له الحسن: لا تبرح مكانك حتى آتيك، فذهب إلى سيده فاشتراه، واشترى الحائط الذي هو فيه، فأعتقه، وملَّكه الحائط، فقال له الغلام: يا مولاي قد وهبت الحائط للذي وهبتني له[4].

وقال أبو هارون العبدي: «انطلقنا حجَّاجًا فدخلنا المدينة، فدخلنا على الحسن بن علي، فحدثناه بمسيرتنا وحالنا، فلما خرجنا بعث إلى كل واحد منا بأربعمائة، فرجعنا، فأخبرناه بيسارنا، فقال: لا تردُّوا علي معروفي، فلو كنت في غير هذه الحال لكان هذا لكم يسيراً، أما إني مزودكم، إن الله يباهي ملائكته بعباده يوم عرفة»[5].

وما ذكرناه عنه إنما هو قطرة من بحر، وإلا فكرمه معلوم، وعطاؤه لا نستطيع بأقلامنا حوله أن نحوم.

---

(1) الدوحة النبوية الشريفة (ص:84)

(2) تهذيب الكمال (6/ 234)

(3) سير أعلام النبلاء (3/ 260)

(4) البداية والنهاية (11/ 196).

(5) سير أعلام النبلاء (3/ 261).

أما الكرم الحسيني فلا يألوا أن يكون دون كرم أخيه، بل هو مثله أو قريب، وما ذلك إلا لأنهما شربا من معين واحد، واستقيا من لبان النبوة، فعن الذيال بن حرملة قال: «خرج سائل يتخطى أزقة المدينة، حتى أتى باب الحسين بن علي، فقرع الباب، وأنشأ يقول:

لم يخب من رجاك ومن ... حرَّك من خلف بابك الحلقة

فأنت ذو الجود أنت معدنه ... أبوك ما كان قاتل الفسقة

قال: وكان الحسين بن علي واقفًا يصلي، فخفَّف من صلاته، وخرج إلى الأعرابي، فرأى عليه أثر ضر وفاقة، فرجع ونادى بقنبر، فأجابه لبيك يا ابن رسول الله ﷺ قال: ما تبقَّى معك من نفقتنا؟ قال: مائتا درهم أمرتني بتفرقتها في أهل بيتك، قال: فهاتها فقد أتى من هو أحقُّ بها منهم، فأخذها وخرج يدفعها إلى الأعرابي، وأنشأ يقول:

خذها وإني إليك معتذر ... واعلم بأني عليك ذو شفقة

لو كان في سيرنا عصا تمدادا ... كانت سمانا عليك متدفقة

لكن ريب المنون ذو نكد ... والكف منا قليلة النفقة

قال: فأخذها الأعرابي وولى وهو يقول:

مطهّرون نقيات جيوبهم ... تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا

وأنتم أنتم الأعلون عندكم ... علم الكتاب وما جاءت به السور

من لم يكن علويا حين تنسبه ... فما له في جميع الناس مفتخرُ»[1]

---

(1) تاريخ دمشق (14/ 185).

ومن كرم السبط الثاني الحسين صاحب المقال العالي، ما جاء عن الأسود بن قيس العبدي قال: «قيل لمحمد بن بشير الحضرمي: قد أسر ابنك بثغر الري، قال: عند الله أحتسبه، ونفسي ما كنت أحب أن يؤسر ولا أن أبقى بعده، فسمع قوله الحسين فقال له: رحمك الله أنت في حل من بيعتي، فاعمل في فكاك ابنك، قال: أكلتني السباع حيًا إن فارقتك – وكان معه في كربلاء – قال: فأعط ابنك هذه الأثواب البرود يستعين بها في فداء أخيه، فأعطاه خمسة أثواب قيمتها ألف دينار»[1].

عبادة الحسنين رضي الله عنهما :

كان الحسنان ابنا علي رضي الله عنهما من المجتهدين في العبادة، ومارسا مفهوم العبادة الشامل في حياتهما، فقد رضعا العبادة مع ما رضعاه من معدن النبوة، وتربية الزهراء، التي جاءت إلى أبيها عليه الصلاة والسلام لتطلب خادمًا، فدلّها على ما هو أفضل من ذلك: ألا وهو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير[2].

وقال لها ولزوجها في الليل وهما في الفراش: «ألا تقومانِ تصلِّيان؟»[3]، فأطلّ الحسن والحسين على الحياة في بيت الزهد والعبادة، والورع والتقى، والحلم والصبر، فانغمسا في هذه المفاهيم والمثل والمبادئ، حتى غديا أمثالاً من مُثُلها، يشهد لهما بذلك معاصروهما من الصحابة الأبرار رضي الله عنهم .

فكانا رضي الله عنهما كثيري الصوم والصلاة، والحج والصدقة، وأفعال الخير جميعها، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : «ما ندمتُ على شيء فاتني في شبابي إلا أني لم أحج ماشياً،

---

(1) المصدر السابق (14/ 182)، وتهذيب الكمال للمزي (6/ 407).

(2) البخاري (3502).

(3) البخاري (1075).

ولقد حجَّ الحسن بن علي خمساً وعشرين حجة ماشياً، وإن النجائب لتُقاد معه، ولقد قاسم الله ماله ثلاث مرات، حتى أنه يعطي الخف ويُمسك النَّعل»[1]. ولقد علّل حجَّه ماشياً بقوله : « إنّي أستحي من ربي عزوجل أن ألقاه ولم أمشِ إلى بيته ! » [2].

ومضى على هذا الدرب أخوه الحسين رضي الله عنه كما ذكر الزبيري فقال: «حجَّ الحسين خمسا وعشرين حِجة ماشيا على قدميه[3]، وإبله تقاد بين يديه» كما كان يفعل أخوه، لكنه كان يسلك طريقاً غير الذي يسلكه الناس، حتى لا يشقوا على أنفسهم في تقليده فيمشون في الطريق الذي مشى فيه.

وكان الحسن والحسين إذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطّمونهما مما يزدحمون عليهما، للسلام عليهما رضي الله عنهما [4].

لقد كان الحسن والحسين رضي الله عنهما عابدَين لله تعالى بمعرفة، مقبلَين على الله بيقين، مدبرَين عن الدنيا وشواغلها برضى واطمئنان، ولهذا كان الحسن رضي الله عنه إذا توضَّأ وفرغ من الوضوء تغيَّر لونه، فقيل له في ذلك، فقال الحسن: «حقٌّ على من أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغيَّر لونه»[5]، فالحسن بن علي رضي الله عنه يدرك أنّ العبد كلما اقترب من مولاه، وتعرف على أسمائه وصفاته، ونعوت كماله، ازدادت هيبته وإجلاله وخوفه منه، فهو سبحانه وتعالى يداول الأيام بين الناس، قال تعالى: ﴿ **قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي**

(1) سير أعلام النبلاء (3/ 260) .

(2) تاريخ دمشق (14/ 71) .

(3) أورده الذهبي في السير عن مصعب الزبيري (3/ 287)، الطبراني (3/ 115) وقال الهيثمي عنه: «بإسناد منقطع».

(4) البداية والنهاية (8/ 37) .

(5) وفيات الأعيان (2/ 69).

ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ ﴾[1] يقلب الدول، فيذهب بدولة، ويأتي بأخرى، وأوامره متعاقبة على تعاقب الآيات، نافذة بحسب إرادته، فما شاء كان، كما يشاء، في الوقت الذي يشاء، على الوجه الذي يشاء، من غير زيادة ولا نقصان، وأمره وسلطانه نافذ في السماوات وأقطارها، وفي الأرض وما عليها.

فالحسن رضي الله عنه حينما يقف بين يدي الله في الصلاة يتغيّر لونه؛ تعظيمًا لجناب الله، وخوفًا من لقاء الله، هكذا كانت مراقبة الحسن لله تعالى، وخوفه من لقاءه، بل أكثر، فقد ذكر ابن سعد في طبقاته، عن مزيد بن حوشب أنّه قال: «ما رأيتُ أخوف من الحسن بن علي، وعمر بن عبد العزيز كأنَّ النار لم تخلق إلا لهما»[2].

الله أكبر.. إنّ استشعار عظمة الله وجلاله، ومعرفة أسمائه وصفاته، تولد عند العبد خشية، وخوفاً، ومهابة من هذا الإله العظيم، الذي يخضع له كل شيء: ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾[3].

كانت ثمرة استشعارهما لعظمة ربهما أنهما كانا يبتهلان إليه في كل أحوالهما، فهذا الحسين رضي الله عنه، كان كثير الدعاء والتضرّع، وإظهار الافتقار إلى الله وحده، فنراه في وقعة الطف (61 هـ) يغتسل ويتطيب بالمسك، ثم يركب فرسه ويستقبل القوم رافعاً يديه يدعو: «اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدَّة، وأنت فيما نزل بي

(1) [آل عمران:26].

(2) الطبقات الكبرى (5/ 398)

(3) [الرعد:15].

ثقة، وأنت وليُّ كل نعمة، وصاحبُ كل حسنةٍ»[1].

أما صلاة الليل التي هي زاد المؤمنين، ورفعة المتقين، وثمرة اليقين، فقد كان السبطان رضي الله عنهما يكثران منها، عملًا بقوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾[2]، فكان الحسن رضي الله عنه يأخذ نصيبه من القيام في أول الليل، وكان الحسين رضي الله عنه يأخذه من آخر الليل[3]، وهكذا كانا يقتسمان قيام الليل، والغريبُ أنّ الحسين رضي الله عنه لم يترك قيام الليل حتى في آخر ليلة من حياته، أتدرون لماذا؟ لأن قيام الليل شرف المؤمن، كما قال جدّ الحسين صلى الله عليه وآله وسلم: «شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزّه استغناؤه عن الناس»[4].

ولما تأهَّب جيش أهل الكوفة للحرب طلب منهم الحسين رضي الله عنه التأخر إلى الغد، وقال: «لعلنا نصلي لربنا الليلة، وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أني قد كنت أحبُّ الصلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء، والاستغفار»[5].

وفي الحقيقة أنه مهما كثرت دعاوى المحبة طولب أصحابها بالدليل، فالبينة على من ادعى، والشاهد عليهم ساعات الليل، فأهل القيام هم الأشراف بين الناس، أما أهل النوم والغفلة فقد فضحتهم تلك الساعات، فأسقطت ذكرهم، وأدنت

---

(1) سير أعلام النبلاء: (3/ 275، ومن كتب الشيعة : تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي(3/ 94).

(2) [الذاريات:18].

(3) الزهد لابن حنبل (ص:171)، رهبان الليل (1/ 403) للعفاني.

(4) صحيح الجامع (3701).

(5)) تاريخ الطبري(3/ 315).

شرفهم[1].

ومن سيرة الحسن والحسين ابني علي نتعلم أهمية قيام الليل، فبالليل يتم غرس بذور الإخلاص والصدق، وعلى قدر غرسك يكون الخير في قلبك، وكلما ازدادت مساحته، ازداد توالي الهدايا عليه من كل جانب ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا ﴾[2].

إن قيام الليل من أهم صور الشكر التي كان يمارسها الريحانتان ﭫ، فشكر الله ﻷ على نعمه التي لا تعد ولا تحصى غاية من غايات العبودية، والشكر عمل، والعبد الشكور هو الذي يظهر عليه أثر النعمة، وأبلغ أثر للنعمة ينبغي أن يظهر على العبد هو زيادة الذل والانكسار والتعظيم لولي النعم[3].

كان الحسن بن علي ﭬ إذا صَلَّى الغَداةَ في مسجد رسول الله ﷺ يجلس في مصلاَّه يذكر الله حتى ترتفع الشمس، ويجلس إليه من يجلس من سادات الناس يتحدّثون عنده، ثم يقوم فيدخل على أمهات المؤمنين فيُسلِّم عليهن، وربما أتحفنه، ثم ينصرف إلى منزله[4].

والحسين ﭬ في لحظاته الأخيرة، والسيوف تتخطفه، والناس يقتربون منه، ويريدون قتله، ذكر الصلاة، فرفع الحسين رأسه ثم قال لأحد أصحابه: «ذكرتَ الصلاة، جعلكَ الله من المصلين الذاكرين، نعم هذا أول وقتها، ثم قال: سلوهم أن

---

(1) الإيمان أولاً (ص:173).

(2) [الأنفال:70].

(3) الإيمان أولاً (ص:174).

(4) البداية والنهاية (11/ 193، 194)

يكفّوا عنا حتى نصلي»[1].

القانتـــون المخبتـــون لربهـــم	النـــاطقون بأصـــدق الأقـــوال
يحيـــون ليلهـــم بطـــاعة ربهـــم	بـــتلاوة وتضـــرع، وســـؤال
وعيـــونهم تجـــري بفـــيض دمـــوعهم	مثـــل انهـــمال الوابـــل الهطّـــال
في الليـــل رهبـــان وعنـــد جهـــادهم	لعـــدوهم مـــن أشـــجع الأبطـــال
بوجـــوههم أثـــر السجـــود لـــربهم	وبهـــا أشـــعة نـــوره المتـــلالي[2]

لقد كان الحسنان رضي الله عنهما عالمين فقيهين ورعين، يخافان ربهما ويخشيانه،كما أنهما تعلّما منذ الصغر فنون العلم والأدب، ولقد آتاهما الله عز وجل ملكة الخطابة، وطلاقة اللسان، وحُسنَ البيان، لما كانت ألسنتهما رطبة بذكره، حية بدعائه واستغفاره.

وكان الحسنان يكثران من ذكر الله وحمده، ودعائه واللجوء إليه، كما روي عن الحسن بن عليٍّ قال : علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلماتٍ أقولهنَّ في قنوت الوتر : « اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، إنّه لا يذلّ من واليت، تباركت ربنا وتعاليت»[3]. وكان من دعائه : « اللهم إنما أنا بشرٌ ، فلا تعذِّبني بشتمِ رجلٍ من المسلمين شتمتُه أو آذيتُه ! » [4].

وكان الحسين رضي الله عنه يكثر من قوله: «اللهم ارزقني الرغبة في الآخرة حتى أعرف

---

(1) تاريخ الطبري (3/ 326)، وفيه أبو مخنف.

(2) رهبان الليل (1/ 365)

(3) مسند الإمام أحمد (1735) وصحّحه شعيب الأرنوؤط : (3 / 245) .

(4) الفردوس بمأثور الخطاب (1 / ٤٦٨) .

صدق ذلك في قلبي بالزهادة مني في دنياي اللهم ارزقني بصراً في أمر الآخرة حتى أطلب الحسنات شوقاً، وأفر من السيئات خوفاً»[1].

بل كان الحسين رضي الله عنه متعلقًا بالله، وذاكرًا له في أحلك المواقف، فكان يقول في أيام كربلاء: «أُثني على الله تبارك وتعالى أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، ولم تجعلنا من المشركين»[2].

وروى عن رقبة بن مصقلة قال: لما حضر الحسن بن علي رضي الله عنه قال: «أخرجوني إلى الصَّحراء لعلي أنظر في ملكوت السماوات، يعني: الآيات، فلما أخرج به، قال: اللهم إني أحتسب نفسي عندك فإنها أعز الأنفس علي»، وكان مما صنع الله له أنه احتسب نفسه[3].

ولما صبَّحت الخيل الحسين بن علي رضي الله عنه رفع يديه فقال: «اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، فكم من همٍّ يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، فأنزلته بك وشكوته إليك، رغبة فيه إليك عمن سواك، ففرجته وكشفته وكفيتنيه، فأنت ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل غاية»[4].

فالحسنان رضي الله عنهما كانا واهبين أنفسهما لله، بائعيها إليه، منكبّين على عبادة ربهما، متبعين

---

(1) الزهد لابن أبي الدنيا (1/ 481).

(2) تاريخ الطبري (3/ 315).

(3) المعجم الكبير للطبراني (3/ 70)، وفيه انقطاع.

(4) تاريخ الطبري (6/ 350)، ومختصر تاريخ دمشق (1/ 944).

لهدي جدهما ﷺ، ذاكرين لربهما في كل نازلة، محتسبين به عند كل كربة وبلية رضي الله عنهما وأرضاهما، وأكرم عنده منزلتهما ومثواهما، فهما خيار من خيار من خيار.

حلم الحسنين رضي الله عنهما :

تعلم الإمامان الحسنان رضي الله عنهما الحلم من سيد الحلماء، وإمام العظماء، وخاتم الأنبياء، ﷺ، وما لم يبلغهما من أخلاق رسول الله ﷺ كان أبوهما رضي الله عنهما يعلمهما، ومن أجل ذلك كان علي رضي الله عنه يجلس مع الحسنين أو أحدهما فيسأله عن مكارم الأخلاق، وصفات المروءة، وكان مما سأل عليٌّ الحسن ابنه رضي الله عنهما عن الحلم، فقال له: «ما الحلم؟ قال: كظم الغيظ ومَلْكُ النفس»[1].

ومن المواقف التي نعرف من خلالها حلم الحسن رضي الله عنه : أنه كان بينه وبين مروان بن الحكم كلامٌ، فأقبل عليه مروان فجعل يغلظ له، والحسن ساكت، فامتخط مروان بيمينه، فقال الحسن رضي الله عنه : «ويحك أما علمت أن اليمين للوجه، والشمال للفرج، أفٍ لك، فسكت مروان»[2]، فانظروا كيف سكت الحسن رضي الله عنه عندما أغلظ له مروان في الكلام، لأنّ خطأ مروان كان يمسّ الحسن شخصيًّا، فسكت عن حقِّ نفسه، لكن عندما خالف مروان السّنة، لم يسكت الحسن، بل غضب الحسن رضي الله عنه لله وللسنة، وأبان له الصّواب فيها، فلله درّه رضي الله عنه .

ولما مات رضي الله عنه ، بكى مروان بن الحكم في جنازته، فقال له الحسين رضي الله عنه :«أتبكيه وقد كنت تجرِّعه ما تجرِّعه؟ فقال: إني كنتُ أفعل ذلك إلى أحلمَ من هذا» وأشار إلى

---

(1) البداية والنهاية (11/ 202).

(2) سير أعلام النبلاء (3/ 260)

الجبل[1].

ومن نوادر حلم الحسن بن علي رضي الله عنه التي سجَّلها التاريخ ما ذكره ابن عائشة: أن رجلاً من أهل الشام، قال: «دخلتُ المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، فرأيت رجلاً راكباً على بغلة، لم أرَ أحسن وجهاً، ولا سمتاً، ولا ثوباً، ولا دابة منه، فمال قلبي إليه، فسألت عنه، فقيل: هذا الحسن بن علي بن أبي طالب، فامتلأ قلبي بغضاً له، وحسدت علياً أن يكون له ابن مثله[2]، فصرت إليه، فقلت: أأنت ابن علي بن أبي طالب؟ قال: أنا ابنه، قلت: فعل بك وبأبيك، أسبهما، فلما انقضى كلامي، قال لي ـ الحسن ـ : أحسبك غريباً، قلت: أجل، قال: مُر بنا، فإن احتجتَ إلى منزلٍ أنزلناك، وإن احتجتَ إلى مالٍ آسيناك، أو إلى حاجة عاونَّاك، قال الرَّجل الشاميُّ: فانصرفتُ عنه، وما على الأرض أحب إليَّ منه، وما فكرت فيما صنع وصنعت إلا شكرته وخزيت نفسي !»[3] .

رقيق حواشي الحلم لو أن حلمه بكفيك ما ماريت في أنه برد

وأما الحسين رضي الله عنه ، فقد مزج حلمه بأدب القرآن، وكلمات الرحمن، ومما ذكره أهل الأدب عن حلمه الشريف، وخلقه العالي المنيف، قالوا: «جنى غلامٌ له جنايةً توجب العقاب عليه، فأمر به أن يضرب، فقال: يا مولاي ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ ﴾[4]

(1) تهذيب الكمال (6/ 235)

(2) أبغَض عليًّا وأبغَض ابنه الحسن رضي الله عنهما ، وهل مثلهما يُبغض؟ لكن هذا ما درج عليه الخوارج، من بغضٍ لأهل البيت عليهم رضوان الله.

(3) وفيات الأعيان (2/ 67، 68) .

(4) [آل عمران:134].

قال: خلوا عنه، قال: يا مولاي ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾[1] قال: قد عفوت عنك. قال: يا مولاي ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[2] قال: أنت حر لوجه الله، ولك ضعف ما كنت أعطيك»[3] لقد علم هذا الغلام مدى ارتباط الحسين بالقرآن، فذكّره بصفات المتّقين، الواردة في سورة آل عمران: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[4]، فسارع الحسين رضي الله عنه إلى الاتّصاف بصفات المتّقين في ذلك الموقف، وما رضي أن يسيطر عليه الغضب، بل عفا وأحسن إلى ذلك الغلام، وأعتقه لوجه الله تعالى، وضاعف له العطاء! نعم .. إن نطقَ نطق عن علم، وإن سكتَ سكت عن حلم، وإن عفَا عفا عن قدرة !

صفوح عن الإجرام حتى كأنه من العفو لم يعرف من الناس مجرماً

فليس يبالي أن يكون به الأذى إذا ما الأذى بالكره لم يغش مسلماً[5]

فهذه المواقف الكريمة من سيرة الإمامين الحسنين ابني علي رضي الله عنهما نتعلم منها الحلم، وكيفية كسب المخالفين، ونرى فيها اقتداءهما بجدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في نبذ ما يحاك في الصدور من أمر الجاهلين، حيث إن الله أمره فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ

(1) [آل عمران:134].

(2) [آل عمران:134].

(3) ربيع الأبرار للآبي (1/ 68).

(4) [آل عمران:134].

(5) انظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص62)

وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾[1] .

الحلم ردع للسفيه عن الأذى وفي الخرق إغراء فلا تلك أخرقا

فتنـدم إذ لا تنفعنك ندامة كما نـدم المغبـون لّما تفرَّقا[2].

وهؤلاء هـم أحفـاد رسـول الله ﷺ ، وسـادة النـاس، وأشراف الخلق،كـانوا مـع ربهـم يتضرّعون إليـه، ويكثرون مـن طاعتـه، والتقـرب إليـه بـأنواع العبـادة القوليـة والعملية، السرية والجهرية، الظاهرة والباطنة، فلما حسنت علاقتهم مع ربهـم حسَّـن الله تعالى أخلاقهم مع الناس، فأصبحوا ممّن يُضرب به المثلُ في الجود والكرم، والحلـم والتواضع، والعفو عن الناس، وقول كلمة الحق بدون أن يخافوا لومة لائم.

(1) [الأعراف:199].

(2) الأخلاق بين الطبع والتطبع (ص:151)

الباب الخامس:

فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما

1 -أكرم الناس أصلاً:

في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومع توسّع الفتوحات الإسلاميّة، أمر عمر بن الخطاب بوضع الديوان، فقال المسلمون: يبدأ أميرُ المؤمنين بنفسِه، فقال عمر: لا، ولكن ضَعُوا عمر حيث وضعه الله، فبدأ بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثمَّ مَن يليهِم، حتى جاءت نوْبَتُه في بَنِي عديٍّ، وهم متأخِّرون عن أكثر بطون قريش[1]، ثمّ بدأ بعدها بتوزيع العطايا، ففرض للحسن والحسين مع أهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ـ مع أنّهما لم يشهدا بدرًا ! ـ وذلك إلحاقًا لهما بفريضة أبيهما علي رضي الله عنه مع أهل بدر، لقرابتهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[2]، ومعرفته بمنزلتهما وفضلهما، فكان عطاء عمر لهما أكثر من عطاءه لولده، حتى أنّ ابنًا لعمر جاءه يومًا يطالبه بأن يساوي بينه وبين الحسن والحسين في العطاء، فقال عمر لابنه: «ائتني بأبٍ كأبيهما، وأمٍّ كأمهما، وجدٍّ كجدهما، أعطك عطاءهما»[3].

هذا هو الأصل العريق، الذي يرجع إليه الحسن والحسين رضي الله عنهما.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتنا يا جرير المجامع

---

(1) اقتضاء الصراط المستقيم (1/ 355).

(2) أورد الذهبي في السير (3/ 285).

(3) انظر كتاب: فتوح الشام (2/ 208)، ومن كتب الشيعة: شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي- (26/ 317)، بحار الأنوار: (9/ 38).

قال معاوية رضي الله عنه – وعنده عمرو بن العاص رضي الله عنه وجماعة من الأشراف ـ: من أكرم الناس أباً وأماً وجداً وجدّة وخالاً وخالة وعماً وعمّة؟ فقامَ النعمان بن العجلان الزرقاني، فأخذ بيد الحسن رضي الله عنه ـ وقيل الحسين ـ فقال: هذا أبوه عليٌّ المرتضى، وأمُّه فاطمة الزهراء، وجده محمدٌ المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وجدته خديجةُ الكبرى، وعمّه جعفر الطيار، وعمُّ أبيه حمزة سيد الشهداء، وعمته أمّ هاني بنت أبي طالب، وخاله القاسم، وخالته زينب».

فلما خرج الحسن بن علي رضي الله عنهما من المجلس، قال بعض من حضر للنعمان: حبُّ بني هاشمٍ دعاك إلى أن قلتَ ما قلت؟ فقال النعمان: ما قلتُ غير الحق، والله ما أطاعَ رجلٌ مخلوقاً في معصية الله إلا حرَّم الله أمنيته عليه في الدنيا، ولقي الشقاء في الآخرة، بنو هاشم أنضرُ قريش عودًا وأقعدها سلفًا وأفضل أحلامًا»[1]. حقًّا لقد صدق، ما قال غير الحقّ.

أيا بضعة المختار من آل هاشم ... ويا بنت خير الخلق أنجبت الطهرا

وأنسلت الأشراف فينا ذوي التقى ... فكم أظهرت بحرًا وكم أغدقت نهرًا

2 -تسمية النبي لهما:

ومن فضائل السبطين رضي الله عنهما: أن جدَّهما صلى الله عليه وآله وسلم غيَّر اسميهما، ومنحهما أفضل الأسماء، وقد تقدم الكلام عن هذا.

3 -تأذين النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أذنيهما:

ومن فضائلهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أذَّن وأقام في أذنيهما رضي الله عنهما، فكان أول صوت سمعاه

(1) تاريخ ابن عساكر (14/ 70)، لباب الأنساب للبيهقي (ص:12).

من الدنيا هو الله أكبر، وكانا أول ما سمعا صوته في الدنيا هو صوت جدهما رسول الله ﷺ، وقد تقدم الكلام عن هذا أيضا.

4 -تولي النبي تحنيكهما وختانهما والعق عنهما:

ومن الفضائل التي حظي بها الحسن والحسين رضي الله عنهما أن جدَّهما ولي تحنيكهما بيديه الشريفتين ﷺ، وكذلك تولى العقيقة عنهما، وقام بختانهما، كما تقدم ذكر هذا عند الكلام عن ولادتهما.

5 -مباهلة الرسول ﷺ وفد نصارى نجران بأهل بيته:

كتب رسول الله ﷺ إلى نجران كتابًا يدعوهم فيه إلى الإسلام ، فلـمَّا وصلهم الكتاب قرَّروا أن يرسلوا إليه وفدًا يتكون من أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، ولما جاء وفد نصارى نجران إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، سلَّموا عليه فردَّ سلامهم، ثم سألهم وسألوه ، فلم تزل به وبهم وبه المسألة . فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام ، فقالوا :كنَّا مسلمين قبلكم، فقال النبي ﷺ : « **يمنعكم من الإسلام ثلاث: عبادتكم الصَّليب، وأكلكم الخنزير، وزعمكم أنَّ لله ولدًا** »، وكثر الجدال بينه وبينهم، والنبي ﷺ يتلو عليهم القرآن ويقرع باطلهم بالحجَّة .

وكان مما قاله لهم رسول الله ﷺ عن عيسى عليه السلام : « **إنَّه عبدُ الله ورسولُه ، وكلمتُهُ ألقاها إلى مريمَ العذراء البتُول**»، فغضبوا وقالوا: « هل رأيت إنسانًا قط من غير أب؟ فإن كنت صادقًا فأرنا مثله ! » ، فأنزل الله في الردِّ عليهم قوله سبحانه: ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ** ﴾ [آل عمران: 59، 60]. فكانت حجةً دامغة ! حينما شبّه فيها الغريب بما هو أغرب منه، فلـمَّا لم تُجدِ معهم المجادلة بالحكمة والموعظة الحسنة دعاهم إلى المباهلة امتثالاً لقوله تعالى:

﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران:61] .

فأقبل النبي ﷺ على القوم آخذًا بيد عليٍّ رضي الله عنه ، ومشتملاً على الحسن والحسين رضي الله عنهما في خميلٍ له ، وفاطمة رضي الله عنها تمشي عند ظهره للمباهلة ، وقال لهم : «إذا أنا دعوتُ فأمِّنوا». فخاف الوفد من مباهلة الرسول ﷺ ، وقال بعضهم لبعض : « لا تفعلوا ، فو الله لئن كان نبياً فلاعنَّاه لا نفلح » فأبوا أن يلاعنوه ! وقالوا: « احكم علينا بما أحببتَ » فصالحهم على أخذ الجزية . [انظر : زاد المعاد (3/ 549)،السيرة النبوية لأبى شهبة (2/ 547)، أخبار المدينة (1/ 310)،تفسير ابن كثير(1/ 452)].

6 -الشهادة لهما بالسيادة:

لقد أعلن رسول الله ﷺ مكانة هذين الإمامين وسيادتهما وجلالة قدرهما، على مرأى ومسمع من الناس في غير مرة، فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[1]. وجاء عن حذيفة أنه قال: أتيت النبي ﷺ فصليتُ معه المغرب، ثم قام يصلي حتى صلى العشاء، ثم خرج فاتبعته فقال: «ملَكٌ عرض لي استأذن ربه أن يسلم علي، ويبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[2].

وقد نقل إلينا خبر سيادة الحسن والحسين رضي الله عنهما في الجنة جمعٌ غفيرٌ من الصحابة، هم: عمر بن الخطاب ، وعليّ بن أبي طالب ، وأبو هريرة الدّوسي ، وعبد الله بن عمر ،

---

(1) سنن الترمذي (3768) وغيره ، وصححه الألباني .

(2) مصنف بن أبي شيبة(7/ 12).

وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عبّاس ، وأبو سعيد الخدري ، والحسين بن علي ، وجابر بن عبد الله ، وأسامة بن زيد ، وأنس بن مالك ، وحذيفة بن اليمان ، وقرة بن إياس المزني ، ومالك بن الحويرث ، والبراء بن عازب ، وبريدة بن الحصيب الأسلمي ، ورفاعة بن يثربي ، وجهم البلوي رضي الله عنهم [1] .

سبب كثرة الرواة لهذا الحديث :

1. لإعلان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خبر سيادة الحسن والحسين رضي الله عنهما وجلالة قدرهما مرةً بعد مرة، وفي محافل جامعة ، على مرأى ومسمعٍ من الصحابة رضي الله عنهم .
2. حبُّ الصحابة رضي الله عنهم للحسن والحسين رضي الله عنهما ، وحرصهم على دعوة النّاس إلى محبّتهما ومعرفة قدرهما واتخاذهما سادةً لهم .

وقد تواترت الروايات بقوله صلى الله عليه وآله وسلم عن الحسن: «إن ابني هذا سيد» قال ابن عبد البر: «وتواترت الآثار الصحاح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في الحسن بن علي: إن ابني هذا سيد ،وعسى الله أن يبقيه حتى يصلح بين فئتين عظيمتين من المسلمين، ورواه جماعة من الصحابة، وفي حديث أبي بكرة في ذلك: وأنه ريحانتي من الدنيا، ولا أسودَ ممن سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيدا »[2]. وجاء من حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إن ابني هذا - يعني الحسن - سيِّد، وليصلحنَّ الله به بين فئتين من المسلمين»[3].

---

(1) روايات هذه الأحاديث في مجمع الزوائد (9/ 183) والمعجم الكبير (3/ 24) الدوحة النبوية الشريفة (صـ 81).

(2) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (1/ 385).

(3) الطبراني في الكبير رقم(2597).

وعن أبي بكرة قال: «سمعت النبي ﷺ على المنبر، والحسن إلى جنبه، ينظر إلى الناس مرة، وإليه مرة ويقول: إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح بيه فئتين من المسلمين»[1].

ووصفه ﷺ للفئتين بالعظيمتين، لأن المسلمين كانوا يومئذٍ فرقتين: فرقةٌ مع الحسن، وفرقةٌ مع معاوية رضي الله عنهما، وهذه معجزة عظيمة من النبي ﷺ، حيث أخبر بهذا فوقع مثل ما أخبر، وأصل القضية: أن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه لما ضربه عبد الرحمن بن ملجم يوم الجمعة وتوفي سنة أربعين من الهجرة، وبويع ابنه الحسن رضي الله عنه بالخلافة، أقام الحسن بعدها أياماً مفكراً في أمره، ثم رأى اختلاف الناس فرقةً من جهته، وفرقةً من جهة معاوية رضي الله عنه، ولا يستقيم الأمر، ورأى أن النظر في إصلاح المسلمين وحقن دمائهم أولى من النظر في حقّه، سلّم الخلافة لمعاوية في الخامس من ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وكانت خلافته ستة أشهر إلا أياماً وسمّي هذا العام **عام الجماعة**، وهذا الذي أخبر به النبي ﷺ: «لعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

فالحديث فيه علمٌ من أعلام النبوة، ومنقبةٌ للحسن بن علي رضي الله عنه، فإنه ترك الملك لا لقلّةٍ ولا لذلّةٍ ولا لعلّةٍ، بل لرغبته فيما عند الله، لما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة، وسيأتي توضيح هذه القضية عند الحديث عن خلافة الحسن رضي الله عنه.

ولله در من قال:

ومن يك جده حقاً نبياً ... فإن له الفضيلة في الأنام

---

(1) أخرجه البخاري (3746).

وعن سعيد بن أبي سعيد قال: «كنا مع أبي هريرة جلوساً، فجاء حسن بن علي بن أبي طالب فسلَّم علينا، فرددنا عليه، وأبو هريرة لا يعلم، فمضى، فقلنا: يا أبا هريرة هذا حسن بن علي قد سلم علينا، فقام فلحقه، فقال: يا سيدي، فقلت له: تقول يا سيدي؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه لسيدٌ»[1].

وعن جابر بن عبد الله أنه قال: «من سرَّه أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن بن علي»[2].

ولما قصد معاوية رضي الله عنه مكة من منطقة (مُر)، قال لصاحب حرسه: «لا تدع أحداً يسير معي إلا من حملته أنا، فخرج يسير وحده، حتى إذا كان وسط الأراك، لقيه الحسين رضي الله عنه، فوقف وقال: مرحباً وأهلاً بابن بنت رسول الله ﷺ وسيد شباب المسلمين، دابة لأبي عبد الله يركبها» فأتي ببرذون فتحول عليه[3].

ولم تكن السّيادة في الحسن والحسين مجرّد صفةٍ خاويةٍ بلا مدلول، بل أثبتت الأيام والشهور، رسوخ صفة السيادة في الحسن والحسين رضي الله عنهما، وقد بلغت ذروتها في توفيق الله للحسن في عقد الصّلح مع معاوية، وجمع الأمة على كلمة سواء، فعلّمنا الحسنُ بأن السيادة لا تكون بالقهر وسفك الدماء، أو إهدار الأموال وانتهاك الحرمات، بل السيادة الحقيقيّة تكون بصيانة الحرمات وإزالة البغضاء والشحناء، فصلحه وحقنه لدماء المسلمين بلغ فيه ذروة السيادة، فقد صالح الحسن معاوية وحوله الألوف، فيهم من هو طامع مدسوس، ولكن فيهم الكثيرُ الكثيرُ من المخلصين

---

(1) المستدرك (3/ 169) وقال الحاكم: «صحيح» وأقرَّه الذهبي.

(2) صحيح ابن حبان (15/ 421، 422)، مجمع الزوائد (9/ 178).

(3) تاريخ الإسلام للذهبي (1/ 519).

الأوفياء، فما أراد أن تُراق بسببه قطرة دم، أو يُخدَش في هذا السبيل مسلمٌ، نعم أيّها الإخوة، إنّ السّيادة التي لا تصون الحرمات، ولا تحفظ الأموال، ولا تحقن الدّماء، هي نوعٌ من الطاغوتِ الأعمى، وتهورِ الحمقى، التي تجلب معها الدمار والخراب، والإذلال واليباب، وينتهي أصحابها إلى غضب الجبّار، ولعنة التاريخ.

7 -محبة النبي ﷺ لهما وشبههما به :

ومن فضائل الحسن والحسين: شبههما بالنبي ﷺ ، وقد مرّ بنا هذا سابقًا، وقد كان لهذا الشبه الدور الكبير في محبة النبي ﷺ، وإحلالهما في نفسه مرتبة عالية، فلقد صرح النبي ﷺ بحبهما في مواقف شتى، ومواطن متعددة، قال أسامة بن زيد: «طرقتُ باب النبي ﷺ ذات يوم في بعض الحاجة، فخرج النبي وهو مشتملٌ على شيء لا أدري ما هو، فلما فرغت من حاجتي قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه يا رسول الله؟ فكشف فإذا حسن وحسين رضي الله عنهما على وركيه، فقال: هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهم إني أحبُّهما فأحبَّهما، وأحبَّ من يحبُّهما»[1]. ولعلّنا نتساءل:لم كان النبي ﷺ يُظهر محبّته للحسن والحسين، ودعاءه لهما؟ قال صاحب (تحفة الأحوذي)[2]: «لعل المقصود من إظهار هذا الدّعاء حمل أسامة رضي الله عنه وغيرَه على زيادة محبتهما».

ويشير إلى التكريم أكثر وأكثر، ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: «من أحبَّهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني، يعني الحسن والحسين»[3].

---

(1) أخرجه الترمذي (3702) ، وحسّنه الألباني .

(2) (10/ 178).

(3) أخرجه أحمد (7537)، وانظر السلسلة الصحيحة (2895).

ومن مظاهر محبّة النبي ﷺ لريحانتيه الحسن والحسين: أنّ نبيّ الرحمة كان يقبّل سبطيه ويضمّهما إليه ويشمّهما، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «دخلتُ على رسول ﷺ والحسن والحسين يلعبان على بطنه، فقلت: يا رسول الله، أتحبّهما؟ فقال: وما لي لا أحبهما، ريحانتاي»[1].

وعند الطبراني من حديث أبي أيوب: «ومالي لا أحبُّهما، ريحانتاي من الدنيا أشمُّهما»[2].

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كنتُ مع النبي ﷺ في سوقٍ من أسواق المدينة، فانصرفَ وانصرفتُ معه، فجاء إلى فناء فاطمة، فنادى الحسن، فقال : أي لُكَعْ أي لُكَعْ أي لُكَعْ ؟ قاله ثلاث مرات، فلم يجبه أحدٌ ، قال: فانصرف وانصرفتُ معه، قال: فجاء إلى فناء عائشة فقعد، قال فجاء الحسن بن علي ، قال أبو هريرة : ظننتُ أن أمَّه حبستهُ لتجعل في عنقه السِّخَاب ، فلما جاء التزمه رسول الله ﷺ ، والتزم هو رسول الله ﷺ ، قال : اللهم إني أحبُّه فأحبَّه، وأحِبَّ من يحبُّه، ثلاث مرات »[3].

أيها الأخوة، إن للحسنين رضي الله عنهما عند رسول الله ﷺ منزلة عظيمة، ومرتبة سامية، فقد كان يحبهما، ويرعاهما، ويتولى تربيتهما، ويصرح بفضلهما، ويعلم الناس بمنزلتهما، فـرضي الله عنهما وأرضاهما، وأبغض الله من أبغضهما.

---

(1) مسند البزار(3/ 286)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(9/ 110): «رجاله رجال الصحيح».

(2) المعجم الكبير للطبراني(4/ 155).

(3) مسند أحمد (8380) وصححه شعيب الأرنؤوط (14/ 114)، وأصله في صحيح البخاري (2016) . وفي رواية أنّ الذي ناداه الرسول ﷺ هو الحسين ، مستدرك الحاكم (3/ 396). و«اللّكع» يطلق على الصَّغير ، أمّا «السِّخَاب» : فهو قلادةٌ تتخذ من طيبٍ ليس فيها ذهبٌ ولا فضةٌ ، وقيل : خيطٌ من خرز يلبسه الصبيان والجواري .

والحديث عن فضل الحسنين ومآثرهما لا ينتهي، لكن يكفينا ما اقتبسنا من بعض أنوارهم، والأهم أن نقتدي بعظيم فعالهم، ونتعرّف على؛ لتكون لنا نوراً نمشي في دربه، وقدوة صالحة نسير على نهجها.

الباب السادس :

الحسن والحسين رضي الله عنهما والمجتمع

إن البيئـة الاجتماعيَّـة المحيطـة لهـا دورٌ فعـال ومهـم في صـناعة الرجـال، وبنـاء شخصيتهم، فالحسـن والحسـين رضي الله عنهما عاشـا في زمـن سـاد فيـه الصـحابة رضي الله عنهم، سـاد الرعيـلُ الأول، الـذي تربـى عـلى يـدي رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهيمنـت الفضـيلة والتقـوى والصلاح على ذلك المجتمع الفريد، وكثر الإقبال على طلب العلـم والعمـل بالكتـاب والسنة.

ومـن ثَـمّ انعكسـت هـذه التربيـة التـي مثلهـا ذلـك الرعيـل إلى سـلوك في صـغار الصحابة رضوان الله عليهم، حتى أصبحوا صـورةً حيَّـة لكبـار أصـحاب رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان من أحسن من طبق تلك التربية في واقعه هما سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لقـد تـرك لنـا الحسـنان ابنـا عـلي رضي الله عنه مواقـف متميـزة مـن حيـاتهما في المجتمـع الإسلامي الراشدي، فقد كانا حريصين على تصحيح المفاهيم، وقضـاء حوائج الناس، ومخالطتهم بالحسنى، وإرشادهم بالمواعظ.

وَسْـــــبطاهُ جَـــــدُّهُما أَحْمَـــــدُ فَـــبخْ بَـــخْ لِجَـــدهِما وَالْأَبِ

ولله درَّ من قال : «إذا لم يكن الهاشميُّ جواداً لم يشبه قومه ! ».

أولاً : عطاء الحسنين رضي الله عنهما للمجتمع :

لقد خص الله عز وجل الحسـن والحسـين بمناقـب حِسـان، وأخـلاق فاضـلة، وشـمائل نبيلة، اقتبسوها من معلم الناس الخير، ومن أبيهما أبي الحسـن الخـير، فـنحن نأخـذ مـن معين السـيدين الحسـنين أخبـاراً وقصصـاً نـروي بـه الغُلّـة، ونشـفي بهـا العِلـة، ونـنوِّر

الدرب، ونهتدي إلى سواء السبيل، فنرشد من خلال ذلك المتعلم، ونثري المتفقه.

1 - قضاء حوائج الناس :

كان من أعظم ما تمثلاه الحسن والحسين رضي الله عنهما في حياتهما : قضاء حوائج الناس، وتسهيل الحياة لهم. فمن ذلك: أنَّ رجلاً جاء إلى الحسن بن علي رضي الله عنه، فذكر له حاجته، فخرج معه لحاجته، فقال: «أما إني قد كرهتُ أن أعينك في حاجتي، ولقد بدأت بحسين فقال: لولا اعتكافي لخرجتُ معك. فقال الحسن: لقضاء حاجةِ أخٍ لي في الله أحبّ إليّ من اعتكاف شهر»[1].

وجاء في رواية أخرى: «أنه ترك الطواف وخرج في حاجة إنسان له حاجةٌ عند شخص آخر»[2].

وجاء من كلام الحسن - وذكر بعضهم أنه من كلام الحسين رضي الله عنهما -: «إن حوائج الناس إليكم، من نعم الله عليكم، فلا تملوا النعم فتحور[3] نقماً، واعلموا أن المعروف مكسب حمداً، ومعقب أجراً، فلو رأيتم المعروف رجلاً، رأيتموه حسناً جميلاً يسر الناظرين ويفوق العالمين، ولو رأيتم اللؤم، رأيتموه سمجاً[4] مشوهاً، تنفر عنه القلوب والأبصار»[5].

وذكر صاحب كتاب (الشهب اللامعة في السياسة النافعة): أن رجلاً رفع إلى

(1) تاريخ دمشق (13/ 247)

(2) تاريخ دمشق (14/ 76).

(3) فتحور: ترجع.

(4) سمج: قبح، لسان العرب (2/ 197) سمج.

(5) الشهب اللامعة في السياسة النافعة (ص:441) التذكرة الحمدونية (ص21).

الحسن بن علي رضي الله عنهما رقعة فقال: «قد قرأتها، حاجتك مقضية، فقيل له: يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لو نظرت إلى رقعته وراجعته على حسب ما فيها، فقال: أخاف أن أُسأل عن ذل مقامه بين يدي حتى أقرأه»[1].

وقال صاحب كتاب (نور الأبصار) أن الحسين رضي الله عنه قال: «صاحب الحاجة لم يكرم وجهه عن سؤالك، فأكرم وجهك عن ردِّه»[2].

ما ماء كفِّك إن جادت وإن بخلت   من ماء وجهي إذا أفنيته عوض

وذكر صاحب (التذكرة الحمدونية) أن الحسين رضي الله عنه قال: «أيها الناس، من جاد ساد، ومن بخل رذل، وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه، وإنّ أعطى الناس من عفا عن قدرة، وإنَّ أوصل الناس من وصل من قطعه، والأصول على مغارسها بفروعها تسمو، من تعجَّل لأخيه خيراً وجده إذا قدم عليه غداً، ومن أراد الله تعالى بالصنيعة إلى أخيه كافأه بها في وقت حاجته، وصرف عنه من بلاء الدنيا ما هو أكثر منه، ومن نفّس كربة مؤمن فرج الله عنه كرب الدنيا والآخرة، ومن أحسن أحسن الله إليه، و الله يحب المحسنين»[3].

فماذا قدّمنا لأنفسنا؟ وماذا قدّمنا لديننا؟ هل قدمنا شيئًا للقبر؟ هل قدمنا شيئًا للصِّراط؟ هل قدمنا عملاً صالحًا ينفعنا يوم الكُرُبات والفضائح؟ لقد رأينا ورأيتم كثيراً من الناس يَشْكون الحاجة والفقر، مَدِينٌ لا ينام الليل، فقيرٌ لا يجد قوت يومه، مريضٌ لا يملك ثمن الدواء، هرِمٌ ليس له إلا الله تعالى، فمن هؤلاء إن أغلقتم أبوابكم دونهم،

---

(1) الشهب اللامعة في السياسة النافعة (ص:439).

(2) نور الأبصار (ص152)

(3) التذكرة الحمدونية (1/ 21) .

وحبستم عنهم أموالكم؟

واعلموا أيها الإخوة أنّ مَن قدّم خيراً فإنما يُقدّم لنفسه: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ ﴾[1].

الخـير أبقـى وإن طـال الزمـان بـه   والشرُّ أخبث ما أوعَيْتَ من زادك

فهذه المواقف تدل على حسن أخلاقهما وعظمتها، مع تواضع كبير، ولا نستغرب ذاك من سيدنا الحسن، فهو القائل: «مكارم الأخلاق عشرة: صدق اللسان، وصدق البأس، وإعطاء السائل، وحسن الخلق، والمكافأة بالصنائع، وصلة الرحم، والترحم على الجار، ومعرفة الحق للصاحب، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء»[2].

وهو القائل أيضاً: «أشد من المصيبة سوء الخلق»[3].

وبلغ السيدان الحسنان المنتهى في الجود، كما بلغا الذروة في جبر خواطر منكسري القلوب، وأصحاب الحاجات، ممن أهمهم شأن السعي والكسب، فهما فردان في إنفاق المال والسخاء به في مواطن جليلة، وكيف لا وجدهم رسول الله ﷺ يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، بل كان إذا سئل الثوب وهو لابسه لم يبرح إلا وقد أعطاه السائل، فاقتدى به ابناه الحسن والحسين رضي الله عنهما.

فهذا الحسن رضي الله عنه سمع رجلا إلى جانبه يدعوا الله عز وجل أن يملكه عشرة آلاف درهم، فقام إلى منزله فبعث بها إليه[4].

---

(1) [البقرة:110].

(2) من أقوال الصحابة، محمد خورشيد (ص:68) الحسن بن علي(ص:31).

(3) تاريخ اليعقوبي (2/ 227).

(4) سير أعلام النبلاء للذهبي (3/ 260)

تــــراه إذا مـــــا جئتــــه مُـــــتهلِّلاً　　كأنــك مُعطيــه الَّــذي أنــتَ ســائلُهْ

كــريم إذا مـا جئـت للعـرف طالبـاً　　حبـــاك بـــما تحنـــو عليـــه أناملـــه

ولــو لم يكــن في كفــه غــير نفســه　　لجـــادَ بهـــا فليتـــق الله ســـائله

ولا نستغرب ذلك أيضاً من سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنه، فهما أصل الكرم والجود، ومنبع السخاء والعطاء.

أضـاءَت لـه أحسابُهم ووجـوهُهم　　دجى الليـل حتّى نظّم الجَـزعَ ثاقبُـه

قال سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة: «حدثني ظئر كان لنا قال: قدمت بأباعر لي – عشرين أو ثلاثين بعيراً – ذا المروة أريد الميرة من التمر، فقيل لي: إن عمرو بن عثمان في ماله، والحسين بن علي في ماله، قال: فجئتُ عمرو بن عثمان فأمر لي ببعيرين أن يُحمل لي عليهما.

فقال لي قائل: ويلك ائت الحسين بن علي، فجئتُه، ولم أكن أعرفه، فإذا رجل جالس بالأرض حوله عبيده، بين يديه جفْنة عظيمة فيها خبز غليظ ولحم، وهو يأكل وهم يأكلون معه، فسلمت، فقلت: والله ما أرى أن يعطيني هذا شيئاً !

فقال: هلمَّ فكل، فأكلت معه، ثم قام إلى ربيع الماء مجراه، فجعل يشرب بيديه، ثم غسلهما، وقال: ما حاجتك؟ فقلت: أمتع الله بك، قدمت بأباعر أريد الميرة من هذه القرية، فذُكرت لي فأتيتك لتعطيني مما أعطاك الله، قال: اذهب فأتني بأباعرك، فجئت بها، فقال: دونك هذا المربد، فأوقرها من هذا التمر فأوقرتها والله ما حملت، ثم انطلقت فقلت: بأبي وأمي هذا والله الكرم»[1].

---

(1) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (ص111).

إذا مـــا أتـــاه الســـائلون توقـــدت علـــيهم مصـــابيح الطـــلاوة والبشرـــ

لــه في بنـــي الحاجــات أيــد كأنهـــا مواقـــع مـــاء المـــزن في البلـــد القفـــر

وقدم على الحسين شيخٌ من بني سعد بن بكر فقـال: «يـا ابـن بنـت رسـول الله، إن ابن أخ لي أصاب دمًا، وقدمت أستعين هذا الحي من قريش على دينـه، فرأيـت أن أبـدأ بك. فقال: والذي نفس حسين بيده ما أصبح في بيتي دينارٌ ولا درهمٌ، وما غدوت إلى السوق إلا لألتمس العينة في بعض نفقاتنا وما لابد منها ولكني أراك رجلاً جلداً، وقـد حان حصاد مالي بذي المروة عين يحنس، فاخرج إليهـا، فقـم عليهـا بعمالـة، ثـم احصـد ودق وبع، فإنها مؤدية عنك، ولا تسأل أحداً شيئًا، فقال: أفعل بأبي وأمـي، وكتـب إلى قيّمه: انظر فلان بن فلان فخل بينه وبين حصاد أرضك، فإني قد أعطيته إياه، فخـرج، فحصـدها فبـاع منهـا بعشرـين ألـف درهـم فـأدى اثنـي عشرـ ألفـاً، واستفضـل ثمانيـة آلاف»[1].

وذكر ابن حمدون والزمخشري: «أنه خرج الحسنان وعبد الله بـن جعفـر وأبـو حبـة الأنصاري من مكة إلى المدينة، فأصابتهم السماء، فلجأوا إلى خباء أعرابي، فأقاموا عنده ثلاثاً حتى سكتت السماء، وذبح لهم، فلما ارتحلوا قال له عبد الله بن جعفـر: إن قـدمت المدينة فسل عنا، فاحتاج الأعرابي بعد سنين، فقالت له امرأته: لو أتيت المدينة فلقيـت أولئك الفتيان، فقال: قد أنسيت أسماءهم، قالت: سل عـن ابـن الطيـار، فأتـاه. فقـال: الحق سيدنا الحسن، فلقيه فأمر له بمائة ناقة بفحولتها ورعاتها، ثم أتى الحسـين، فقـال: كفانا أبو محمد مؤونة الإبل، فأمر لـه بمائـة شـاة ثـم أتـى عبـد الله فقـال: كفـاني أخـواي الإبل والشاء فأمر له بمائة ألف درهم ثـم أتـى أبـا حبـة فقـال: والله مـا عنـدي مثـل مـا

(1) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (ص121).

أعطوك، ولكن جئني بإبلك، فأوقرها له تمراً. فلم يزل اليسار في أعقاب الأعرابي»[1].

فأيّ كرمٍ هذا وأيّ جود!

يقول النبي ﷺ: «ما من يوم يُصبح العباد فيه، إلا ملَكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط مُنفقاً خلَفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط مُمسكاً تلفا» [2]. فمن أراد أن يُخلِف الله عليه، وأن يُبارك له في رزقه، وفي دَخلِه، فليُنفق على الفقراء، وليعطِ المساكين، وليُقرض المحتاجين، ويبذل في مشاريع الخير، فكل ذلك من أبواب البر.

وكان الحسن رضي الله عنه يجيز الواحد بمائة ألف درهم، وكان إذا اشترى من أحد حائطًا ثم افتقر البائع يردُّ عليه الحائط ويردفه بالثمن معه، وما قال قط لسائلٍ: لا، وكان لا يعطي لأحد عطية إلا شفعها بمثلها[3].

وذكر صاحب تاريخ دمشق: «أن الحسن كان ماراً في بعض حيطان المدينة فرأى أسود بيده رغيف، يأكل لقمة ويطعم الكلب لقمة، إلى أن شاطره الرغيف، فقال له الحسن: ما حملك على أن شاطرته، فلم تغابنه فيه بشيء؟ قال: استحت عيناي من عينيه أن أغابنه، فقال له: غلام من أنت؟ قال: غلام أبان بن عثمان، فقال: والحائط؟ فقال: لأبان بن عثمان، فقال له الحسن، أقسمتُ عليك لا برحت حتى أعود إليك.

فمرَّ فاشترى الغلام والحائط، وجاء إلى الغلام فقال: يا غلام قد اشتريتك، فقام قائماً فقال: السمع والطاعة لله ولرسوله ولك يا مولاي، قال: وقد اشتريت الحائط، وأنت حرٌّ لوجه الله، والحائط هبةٌ مني إليك، قال: فقال الغلام: يا مولاي، قد وهبتُ

---

(1) التذكرة الحمدونية (1/ 231)، وربيع الأبرار (1/ 386).

(2) رواه البخاري : (1374).

(3) رجال أهل البيت لأحمد خليل جمعة (ص620) .

الحائط للذي وهبتني له»[1].

وللحسين رضي الله عنه موقفٌ قريبٌ من هذا، فعن عبد الله بن شداد قال: مرَّ الحسين بن علي رضي الله عنهما براعٍ، فأهدى الراعي إليه شاة، فقال له الحسين رضي الله عنه: حرٌّ أنت أم مملوك؟ فقال: مملوك. فردها الحسين عليه، فقال له المملوك: إنها لي فقبلها منه ثم اشتراه واشترى الغنم فأعتقه وجعل الغنم له[2].

2 - تعليمهما النَّاس:

لم يكن همُّ الحسن والحسين رضي الله عنهما يقتصرُ على بذلِ المال للناس ! بل نراهما قد نشطا في نشر ميراث جدهما صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأنهما يعلمان أنَّ الخير كله كامنٌ في تعليم العلم الشَّرعي، وأدركا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عرضت عليه الدنيا فلم يُرِدها، لأنها كانت عنده هينة.

ولأجل ذلك كان حفيداه يجلسان من بعده في مسجده ويبثَّان ما آتاهما الله من العلم، فعن أبي سعيد الكلبي قال: «قال معاوية لرجلٍ من قريش: إذا دخلتَ مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فرأيت حلقةً فيها قومٌ كأنّ على رؤوسهم الطير، فتلك حلقة أبي عبد الله رضي الله عنه ، مؤتزرًا على أنصاف ساقيه، ليس فيها من الهُزّيلا شيء»[3].

ولقد كان النّاس يقبلون عليهما للسؤال عمَّا أشكل عليهم ، ومن ذلك ما رواه الصحابيّ عبد الله بن جابر العبدي رضي الله عنه ، أنّه حجَّ مع أبيه بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأتى

---

(1) تاريخ دمشق (13/ 246)، وتاريخ بغداد (6/ 34)

(2) المحلى (8/ 515).

(3) تاريخ دمشق (14/ 179)

الحسن بن علي فسلَّم عليه، فرحَّب به، فسأله عن نبيذ الجرِّ [1]، فرخَّص فيه، فقال له أبوه جابر : « أبعد ما نَهَى عنه رسول الله ﷺ ؟ قال الحسن : نعم ، قد كان بعدكم رخصةً » [2].

ومن العلم النّافع الذي نقله الحسن والحسين رضي الله عنهما للأمة ، تلك الأحاديث الصحيحة والحسنة ، التي روَوها عن جدّهم ﷺ وغيره ، والمبثوثة في الصّحيحين والسّنن والأربعة والمسانيد والمعاجم الحديثيّة . وما زال المسلمون ينتفعون بهذا النَّقل والرّواية . فجزاهما الله خير الجزاء .

3 - زيارة الحسنين رضي الله عنهما للأموات :

مما تخلق به الحسنان رضي الله عنهما : أنهما كانا يزوران الأموات، فيعتبران من زيارتهم، وذلك اقتداء برسول الله ﷺ ، فإنه حث على زيارة القبور؛ فإنها تذكر الآخرة، فكان الحسين رضي الله عنه يزور القبور، كما روى ذلك عنه إسحاق بن إبراهيم قال: «بلغني أن الحسين بن علي أتى مقابر الشهداء بالبقيع، فطاف بها، وقال:

ناديتُ سكان القبور فأسكتوا ... وأجابني عن صمتهم ندبُ الجثا

قالت أتدري ما صنعت بساكني ... مزقت لحمهم وخرقت الكسا

وحشوت أعينهم ترابا بعدما ... كانت تباينت المناصل والشوا

(1) (النَّبيذ) : هو الشّرابُ الذي يتّخذ من التَّمرِ والزَّبيب والعسَل والشَّعير وغير ذلك ، وسواء أكان مُسكِراً أم لا فإنه يقال له نبِيذٌ ، ولكن المراد به هنا هو غير المسكِر . و (الجرَّ) : جمع جرَّة ، وهو الإناء المعروف من الفخار .

(2) الإصابة في تمييز الصحابة (1/ 214) وحسّنه ابن حجر .

قطعت ذا من ذا ومن هذا كذا فتركتها ربما يطول بها البلا[1]

ثانيًا : عطاء المجتمع للحسنين رضي الله عنهما :

كانت تلك المواقف الكريمة، والصفات النبيلة، والأخلاق العالية التي تمثَّلها الحسنان رضي الله عنهما إنّما كانت تطبيقاً لتوجيهات رسول الله ﷺ ، فعن عبد الله بن دينار عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ قال: قيل يا رسول الله، من أحبُّ الناس إلى الله؟ قال « أحبّ الناس إلى الله تعالى أنفعُهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرورٌ يُدخله على مسلم، أو يكشف عنه كُربة، أو يقضي عنه دينًا، أو يَطرُد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحبَّ إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهرًا - يعني مسجد المدينة - ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيّأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام»[2].

وعن مسلمة بن مخلد أن النبي ﷺ قال: «من ستر مسلماً في الدنيا ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن نجّى مكروباً فك الله عنه كُربة من كرب يوم القيامة، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»[3].

وجاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة»[4].

---

(1) تاريخ دمشق (14/ 186-187).

(2) سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم:906) .

(3) مصنف عبد الرزاق (رقم:18936) حديث صحيح.

(4) صحيح البخاري (2/ 862 رقم:2310).

وهكذا مضى الحسن والحسين رضي الله عنهما متبعين لهدي جدهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسلكا درب آبائهما الكرماء، فلم يبخلوا، ولم يستأثرو بالمال دون الناس، بل كانت أيديهما سحابًا ممطرة تسقي السهل والجبل، وخيرًا مدرارًا يعم الناس جميعاً.

جاء رجل إلى الإمام علي رضي الله عنه فاستحى أن يسأله، فكتب حاجته على التراب، فقال علي رضي الله عنه: «أمسكتَ ماء وجهك، وأعفيتنا من ذلّ سؤالك، لأُلَبّيَنّ مسألتك» فكساه وآتاه مالاً، فقال الرجل:

كسوتني حُلّة تَبلى محاسنها لأكْسُونَّك من حُسن الثنا حُللا

لذا أطبق النّاسُ على حبّ هؤلاء الأطهار، واحترامهم، وتوقيرهم، ومعرفة حقوقهم، ورواية فضائلهم:

1 - احترام النَّاس لهما:

لمكانتهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صار لهم منزلة عظيمة في صدور الناس، ودرجة كبيرة في قلوبهم، قال مدرك أبو زياد: «كنا في حيطان ابن عباس، فجاء ابن عباس وحسن وحسين فطافوا في البستان، فنظروا، ثم جاءوا إلى ساقية، فجلسوا على شاطئها، فقال لي حسن: يا مُدرك أعندك غداء؟ قلت: قد خبزنا، قال: ائت به. قال: فجئته بخبز وشيء من ملح جريش وطاقتيْ بقل، فأكل، ثم قال: يا مُدرك ما أطيب هذا؟ ثم أتى بغدائه، - وكان كثير الطعام طيّبه - فقال: يا مُدرك، اجمع لي غلمان البستان، قال: فقدم إليهم، فأكلوا ولم يأكل، فقلت: ألا تأكل؟ فقال: ذاك أشهى عندي من هذا، ثم قاموا فتوضئوا، ثم قدّمت دابة الحسن، فأمسك له ابن عباس بالركاب وسوَّى عليه، ثم جيء بدابّة الحسين، فأمسك له ابن عباس بالركاب وسوَّى عليه، فلما مضيا قلت: أنتَ أكبرُ منهما تُمسك لهما وتسوّي عليهما؟ فقال: يا لُكع، أتدري من هذان؟ هذان ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هذا مما أنعم الله عليّ

به أن أمسك لهما وأسوّي عليهما»[1].

وهـذا الاحـترام والتقـدير مـن ابـن عبـاس للحسـن والحسـين دليـل عـلى محبتـه لهـما، ومعرفة فضلهما، كما يدل على فضل ابن عباس، فلا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهله.

وقد كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يعامل عمه العباس رضي الله عنه والد عبـد الله معاملـة قلّ نظيرها في الاحترام والتقدير، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «اعتلَّ أبي العباسُ، فعاده عليّ، فوجدني أضبط رجليـه، فأخـذهما مـن يـدي، وجلـس موضـعي وقـال: أنـا أحـقُّ بعمِّي منك، إن كان الله عز وجل قد توَّفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمِّي حمزة، وأخي جعفراً، فقد أبقى لي العباس، عمُّ الرجل صِنْوُ أبيه، وبرُّه به كِبرِّه بأبيه، اللهُمَّ هـب لعمِّـي عافيتـك، وارفع له درجته، واجعله عندك في علِّيِّين»[2].

ومن احترام ابن عباس للحسن والحسين رضي الله عنهما : أنـه كـان إذا سـأله سـائلٌ وأحـدهما موجود سكت، ودلَّ السائل عليه، كما روى عكرمة عن ابـن عبـاس رضي الله عنهما : «أنـه بيـنما هـو يحدث الناس إذ قام إليه نافع بن الأزرق، فقـال لـه: يـا ابـن عبـاس، تفتـي النـاس في النملـة والقملة، صف لي إلهك الذي تعبد، فأطرق ابـن عبـاس إعظامًا لقولـه، وكـان الحسـين بـن علي جالسًا ناحية، فقال: إليَّ يا ابن الأزرق، قال: لست إياك اسأل، قال ابن عبـاس: يـا ابـن الأزرق إنَّه مـن أهـل بيـت النبـوة، وهـم ورثـة العلـم، فأقبـل نـافع نحـو الحسـين، فقـال لـه الحسين: يا نافع، إن من وضع دينه على القياس، لم يـزل الـدهر في الالتبـاس، سـائلًا إذا كبـا عن المنهاج، ظاعنًا بالاعوجاج، ضالًا عن السبيل، قائلًا غير الجميل.

يا ابن الأزرق، أصفُ إلهي بما وصف به نفسه، وأعرِّفه بما عرَّف به نفسه، لا يدرك

---

(1) تاريخ ابن عساكر (13/ 238-239).

(2) ذخائر العُقبى (ص:337).

بالحواس، ولا يقاسُ بالناس، معروفٌ بالآيات، موصوفٌ بالعلامات، لا إله إلا هو الكبير المتعال. فبكى ابن الأزرق وقال: يا حسين ما أحسن كلامك، قال له الحسين: بلغني أنك تشهد على أبي وعلى أخي بالكفر وعليّ، قال ابن الأزرق: أما والله يا حسين لئن كان ذلك، لقد كنتم منار الإسلام ونجوم الأحكام، فقال له الحسين: إني سائلك عن مسألة، قال: سل. فسأله عن هذه الآية ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾[1] يا ابن الأزرق، من حفظ في الغلامين؟ قال ابن الأزرق: أبوهما، قال الحسين: فأبوهما خير أم رسول الله ﷺ، قال ابن الأزرق: قد أنبأ الله تعالى أنكم قوم خصمون»[2].

يشير بقوله هذا إلى قوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾[3].

ومن احترام عبيد الله بن عباس رضي الله عنهما للسِّبطين: أنّه لما تأخّرت على الحسين رضي الله عنه صِلاة معاوية، حتى ضاقت عليه حالُه، فقيل له: «لو وجهت إلى ابن عمك عبيد الله، فإنه قد قدم بنحو من ألف ألف درهم، فقال الحسين: وأين تقع ألف ألف من عبيد الله، فوالله لهو أجود من الريح إذا عصفت، وأسخى من البحر إذا زخر. ثم وجه إليه مع رسوله بكتاب ذكر فيه ضِيق حاله، وأنه يحتاج إلى مائة ألف درهم، فلما قرأ عبيدُ الله كتابه انهملت عيناه، ثم قال لغلامه: احمل إلى الحسين نصف ما أملكه من فضةٍ وذهبٍ وثوبٍ ودابة، وأخبره أني شاطرته مالي، فإن أقنعه ذلك وإلا فارجع

---

(1) [الكهف:82].

(2) تاريخ ابن عساكر (14/ 183-184).

(3) [الزخرف:58].

واحمل إليه الشطر الآخر؛ فلمَّا أتى الرسول برسالته إلى الحسين، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! حملت والله على ابن عمي، وما حسبته يتسع لنا بهذا كله، فأخذ الشطر من ماله»[1].

وعن عبد الله بن عروة أنَّ عبد الله بن الزبير ﵁ - وهو من أكابر الصحابة وعلمائهم - قعد إلى الحسن بن علي ﵄ في غداة من الشتاء باردة، قال: «فو الله ما قام حتى تفسخ جبينه عرقًا، فغاظني ذلك، فقمت إليه، فقلت: يا عم، قال: ما تشاء؟ قال: قلت: رأيتك قعدت إلى الحسن بن علي فأقمت حتى تفسخ جبينك عرقًا، قال: يا ابن أخي؛ إنه ابن فاطمة، لا والله ما قامت النساء عن مثله»[2].

أما أبو هريرة ﵁ فقد ضرب أروع الأمثال، وأبدى أرفع الاحترام للحسين بن علي ﵁ ،كما روى أبو المهزِّم قال: «كنا مع جنازة امرأة، ومعنا أبو هريرة، فجيء بجنازة رجل، فجعله بينه وبين المرأة فصلى عليهما، فلما أقبلنا أعيا الحسين فقعد في الطريق، فجعل أبو هريرة ينفض التراب عن قدميه بطرف ثوبه، فقال الحسين: يا أبا هريرة وأنت تفعل هذا ؟ قال أبو هريرة: دعني، فو الله لو يعلم الناس منك ما أعلم لحملوك على رقابهم»[3].

وجاء عن سعيد المقبري أنه قال: «كنا مع أبي هريرة ﵁ ، فجاء الحسن بن علي ﵄ ، فسلَّم عليه، فرد عليه القوم ومضى، وأبو هريرة لا يعلم، فقيل له: هذا حسن بن علي يسلم، فلحقه فقال: وعليك يا سيدي، فقيل له: تقول يا سيدي؟ فقال: أشهد

---

(1) العقد الفريد (1/ 84) وخزانة الأدب (3/ 19)

(2) تهذيب الكمال للمزي(6/ 233)

(3) تاريخ دمشق (14/ 179-180)

أن رسول الله ﷺ قال: إنه سيد»[1].

فعرف أفراد ذلك المجتمع – وعلى رأسهم صحابة النبي ﷺ – كيفيّة التعامل مع السّادة، وإكرامهم، وإنزالهم منزلتهم.

2 – محبَّة الناس لهما :

كان الحسنان رضي الله عنهما موضع محبة بين الصحابة رضي الله عنهم، وما ذاك إلا لأن النبي ﷺ أظهر محبتهما وأعلنها للناس، فكان الناس يأتونهما ويأخذون العلم منهما .

قال أبو سعيد: «رأيتُ الحسن والحسين صليا مع الإمام العصر، ثم أتيا الحجر فاستلماه، ثم طافا أسبوعاً، وصليا ركعتين، فقال الناس: هذان ابنا بنت رسول الله ﷺ ، قال: فحطمهما الناس حتى لم يستطيعا أن يمضيا ، معهما رجل من الركانات وأخذ الحسين بيد الركاني[2]، وردَّ الناسَ عن الحسن – وكان يجله – وما رأيتهما مرّا بالركن الذي يلي الحجر من جانب الحجر إلا استلماه، قال: قلت لأبي سعيد[3]، فلعله بقي عليهما بقية من سُبُوع قطعته الصلاة؟ قال: لا بل طافا أسبُوعاً تاماً»[4].

وبينا كان عمرو بن العاص في ظلّ الكعبة جالسًا، إذ رأى طيفًا قادما، فقال: «هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء اليوم، فلمّا أقبل فإذا هو الحسين بن علي»[5].

---

(1) المعجم الكبير للطبراني (3/ 35)

(2) كأنه منسوب إلى ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلب الذي صارعه النبي ﷺ مرتين، كما في مادة ركن من القاموس وشرحه.

(3) القائل هو الراوي وهو عمارة بن معاوية الدّهني.

(4) تاريخ دمشق (13/ 139).

(5) أورده الذهبي في السير (3/ 285).

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: « من سرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى الحسين بن علي، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله»[1].

وقال الزهري: « قال رجلٌ لمحمد بن الحنفية: ما بال أبيك عليّ بن أبي طالب كان يرمي بك في مرامٍ لا يرمي فيها الحسن والحسين؟ قال: لأنهما كانا خدَّيه، وكنتُ يده، فكان يتوقى بيده عن خديه»[2].

3 – إكرام النّاس لهما رضي الله عنهما:

ذكر ابن سعدٍ في طبقاته، قال: مرّ الحسين بمساكين يأكلون في الصُّفة، فقالوا: الغداء – دعَوه إلى تناول الغداء معهم – فنزل الحسين رضي الله عنه وقال: «إن الله لا يحبّ المتكبرين» فتغدّى معهم ..

أيّها الإخوة إنّ الجود ليس فقط بالمال كما قد يظنّ البعض، بل من صور الجود: الجودُ بالوقت والراحة، وذلك بأن تجعل جزءًا من وقتك لإخوانك المسلمين، تزور فقيرًا، وتجالس مسكينًا، وتعود مريضاً، فتُدخل على قلبهم البهجة والسرور، وتتَفقَّد ذوي الحاجات والضَّعفة، والله تعالى يقول: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾[3]، وبعد أن تغدّى الحسين رضي الله عنه معهم، قال لفقراء الصفّة: «قد أجبتُكم فأجيبوني، قالوا: نعم، فمضى بهم الحسين رضي الله عنه إلى منزله فقال لزوجه الرّباب: أخرجي ما كنت

---

(1) مسند أبي يعلي (4/ 441)، ومعرفة الصحابة لأبي يعلى (5/ 307) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: «رجاله رجال الصحيح إلا الربيع» ، وانظر السلسلة الصحيحة : (4003) .

(2) تاريخ الإسلام للذهبي (2/ 215).

(3) [النحل:96].

تدّخرين»[1] الله أكبر، مع وجود المحتاجين لا مجال للادخار، بل بطون الجائعين أولى بهذا الطعام.

بهذه الأعمال العظيمة، رفع الله درجة الحسن والحسين، وخلّد ذكرهما في العالمين، أيّها الإخوة، هل رأيتم متصدقاً أخزاه الله؟ أم هل رأيتم صادقاً أسلَمه الله؟أم هل رأيتم مُحسناً ضيّعه الله؟ إنما يُخزي الله أعداءه ومَن نادّه من أهل المعاصي والهوى، وأهل الفواحش والسيئات، فهؤلاء هم الذين يُخزيهم الله تعالى، ويقطع عنهم حبلَه ومدَده، أما أهل الجود والصدقة والمعروف، فإنّ الله عز وجل معهم: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾[2]، ولم أرَ كالمعروف أمرًا، مذاقه حلوٌ، ووجهه جميلُ.

4 - ملاعبتهما رضي الله عنهما:

لقد منَّ الله على الحسنين رضي الله عنهما، إذ أكرمهما بأفضل جد هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكان يرعاهما، ويلاعبهما، ويداعبهما، بل ويشجعهما على ذلك أثناء صغرهما، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان الحسن والحسين يصطرعان، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «هي حسن، هي حسن» فقالت فاطمة:لم تقول: هي حسن؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: « إن جبريل يقول: هي حسين »[3].

وكانا رضي الله عنهما يلعبان مع الآخرين، فعن أبي شداد قال: «كنتُ ألاعب الحسن والحسين

---

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد (1/ 411)، تاريخ دمشق (14/ 181).

(2) [البقرة:261].

(3) النفقة على العيال لابن أبي الدنيا (2/ 116)

بالمداحي[1]، فإذا ما دحاني ركباني، وإذا مادحتهما قالا: تركبُ بَضعة من رسول الله ﷺ!»[2].

وعند ابن عساكر أنهما كانا يقولان له إذا أصاب مدحاتهما: «يحل لك أن تركب بضعة من رسول الله ﷺ! وإذا أصابا مدحاتي قالا لي: أما تحمد الله أن تركبك بضعة من رسول الله ﷺ!»[3].

---

(1) المداحي: هي أحجار أمثال القِرَصَة كانوا يحفرون حفرة ويدحون فيها بتلك الأحجار، فإن وقع الحجر فيها غلب صاحبها وإن لم يقع غُلب ، وهي لعبة يلعب بها أهل مكة وقد سئل ابن المسيب عن المراماة والمسابقة بها فقال: لا بأس به .

(2) المعجم الكبير للطبراني (3/ 28)

(3) تاريخ دمشق (13/ 239).

الباب السابع :

الحسنان في كنف جدهما المصطفى ﷺ

محبة النبي لهما ورحمته بهما وملاعبته لهما :

ذُكر الحسن والحسين رضي الله عنهما عند المأمون فقال: «بخ بخ! ما تقولون في غلامين حسن خلقهما الجليل، وناغاهما جبريل، وولدا بين التنزيل والتبجيل، هل من عديل لمن جدهما الرسول، وأمهما البتول، وأبوهما المقبول!».

ذريـــة المصـــــطفى إني أحــــبُّكم	وحــبكم واجــبٌ في الــدينِ مفــترض
فحســبكم شرفًــا في الــدهر أنكــم	خــير الـــبرية هــذا ليـــس يعــترض
ولستُ أطلب مـن ودي لكـم ثمنـا	إلا المحبــة فهـــي الســؤل والغــرض

لقد أدرك السيدان الحسنان رضي الله عنهما من حياة جدهما ﷺ بضع سنين، كانت لهما سنوات سمانًا، حافلة بالعطاء والبركة، مليئة بالخير والنماء، مترعة بالتربية الحسنة لهما من أفضل مربٍّ، رسول الله ﷺ، مفعمة بالمحبة للسبطين ممن شرفا به، فهذا أبو هريرة رضي الله عنه يقول: «كنت مع رسول الله ﷺ في سوق من أسواق المدينة، فانصرف فانصرفت، فقال ﷺ: أين لكع؟ ثلاثًا - هو كنايةٌ عن الصغير - ادع الحسن بن علي، فقام الحسن بن علي يمشي، وفي عنقه السِّخَاب - أي القلادة -[1]، فقال النبي ﷺ بيده هكذا - أي أشار -، فقال الحسن بيده هكذا، فالتزمه - أي ضمّه بين يديه إلى صدره - فقال:اللهم إني أحبه فأحبه، وأحبّ من يحبّه، وقال أبو هريرة: فما كان أحد

(1) السِّخاب: القلادة، ويصنع من القرنفل والعود والمسك وغير ذلك، وقيل: خيط فيه خرز.

أحب إلي من الحسن بن علي، بعدما قال رسول الله ﷺ ما قال»[1]، وفي رواية: أنّ أبا هريرة رضي الله عنه قال: «فما رأيتُه إلا دمعت عيناي»[2].

وكان أبو هريرة رضي الله عنه من أشدّ الناس حبًا للحسن والحسين رضي الله عنهما، فذات مرّةٍ لقِيَ أبو هريرة الحسن بن عليٍّ في بعض طرق المدينة، فقال له: «اكشف لي عن بطنك – فداك أبي – حتى أقبِّلُ حيث رأيتُ رسول الله ﷺ يقبِّلُه، قال: فكشف عن بطنه، فقبَّل سرته»[3]. وكان يمسح التراب عن الحسين بردائه.

إنّها دعوةٌ أيّها الأحبة لحبّ الحسن بن علي رضي الله عنه، وفيها بشارةٌ بأنّ من تعلّق قلبه بحبّ الحسن رضي الله عنه، فإنّه سيُرزق – بإذن الله – محبّة ربّ العالمين، فاللهم إنّا نشهدك بأنّا نحبّ الحسن والحسين رضي الله عنهما.

ونرى النبي ﷺ يكرّر إظهار محبّته للحسن، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «رأيت الحسن بن علي على عاتق النبي ﷺ، وهو يقول: اللهم إني أحبه فأحبَّه»[4]، وعن زهير بن الأقمر قال: قال رجل من الأزد: سمعت رسول الله ﷺ يقول للحسن بن علي:«من أحبَّني فليُحبه، فليبلغ الشاهد منكم الغائب» ولولا عزمة رسول الله ﷺ ما حدّثْتُكم.[5]

وكما كان النبي ﷺ يصرِّح بحبه للحسن بن علي السبط الأول، فإن الحسين

---

(1) البخاري(5545).

(2) الدوحة النبوية الشريفة (ص74)

(3) المستدرك (3/ 163) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(4) مسلم (2422).

(5) المستدرك (3/ 173–174) سير أعلام النبلاء (3/ 253، 254) وإسناده صحيح.

ﷺ كذلك كان محل رعاية جده ﷺ ، وقد صرح أعدل الناس رسول الله ﷺ بالمحبة له، كما روى ذلك أبو هريرة ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ وهو حامل الحسين بن علي، وهو يقول:«اللهم إني أحبُّه فأحبَّه»[1].

وعن معاوية بن أبي مزرد عن أبيه قال: سمعت أبا هريرة ﷺ يقول: أبصرَتْ عيناي هاتان، وسمِعَت أذناي رسول الله ﷺ ، وهو آخذ بكفي حسين، وقدماه على قدم رسول الله ﷺ ، وهو يقول: «ترق عين بقة». قال: فرقى الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ ، ثم قال له رسول الله ﷺ: «افتح فاك»، ثم قبله، ثم قال: «اللّهم أحبَّه؛ فإني أحبُّه»[2].

وأخرج ابن ماجه والترمذي عن يعلى بن مرة: «أنه خرج مع النبي ﷺ إلى طعام دُعوا له، فإذا حسينٌ يلعب في السِّكة، قال: فتقدم النبي ﷺ أمام القوم، وبسَط يديه، فجعل الغلام يفرُّ ها هنا وها هنا، ويضاحكه النبي ﷺ ، حتى أخذه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى في فأس رأسه فقبَّله، وقال: حسينٌ مني وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحب حسيناً، حسينٌ سِبطٌ من الأسباط»[3].

ومن مظاهر محبة النبي ﷺ للحسين أنه وضعه على عاتقه، فسال لعاب الحسين

---

(1) المستدرك (3/ 195) وصححه الذهبي.

(2) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (1/ 118)، مصنف ابن أبي شيبة (6/ 38)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (9/ 179) : « فيه أبو مزرد ولم أجد من وثقه، وبقية رجاله رجال الصحيح » ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (2709) .

(3) أخرجه ابن ماجه (141)، والترمذي (3708)، وأحمد (16903)، السلسلة الصحيحة (1227).

عليه، فلم يغضب؛ لأنه يحبّه.[1]

وأتي بالحسين ﵁، فوُضع في حِجر النبي ﷺ، فبال في حجره، فلم يغضب؛ لأنه يحبّه.[2]

ومن صور مداعبة النبي ﷺ للحسنين ﵄: ما رواه معاوية بن أبي سفيان ﵁: «أنّ النبي ﷺ كان يمصُّ لسان الحسن أو شفته، وإنَّه لن يُعَذَّبَ لسانٌ أو شفتان مصَّهما رسول الله ﷺ»[3].

ومثل هذا المشهد العظيم، والتربية النافعة، والملاعبة القيمة، حدث مع الحسين ﵁، حيث إن رسول الله ﷺ أتى بيت فاطمة ومعه أبو هريرة، فقال: «ادع لي لكاع» فأتى حسين يشتد، حتى وقع في حجره، ثم أدخل يده في لحية رسول الله ﷺ، فجعل رسول الله ﷺ يفتح فم الحسين، فيدخل فاه في فيه[4].

---

(1) أخرجه ابن ماجه (658) عن أبي هريرة ﵁ قال: «رأيت النبي ﷺ حامل الحسين بن علي على عاتقه ولعابه يسيل عليه» وصححه الألباني، وفي المسند (9645): «أتي رسول الله ﷺ بتمر من تمر الصدقة، فأمر فيه بأمر، ثم حمل الحسن أو الحسين على عاتقه، وإذا لعابه يسيل، فنظر إليه فإذا هو يلوك تمرة من تمر الصدقة، قال: فقال: ألقها، أما شعرت أن آل محمد ﷺ لا يأكلون الصدقة».

(2) أخرجه ابن ماجه (515) عن لبابة بنت الحارث: «قالت بال الحسين بن علي في حجر النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله، أعطني ثوبك والبس ثوبا غيره، فقال: إنما ينضح من بول الذكر ويغسل من بول الأنثى» وحسّنه الألباني، وأخرج أيضاً (526) عن أبي السمح قال: «كنت خادم النبي ﷺ، فجيء بالحسن أو الحسين فبال على صدره، فأرادوا أن يغسلوه، فقال رسول الله ﷺ: رشه؛ فإنه يغسل بول الجارية، ويرش من بول الغلام».

(3) مسند أحمد (4/ 93)، وصحّحه شعيب الأرنؤوط.

(4) أخرجه الحاكم(3/ 196) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

وكما صرح النبي ﷺ بالمحبة للحسن والحسين كلاً على حدة، فقد أعلن عن محبتهما جميعاً، يقول أسامة بن زيد رضي الله عنه: «طرقتُ باب النبي ﷺ ذات يوم في بعض الحاجة، فخرج النبي ﷺ وهو مشتملٌ على شيء لا أدري ما هو، فلما فرغت من حاجتي قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه يا رسول الله؟ فكشف فإذا حسن وحسين رضي الله عنهما على وركيه، فقال: هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهم إني أحبُّهما فأحبَّهما، وأحبَّ من يحبُّهما»[1].

ومن عظيم محبة النبي ﷺ لهما: أنه إذا كان في صلاته فابتداره لم يعجل عليهما، بل ويجمع لهما أباه وأمه، فعن زر قال: كان الحسن والحسين يثبان على ظهر رسول الله ﷺ وهو يصلي، فجعل الناس ينَحُّونهما، فقال النبي ﷺ: «دعوهما بأبي هما وأمي، من أحبني فليحبَّ هذين»[2].

وعن عبد الله بن شداد عن أبيه قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشي- الظهر أو العصر-، وهو حامل الحسن أو الحسين، فتقدم النبي ﷺ فوضعه، ثم كبّر للصلاة، فصلى فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها، فرفعت رأسي فإذا الصبيّ على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد، فرجعت في سجودي، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة، قال الناس: يا رسول الله، إنك سجدت بين ظهراني صلاتك هذه سجدةً قد أطلتها، فظننا أنه قد حدث أمرٌ، أو أنه قد يوحى إليك، قال:

---

(1) أخرجه الترمذي (3702) قال الحافظ في تهذيب التهذيب (2/ 222) في ترجمة الحسن بن أسامة: «وصحّحه ابن حبّان والحاكم» ، وحسنه الألباني .

(2) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف(6/ 378)، وابن حبان في صحيحه (15/ 426)، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده حسن».

فكل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أُعجِله حتى يقضي حاجته»[1].

ويقول أبو هريرة ﷺ: «خرج علينا رسول الله ﷺ ومعه حسن وحسين، هذا على عاتقه، وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرةً، ويلثم هذا مرةً، حتى انتهى إلينا، فقال له رجل: يا رسول الله إنك تحبهما، فقال: من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»[2]، فأيُّ منزلة وأي مكانة أعظم من أن يعلّق النبي ﷺ حبّهما بحبّه، وبغضهما ببغضه! فمن أحبّ الحبيب ﷺ فعليه بحبّ من أحبّه، وإلا لم يكن صادقاً في حبّه، بل كان مدعياً !

ومما يؤكد رحمته ﷺ بسبطيه ومحبته لهما ما ذكره ابن القيم ﷺ حيث قال: «كان رسول الله ﷺ إذا عرض له في خطبته عارضٌ اشتغل به، ثم رجع إلى خطبته، وكان يخطب فجاء الحسن والحسين يعثران في قميصين أحمرين، فقطع كلامه، فنزل فحملهما، ثم عاد إلى منبره، ثم قال: صدق الله ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾[3]، رأيت هذين يعثران في قميصيهما فلم أصبر حتى قطعت كلامي فحملتهما»[4].

فالصادق في حب النبي ﷺ تظهر عليه علامة ذلك، ومنها: محبتُه لمن أحبّهم النبي ﷺ ، من آل بيته، وصحابته من المهاجرين والأنصار، وعداوةُ من عاداهم، وبغضُ من أبغضهم وسبّهم، ومن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ﷺ ، ومن خالفها في بعض هذه الأمور فهو ناقص المحبة، وإن كان لا يخرج عن

---

(1) أخرجه أحمد (15456)، وصححه الألباني في صفة الصلاة (ص 148).

(2) أخرجه أحمد (2/ 440) وصححه الألباني في السلسلة رقم (2895).

(3) [التغابن:15].

(4) زاد المعاد لابن القيم (1/ 179) .

اسمها.

وقد قال النبي ﷺ في الحسن والحسين رضي الله عنهما: «من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»، فكما أنّ الشقّ الأول من الحديث فيه ترغيبٌ، ففي الشقّ الثاني منه ترهيبٌ ووعيد، لمن أبغض الحسن والحسين، ولمن آذاهما، فبغض الحسن والحسين بمنزلة بُغض نبي هذه الأمة ﷺ! وأي جريمة أعظم من هذه الجريمة ؟!

وهكذا.. نشأ الحسن والحسين ابنا علي رضي الله عنه، في أحضان جدّهما رسول الله ﷺ، فغذّاهما برسالته، وربّاهما بأخلاقه وعدالته، وعلّمهما من يُسْره وسماحته، وظلّا معه في كنفِ رعايته، إلى أن اختاره الله إليه، فأصبحا مفطورين على أخلاقه ﷺ وآدابه، إضافة إلى ما تمتع به الحسن والحسين رضي الله عنهما من مكانة كبيرة، وتقديرٍ عال من جدّهما الرسول الكريم ﷺ، وهذا ليس لكونهما سبطَيه فحسب، بل لما تَحمِلُه نفس الحسن والحسين رضي الله عنهما من صفاتٍ طيبة، وخلقٍ عال، وتواضعٍ كريم.

قال الإمام الشافعي:

يا أهل بيت رسول الله حبّكم   فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر أنكم   من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

واعلموا أنّ من أبغض آلَ بيت النبوة فليس له من الإسلام نصيب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية عندما سئل عن بغض آل البيت: «من أبغضهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا»[1].

وبهذا نعرف جيدًا، كيف أنّ الله ورسوله أحبّا هذين الصحابيين الجليلين، بل جاء الأمر لكل المسلمين بضرورة التشرّف بحبهما، وهو معنى كريمٌ يعرّفنا بشأنهما العظيم،

(1) مجموع الفتاوى (4/ 487).

ويبين وَلايتهما ووجوب محبّتهما حبًّا عِلميًا عمليًا، يجمع كل فضائل الحب ومكارم الدين وأسس الإيمان، لا مجرد حب عاطفيٍّ عابر.

درس وعبرة:

أيها الأحبة، من هذا المعين فليتعلم الآباء المحبة، وليغترفوا العطف والحنان على الأبناء، ففي معاملة النبي ﷺ للحسنين إرشاد نبويٌ للمسلمين في كيفيّة بناء نفس الطفل وتكوينه، وفيها إجابة لسؤال المهم وهو: كيف نبني عاطفة الطفل؛ ليكون إنساناً سوياً في مستقبله؟

فقد أشارت الأحاديث النبوية إلى مجموعة من الأسس التي بتطبيقها نسير على هدًى ونورٍ بيّن، فالقُبلة أساسٌ من أسس التربية، ومداعبة الأطفال أساسٌ ثانٍ، ومسح رأس الطفل أساسٌ آخر، وحسن استقباله وتفقّد حاله والسؤال عنه، واللعب معه، كلها قواعد وأسس في تربية الطفل، نرى الرسول ﷺ القائد الأعظم، يحرص عليها، ويتعامل مع أطفال الأمة بها.

كان النبي ﷺ إذا قدم من سفرٍ تلقّي بعبد الله بن جعفر ، وبالحسن أو الحسين، فيحملُ أحدَهما بين يديه والآخر خلفه، حتى يدخل المدينة[1].

وعن إياس بن سلمة عن أبيه قال: «لقد قدت نبي الله ﷺ ، والحسن والحسين، على بغلته الشهباء، حتى أدخلته حجرة النبي ﷺ ، هذا قدَّامُه وهذا خلفُه»[2].

---

(1) أخرج مسلم (4456): «عن عبد الله بن جعفر قال: كان النبي ﷺ إذا قدم من سفر تلقي بنا، قال: فتلقي بي وبالحسن أو بالحسين، قال: فحمل أحدنا بين يديه والآخر خلفه حتى دخلنا المدينة».

(2) أخرجه الترمذي (2699) وصححه الألباني.

بهذه المداعبة والملاعبة كان تعامل الرسول ﷺ مع الأطفال، يُغذّي نفوسهم بهذه العاطفة الصادقة الطيبة، بعيدًا عن الجفاء والقسوة، وعدم إعطاء الطفل حقّه.

فسبحان الله! إنّ ذلك برهانٌ على تواضع المربّي للمتربّي، وحنان الكبيرِ على الصغير، إنّه نورٌ ساطع يبهر فؤاد الطفل، ويشرح صدره ويزيد من تفاعله.

أما خطر ببالك أيها الأخ العزيز أن تداعب صغارك، وتمازح أبناءك، وتسمع ضحكاتِهم، وجميل عباراتهم! كان نبيّ هذه الأمة يفعل ذلك كلّه، بأبي هو وأمي ﷺ.

والرسول الله ﷺ كان يخرج من العيدين مع جمعٍ من الصغار، منهم: الفضلُ بن عباس، وعبدُ الله بن عباس، والحسن والحسين، وأسامة بن زيد، وزيد بن حارثة، رافعًا صوته بالتهليل والتكبير.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «دخل الأقرع بن حابس على النبي ﷺ فرآه يقبّل إما حسناً وإما حسيناً، فقال: تقبِّله، ولي عشرة من الولد ما قبَّلتُ واحداً منهم! فقال رسول الله ﷺ: إنه من لا يَرْحَمْ، لا يُرْحَم»[1].

تصوّروا معي يا أحباب، النبي ﷺ يقبّل الحسن والحسين، فما أعظمها من قُبلة! أعظم البشر وسيّد ولد آدم يقبّل الحسنين، ما أجمل هذا المشهد، وما أروع تلك القبلة، التي تأخذ دورها في تحريك مشاعر الطفل وعاطفته، إضافةً إلى الشعور بالارتباط الوثيق في تشييد علاقة الحب بين الكبير والصغير، بل القبلة تسكّن ثوران الطفل وغضبه، إنّها دعوةٌ للآباء والأمهات كي يستنّوا بهذه السنة الثابتة عن المصطفى ﷺ مع الأطفال، ثمّ انظروا كيف ربط النبي ﷺ مبدأ القُبلة بخُلُق الرحمة، عندما قال:

---

(1) مسلم (2318).

«إنّه من لا يَرْحَمْ، لا يُرْحَم»، فالرحمةُ بالأطفال والشفقةُ عليهم صفة من صفات النبوة المحمدية، وهي طريق لدخول الجنة والفوز برضوان الله تعالى.

وهذه الأحاديث التي سردناها في محبة السبطين تجرنا إلى قضية مهمة، أتدرون ما هي؟ إنها متابعتهم، فالمحبة الصادقة توجب الاتباع؛ لقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾[1]، فمتابعة السبطين رضي الله عنهما في خطوهما نحو الله عز وجل هو الحب الصادق المقبول عند الله.

شهادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهما بالسيادة:

عرفنا كيف ظلّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، يعلّم المسلمين حبّ الحسن والحسين رضي الله عنهما ، حتى قال صلى الله عليه وآله وسلم : «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[2]، وقد نقل إلينا خبر سيادة الحسن والحسين في الجنة، جمعٌ غفير من الصحابة.

وقد انفرد الحسن بن علي رضي الله عنه بشهادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسيادة خاصة، وهي أن الله سيصلح به المسلمين، فتحقق ما أخبر به الصادق المصدوق، وشهد له كبار الصحابة بذلك، وقد قدمنا الكلام عن هذا.

الحسن والحسين ريحانتا النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

جاء عن أبي بكرة قال: رأيت الحسن والحسين رضي الله عنهما يثبان على ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلي، فيمسكهما بيده، حتى إذا استقرا على الأرض تركهما، فلما صلى

---

(1) [الأنعام:90].

(2) أخرجه الترمذي (3701) وانظر السلسلة الصحيحة (796).

أجلسهما في حجره ثم مسح رؤوسهما، ثم قال: «إن ابنيَّ هذين رَيحانتايَ من الدُّنيا»[1].

واسمع معي أيها الأخ هذا الأثر وتعجّب، عن ابن أبي نعيم قال:«كنت شاهدًا لابن عمر رضي الله عنهما وسأله رجل عن دم البعوض فقال: ممّن أنت؟ فقال: من أهل العراق، قال: انظروا إلى هذا، يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وسمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: هما ريحانتاي من الدنيا»[2]. لقد كان الصحابة رضي الله عنهم أحسن الناس معرفة لمنزلة الحسنين رضي الله عنهما عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

الحسنان في أهل الكساء:

إنه لمنظرٌ رائع، ومشهد عظيم، حين يجمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحسنين صغارًا، ويُعْلمهم أنهم أخص أهل بيته، ويطلع الناس بذلك.

فعندما نزل قوله تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ ﴾[3].

كان فيه فضيلة واضحة لنساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ورفعة لمنزلتهنّ، فأراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يدخل أصحاب الكساء في هذا الإخبار الرباني عن التطهير، فجمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحسن والحسين ووالديهما، وجلّلهم بالكساء، ودعا لهم.

---

(1) الشريعة للآجري (ص:2157) ، صحيح الجامع (1529) .

(2) أخرجه البخاري (5535).

(3) [الأحزاب:33].

من هم أهل الكساء؟ وما قصتهم؟

تخبر أمّنا عائشة رضي الله عنها فتقول: «خرج النبي ﷺ غداةً وعليه مِرط مُرحَّلٌ[1] من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا»[2]، ولذلك سموا: أصحاب الكساء.

وفي رواية أخرى عند الترمذي: «اللهم إنّ هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرّجس ، وطهِّرهم تطهيرًا »[3]. فتقبّل الله دعاءه لهم، فطهّرهم كما طهّر الله نساء النبي بنصّ الآية.

أثر التربية الأسرية على الحسنين:

نشأ الحسنان رضي الله عنهما في بيت النبوة، وتربيا على يد جدِهما، ووالدِهما علي، وأمِهما فاطمةَ رضي الله عنهم ، فأخذا عن جدِهما ووالديهما مفاهيم الإسلام، وكان لهذه النشأة تأثير كبير في بناء وتكوين شخصيتهما القوية، التي التزمت بأوامر الإسلام.

فالرسول ﷺ يقول - كما أخرج البخاري -: «النـاسُ معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام»[4] فمعدن الحسنين معدنٌ نادر،لم ينشآ في الجاهلية، وإنما نشآ في بيت النبوة، مما جعلهما سيّدين بكل ما تحويه هذه الكلمة من معنى، وقد اجتمع لهما من أصالة النسب، والتربية الأسرية، ما لم يجتمع لغيرهما من

---

(1) كساء منقوش عليه صور رحال الإبل.

(2) أخرجه مسلم (2424).

(3) سنن الترمذي (3205) وصححه الألباني.

(4) البخاري رقم (3383).

الناس : فجدّهما: الحبيب المصطفى ﷺ ، وأبوهما: علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأمهما: فاطمة الزهراء رضي الله عنها ..

حزن شديد .. على فراق الحبيب ﷺ :

ألمّ المرضُ بالرّسول ﷺ بعد عودته من حجَّة الوداع بحوالي ثلاثة أشهر، وقد طلب النبيُّ ﷺ من زوجاته أن يُمرَّض في بيت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، فكانت تقرأ المعوذتين وتمسح عليه بيده هو ﷺ لبركتها . ولما أثقله المرض ومنعه من الخروج للصّلاة بالناس ، قال: « مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس » [متفق عليه] ، فكان الصدّيق يصلّي بالمسلمين خلال مرضه ﷺ .

وعندما حضره الموت كان النبيُّ ﷺ مستنداً إلى صدر عائشة رضي الله عنها وكان يدخل يده في إناء الماء فيمسح وجهه -من شدة الحمى- ويقول : « لا إله إلا الله، إن للموت سكرات » [رواه البخاري (4184)]. دخلت عليه فاطمة الزّهراء رضي الله عنها فقالت :« واكربَ أباه ! فقال لها : ليس على أبيك كربٌ بعد اليوم » [رواه البخاري (4193)]

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : دعا النبي ﷺ فاطمة ابنته في شكواه الذي قُبض فيه فسارَّها بشيءٍ فبكت ، ثم دعاها فسارَّها فضحكَت ! قالت : فسألتها عن ذلك ، فقالت : سارني النبيُّ ﷺ فأخبرني أنه يُقبض في وجعهِ الذي توفِّي فيه فبكيتُ ، ثم سارَّني فأخبرني أنَّي أول أهل بيته أتبعُه فضحكتُ » [صحيح البخاري (3427)].

وجعل النبيُّ ﷺ يقول قبل وفاته : « في الرَّفيق الأعلى » حتى قبض ومالت يدُه [رواه البخاري (4184)] . وقبض ﷺ حين اشتدَّ الضحى -ورأسه في حِجر عائشة- في يوم الاثنين، في الثاني عشر من ربيع الأول من العام الحادي عشر للهجرة . فلما مات

ﷺ قالت فاطمة : « يا أبتاه أجاب ربا دعاه ، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه » ، فلما دُفِن قالت فاطمة رضي الله عنها : « يا أَنس ، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم الترابَ !؟ » [رواه البخاري (4193)].

كان خبر وفاة الرسول ﷺ ، فاجعة كبرى على الصحابة رضي الله عنهم ، ومن بينهم الحسن والحسين رضي الله عنهما . ولك أن تتصور أبًا وابنا ، جدًّا وحفيدا ، معلمًا وتلميذًا ، فجأة يموت الإمام ، إنها قاصمة : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) [الزمر:30] أمات محمد ﷺ ؟ نعم، إلا أن دينه لم يمت، وعلى الحسن والحسين الآن أن يستكملا الطريق .

لقد كان النبي ﷺ للحسن والحسين .. كالوالد الرحيم ، والمربي الكبير ، ولكنها مشيئة المولى سبحانه وتعالى ، وبعد وفاة الرسول الله ﷺ ، تولى أمير المؤمنين عليٌّ رضي الله عنه تربية الحسن والحسين، وأشرف عليهم إشرافًا مباشراً، وكانت شخصيته تتوفر فيها شروط المربي والأب الناجح .

لقد طوى الزّمان الصفحة الأولى من حياة إمامين الحسن والحسين رضي الله عنهما ، بوفاة جدّهما المصطفى ﷺ ، والتي كانت أسعد أيّام حياتهما كلّها، وظلّا يتذكّرانه ويستفيدان من تربيته، ولاشك أنّهما تألما وبكيا، وتجرّعا الأسى، وهما لا يزالان في سنّ الطفولة.

لكنهما استفادا وتعلّما من هذا الفراق . فمن أهم الدروس التي تعلماها من وفاة جدّهما ﷺ : أنّ البقاء للمبادئ وليس للأشخاص، وكذلك أهمية التعلّق بالله وحده، فهو الباقي وهو النافع والضار، وهو على كل شيء قدير.

هما قُرتا عين الرسول وسيدا **شباب الورى في جنة وتخلدِ**

وقال : هما ريحانتاي أحبّ من **أحبهما فصدقهما الحب تسعدِ**

همـــا اقتســـما شـــبه الرســـول تعـــادلاً ... ومـاذا عسـى يحصيه مـنهم تعـددي

فمـــن صـــدره شـــبه الحســـين أجلـــه ... وللحســن الأعـلى وحسـبك فاعـدد

وللحســـن الســـامي مزايـــا كقولـــه : ... هـو ابنـي هـذا سيـد وابـن سـيد

سيصـــلح رب العـــالمين بـــه الـــورى ... عـلى فُرقـة مـنهم وعظـم تبـدد

وإن تطلبـــوا ابنـــا للنبـــيّ فلـــن تـــروا ... سـواي مقـال منـه غـير مفنـد

بـدا سـيدا ظهـر الرسـول قـد ارتقـى ... فقـر ولم يعجلـه وهـو بمسـجد

فقـالوا لـه : طـال السـجود ، فقـال : لا ... ولكنـما ابنـي خفـت إن قمـت يشرـد

وكـان الحسـين الصـارم الحـازم الـذي ... متى يقصر الأبطال في الحرب يشـدد

شـــبيه رســـول الله في البـــأس والنـــدى ... وخـير شـهيد ذاق طعـم المهنـد

لمصـــرعه تبكـــي العـــيون وحـــقها ... فللـه مـن جـرم وعظـم تمـرد

الباب الثامن:

الحسنان في عهد الصديق رضي الله عنه

كان موت سيدّنا محمد صلى الله عليه وسلم مصيبةً عظيمةً، وابتلاءً شديداً، ومن خلالها ظهرت شخصية أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه كقائدٍ فذٍّ للأمة لا نظير له ولا مثيل، فقد أشرق اليقينُ في قلبه، وتجلّى ذلك في رسوخ الحقائق فيه، وفي ذلك الموقف العصيب ظهرت حكمته رضي الله عنه ، فانحاز بالناس إلى التوحيد، حيث قال:« أما بعد، فإنَّ من كان يعبد محمداً فإنَّ محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[1].

وبهذه الكلمات القلائل، واستشهاد الصدّيق بالقرآن الكريم، خرج الناس من ذهولهم وحيرتهم، ورجعوا إلى الفهم الصحيح رجوعاً جميلاً، فالله وحده هو الحي الذي لا يموت، وهو وحده الذي يستحقّ العبادة، والإسلام باق بعد موت محمد صلى الله عليه وسلم ، فما إن سمع الصّحابة تذكير الصديق لهم، حتى رجعوا إلى الحق . تقول عائشة رضي الله عنها : «فوالله لكأنّ الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزل هذه الآية، حتى تلاها أبو بكر رضي الله عنه فتلقّاها منه الناس، فما يُسمع بشرٌ إلا يتلوها»[2].

ولا شك أنّ هذه الحادثة أخذت مكانها الطبيعي في ذاكرة الحسن والحسين ابني علي رضي الله عنهم ، وأصبحت من ضمن ثقافتهما ومعرفتهما، فقد كان عُمر الحسن عندما مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى سبع أو ثماني سنين، وعمر الحسين ست أو

---

(1) [آل عمران:144].

(2) البخاري (1185).

سبع سنين، وهو طورٌ تنمو فيه مدارك الطفولة، وتكون فيه فكرة الطفل كالعدسة اللاقطة، تنقل إلى ذاكرته كثيراً من المشاهدات والصور، وقد كان الحسنان من الأطفال الأذكياء، فملكا الاستعداد لأن يستوعبا مجريات ذلك العهد، ويفهما الغايات السامية، والأعمال العظيمة، والمواقف المشهودة التي قام بها الصّديق رضي الله عنه .

وقفة مع سقيفة بني ساعدة:

لما علم الصحابة رضي الله عنهم بوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة في اليوم نفسه، وهو يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة، وتداولوا الأمر بينهم في اختيار من يلي الخلافة من بعده، والتفّ الأنصار حول زعيم الخزرج: سعد بن عبادة رضي الله عنه ، وبلغ خبر هذا الاجتماع إلى المهاجرين، فقالوا لبعضهم: انطلقوا بنا إلى إخواننا من الأنصار، فانطلق المهاجرون حتى أتوا سقيفة بني ساعدة، فلما جلسوا قليلاً تشهَّد خطيب الأنصار، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، فنحن أنصار الله، وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهطٌ، وقد دفت دافة من قومكم – أي عددٌ قليل – » ، فبيّنوا أحقيّتهم بالخلافة ، لما لهم من دورٍ في نصرة هذا الدين ، وأنّهم أكثر عددًا من إخوانهم المهاجرين .

فلما سكت الرّجل أراد عمر رضي الله عنه أن يتكلّم، فقال له أبو بكر: على رسلك، فتكلّم أبو بكر بحلمٍ ووقارٍ وبديهة ، فقال: «ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهلٌ، ولن يُعرف هذا الأمر إلا لهذا الحيِّ من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيّهما شئتم، فأخذ بيد عمر وبيد أبي عبيدة بن الجراح».

يقول عمر معلّقًا على هذا الموقف: «والله أن أقدَّم فتضرب عنقي، لا يُقرِّبني ذلك من إثم، أحب إليَّ من أن أتأمّر على قوم فيهم أبو بكر، فقال قائل من الأنصار: أنا جُذيلها المحكَّك، وعُذيقُها المرجَّب[1]، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات، حتى فرقت من الاختلاف » [2]، فقال عمر : « سيفان في غمدٍ واحدٍ ، إذًا لا يصلحان ! » [3]، ثمّ قال عمر : ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده، فبايعه وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار»[4].

وفي رواية أحمد: فتكلم أبو بكر رضي الله عنه فلم يترك شيئاً في الأنصار إلا ذكره، وقال: «ولقد علمتُ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لو سلك الناس وادياً، وسلكتْ الأنصار وادياً، سلكتُ وادي الأنصار. ولقد علمتَ يا سعد، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال وأنت قاعد: قريشٌ ولاة هذا الأمر، فَبَرُّ الناس تبعٌ لبَرِّهم، وفاجرُ الناس تبعٌ لفاجرهم، قال فقال له سعد: صدقتَ، نحن الوزراء وأنتم الأمراء»[5].

سبحان الله! بهذه البساطة، استطاع المهاجرون والأنصار النّظر والبتّ في أعظم قضيةٍ وقفوا عندها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والتي أعتقد بالنّظر في الروايات أنّها لم تستغرق إلا ساعةً واحدة ! إنّ الحوار الذي دار في سقيفة بني ساعدة بين الصّحابة لا يخرج عن روح ذلك العصر، بل يؤكد حرص الأنصار على مستقبل الدعوة الإسلامية

---

(1) الجذيل: عود ينصب للإبل الجَرْبَى لتحتك به، والمحكك: الذي يحتك به كثيراً، أراد أنه يستشفى برأيه، والعذيق النخلة: أي الذي يعتمد عليها.

(2) البخاري (6442).

(3) السنن الكبرى للنسائي (5/ 37).

(4) البخاري (6442).

(5) مسند أحمد (18) ورجاله ثقات، وهو مرسل ، وقال شعيب الأرنؤوط : صحيحٌ لغيره .

واستعدادهم المستمر للتضحية في سبيلها، فما أن اطمأنّوا على ذلك حتى استجابوا سراعاً لبيعة أبي بكر ﵁ الذي قَبِل البيعة لهذه الأسباب.

أمّا من خالف ذلك، وزعم أنّ اجتماع السقيفة أدى إلى انشقاق بين المهاجرين والأنصار، فلاشكّ أنّه بذلك أخطأ المنهج العلمي، وجانب الدراسة الموضوعية، لأنّ زعمه هذا متناقضٌ مع روح ذلك العصر، وآمال وتطلعات أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، الذين كانت أخوتهم أكبر من تخيلات الذين سطروا الخلاف بينهم في رواياتهم الكاذبة، وإلا فكيف قبل الأنصار بتلك النتيجة وهم أهل الديار وأهل العدد والعدة؟ وكيف انقادوا لخلافة أبي بكر؟

أمّا الخلاف الذي حدث في «السقيفة» هو اختلاف تنوّع لا اختلاف تناقض و تضاد، هو اختلاف تشاور لا اختلاف تناحر ، هو اختلاف تحاور لا اختلاف تصادم و تآمر ، والصحابة وإن اختلفت آراؤهم حول موضوع الخلافة ابتداءً ، إلا أنّ سرعان ما اتفقت في النهاية ! فتجاوز الصحابة كلّهم في مجلسٍ واحدٍ هذا الأمر الطارئ ، بكلّ بصيرةٍ وحكمة ، واتفقوا على اختيار أبي بكر خليفةً لهم ، ثمّ سرعان ما وضعوا أيديهم في يده مباشرةً ودخلوا في حرب المرتدين وهزموهم ، و شرعوا في الفتوحات الإسلامية، ونفروا في جيوش الخلافة شرقاً وغرباً مجاهدين لتثبيت أركانها . ثم لما تُوفي أبو بكر خلفه عمر بن الخطاب ﵁ من دون أن يحدث أي خلاف حول مسألة الخلافة ! فهذه أدلةٌ دامغة تُبطل مزاعم بعض المستشرقين حول حادثة السقيفة وما ترتّب عنها .

ثمّ لا بدّ أن نعلم أنّ أبا بكر الصديق ﵁ كان زاهداً في الإمارة، وظهر زهده في خطبته التي اعتذر فيها من قبول الخلافة حيث قال: «والله ما كنتُ حريصاً على الإمارة

يوماً ولا ليلة قط، ولا كنت فيها راغباً، ولا سألتها الله عز وجل في سر ولا علانية، ولكني أشفقت من الفتنة، ومالي في الإمارة من راحة ولكن قُلِّدتُ أمراً عظيماً، مالي به طاقةٌ ولا يدٌ إلا بتقوية الله عز وجل»[1]، وقد قام باستبراء نفوس المسلمين من أي معارضة لخلافته، واستحلفهم على ذلك فقال: «أيها الناس، أذكر الله أيما رجل ندم على بيعتي لما قام على رجليه، فقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعه السيف، فَدَنا منه حتى وضع رِجلاً على عتبة المنبر، والأخرى على الحصى. وقال: والله لا نقيلك ولا نستقيلك، قدّمك رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ذا يؤخرك؟!»[2].

هذه هي الحقائق التي عرفها الحسنان ابنا علي رضي الله عنهم وتعلّماها من حادثة السقيفة، لا كما يدعي مزوّرو التاريخ، الذين زعموا أن هذه الحادثة أثّرت في نفسية الحسن والحسين، لما رأيا من التآمر والمكر والخديعة، بل الحقيقة التي يعرفها الحسن والحسين ابنا علي رضي الله عنهم أنه لم تحدث أزماتٍ لا يسيرة ولا خطيرة، ولم يثبت أي انقسام بين المسلمين في أمر الخلافة، ولم يثبت النقل الصحيح أنّ تآمراً حدث بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة رضي الله عنهم لاحتكار الحكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم كانوا أخشى لله وأتقى من أن يفعلوا ذلك، بتزكية الله لهم، وتزكية رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإجماع الأمة على أمر خلافة الصِّديق .

إنّ الحسن رضي الله عنه حدّثنا بأنه عقل الصلوات الخمس في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان يتردّد على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا شك في أنّه وأخوه الحسين رأيا رسول الله

---

(1) المستدرك (3/ 66).

(2) تاريخ دمشق (64/ 345) ، الأنصار في العصر الراشدي (ص:108)، الرياض النضرة (1/ 216).

ﷺ يقدّم أبا بكر رضي الله عنه على غيره أثناء مرضه ﷺ ، وقد علما ببيعة المسلمين لأبي بكر بعد جدّه، فمعتقد الحسن والحسين رضي الله عنهما في خلافة أبي بكر هو: صحة وشرعية خلافة أبي بكر الصديق بعد النبي ﷺ ؛ لفضله، وسابقته، وتقديم النبي ﷺ إياه في الصلوات على جميع الصحابة، وقد فهم أصحاب النبي ﷺ مراد المصطفى ﷺ من تقديمه في الصلاة، فأجمعوا على تقديمه في الخلافة ومتابعته، ولم يختلف منهم أحد، ولم يكن الرب جلا وعلا ليجمعهم على ضلالة، فبايعوه طائعين، وكانوا لأوامره ممتثلين، ولم يعارض أحد في تقديمه.

كان من أعظم المبادئ التي لصقت بنفس الحسنين رضي الله عنهما ، أنّ من أسس الخلافة الإسلامية الراشدة أنها تقوم على الشورى والبيعة، فقيادة الأمة لا تقام إلا بالاختيار، وأن البيعة هي أصل من أصول الاختيار وشرعية القيادة، وأن الخلافة لا يتولاها إلا الأصلب ديناً والأكفأ إدارةً، فاختيار الخليفة يكون وفق مقومات إسلامية، وشخصية، وأخلاقية، وأن الحوار الذي دار في سقيفة بني ساعدة قام على قاعدة الأمن النفسي- السائد بين المسلمين حيث لا هرج ولا مرج، ولا تكذيب ولا مؤامرات، ولكن تسليمٌ للنصوص الشرعية.

هل بايع علي رضي الله عنه أبا بكرٍ الصّديق رضي الله عنه ؟

جاءت الروايات الصحيحة تفيد بأن علياً بايع الصديق رضي الله عنه في أَوَّل الأمر، [مستدرك الحاكم (4457) سنن البيهقي الكبرى (16315) ، ومن كتب الشيعة : الإحتجاج للطبرسي ص 53] ، وممّا قاله عليّ رضي الله عنه : « إنَّا نرى أنَّ أبا بكرٍ أحقَّ الناس بها - أي الخلافة - ، إنَّه لصاحبُ الغار، وإنَّا لنعرف شَرَفه وخيره، ولقد أمَّره رسولُ الله ﷺ أن يُصلي بالناس وهو حيٌّ » [السيرة النبوية لابن كثير (4/ 496) بإسناد جيد] .

وقد رأى الحسن والحسين رضي الله عنهما والدهما في مواقفه الداعمة للصدّيق، فقد كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لا يفارق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع عنه في جماعة من الجماعات، وكان يشاركه في المشورة، وفي تدبير أمور المسلمين، ولا شك أن الحسنين سمعا والدهما في مدحه لأبي بكر وعمر، مثل قوله : «ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها : أبو بكرٍ وعمر»[1]. وأورد ابن عساكر أن الحسين رضي الله عنه سأل علياً فقال له: «من خيرُ الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال: أبو بكر»[2].

ميراث فاطمة الزّهراء رضي الله عنها :

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم طالبَ جمعٌ من أهل البيت ميراث النبي صلى الله عليه وسلم وهم : ابنته السيّدة فاطمة ، عمّه العبّاس ، زوجات النبي صلى الله عليه وسلم .. وكلّهم ممّن يستحقّ الميراث إن كان الميّت غير النبي صلى الله عليه وسلم . **فماذا حصل بعد ذلك** ؟ أرادت زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ، أن يبعثن عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أبى بكر رضي الله عنه ، ليسألنه ميراثهنّ من النبي صلى الله عليه وسلم ، فقامت عائشة رضي الله عنها ، وذكّرتهنّ بقول النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن فقالت : « أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركنا صدقة » [صحيح البخاري (6349)] ، فامتنعن عن ذلك .

أمّا فاطمة والعبّاس رضي الله عنهما : فتوجّها مباشرةً إلى الصدّيق رضي الله عنه ، يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطلبان نصيبهما من أرض فدك، وسهمه من خيبر ، فقال أبو بكر : (سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :« لا نورث ما تركنا صدقة » إنما يأكل آل محمد في هذا المال ، والله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبُّ إليَّ أن أصِلَ من قرابتي) [صحيح البخاري

(1) مسند أحمد (1/ 113) ، وصححه شعيب الأرنؤوط .

(2) تاريخ دمشق (30/ 377).

وقال : « وإني والله لا أغيّر شيئًا من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد ﷺ ، ولأعملنّ فيها بما عمل به ﷺ » [صحيح البخاري (3998)] . (3810)] .

فمنع أبو بكر من تقسيم ما تركه النبي ﷺ ، وتمسّك بحديث النبي ﷺ الذي رواه جمعٌ من الصّحابة رضي الله عنهم ، وأعلن أنّه سيترك أمرها على الحال التي كانت عليها في عهد النبي ﷺ بأن يقسّم ما يخرج منها على أهل بيت رسول الله ﷺ والباقي يُنفق في سبيل الله . وبعد هذا البيان لم يُنقل عن أحدٍ من أهل البيت أنّه أصرّ على طلب الميراث . واستمر الأمر على ذلك على عهد الخلفاء الراشدين إلى علي، فلم يغير شيئًا ولا قسم له تركة . **لكن السؤال : هل وجد أحدٌ منهم في نفسه شيئًا ؟** الجواب : نعم ، تقول عائشة : (فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك) [1] !

ولحساسيّة هذا الأمر .. انظروا كيف تصرّف خليفة المسلمين مع السيّدة فاطمة رضي الله عنها ، أخذ الصّدّيق رضي الله عنه يبيّن مكانة أهل بيت النبي ﷺ لديه فقال لعليٍّ وفاطمة ، بعد أن فاضت عيناه من الدّموع : « والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحبُّ إليّ أن أصل من قرابتي [2]، وأمّا الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال ، فإني لم آل فيها عن الحقّ ، ولم أترك أمرًا رأيتُ رسول الله ﷺ يصنعُهُ فيها إلا صنعتُه ... » [3].

ولم يكتفِ الصدّيق رضي الله عنه بذلك ، بل زارها في دارها ! وأخذ يكلّمها ويترضّاها ! حتى قال لها : « .. والله ما تركتُ الدارَ والمالَ، والأهلَ والعشيرة، إلا ابتغاء مرضاة

---

(1) قال بعض أهل العلم بأنّ هذا القول ليس من أصل الرواية ، وإنّما هو من زيادات الإمام الزّهري وإدارجه .

(2) قال ابن حجر في الفتح معلقًا على مقولة أبي بكر : (قال أبو بكر ذلك معتذرًا عن منعه القسمة ، وأنّه لا يلزم منها أن لا يصلهم ببرّه من جهة أخرى) .

(3) رواه البخاري (1759) .

الله، ومرضاة رسوله، ومرضاتكم أهل البيت ، **ثم ترضَّاها حتى رضيت** » [1] .

وأكّد العالم الشّيعي ابن ميثم البحراني رضا فاطمة عن أبي بكر الصدّيق ، استنادًا إلى هذه الرواية : (إنَّ أبا بكر قال لها : إنّ لك ما لأبيك، كان رسول الله ﷺ يأخذ من فدك قوتكم، ويقسم الباقي ويحمل منه في سبيل الله، ولك على الله أن أصنع بها كما كان يصنع ، فرضيت بذلك ، وأخذت العهد عليه به) [2].

وبهذا الأمر .. طُويت صفحة مطالبة السّيدة فاطمة بميراثها من النبي ﷺ ، ولم تكلّمه في هذا الأمر إلى أن ماتت رضي الله عنها ، وهي راضيةٌ على أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه . ولما تولّى الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة سُئل في ردّ أرض فدك ! فقال : « إنّي لأستحي من الله ! أن أردَّ شيئًا منع منه أبو بكر رضي الله عنه ، وأمضاه عمر رضي الله عنه » [من كتب الشيعة : شرح نهج البلاغة : (61/ 252)] .

تدهور صحّة فاطمة الزّهراء رضي الله عنها :

كانت سيّدتنا فاطمة رضي الله عنها من أشدِّ الناس توجُّعًا لوفاة رسول الله ﷺ ، حيث حزنت لفراق والدها حُزنًا شديدًا ، وأخذت تذبُل من جراء ذلك يومًا بعد يومٍ ! قال ابن كثير [البداية والنهاية (6/ 334)] : « ويُقال إنَّها ـ أي فاطمة ـ لم تضحك في مدة بقائها بعده عليه السلام، وأنَّها كانت تذوب من حُزنها عليه وشوقها إليه » .

زوجة الصدّيق رضي الله عنه تلازم فاطمة الزّهراء رضي الله عنها :

كانت الصَّحابية الجليلة أسماء بنت عميس الخثعميّة رضي الله عنها ـ زوج أبي بكر الصدّيق

---

(1) السنن الكبرى للبيهقي (6/ 301) بإسنادٍ صحيح، وقال ابن كثير : « إسناده جيد قوي والظاهر أن الشعبي سمعه من علي أو ممن سمعه من علي» البداية والنهاية (252/5) .

(2) شرح نهج البلاغة، لابن ميثم البحراني، 5/ 107 طبعة طهران .

رضي الله عنه - تلازم فاطمة الزّهراء في أيام مرضها الأخير، بل وتشير عليها !

عن أمِّ جعفر أنّ فاطمة رضي الله عنها قالت لأسماء بنت عميس : « إنّي استقبح ما يُصنع بالنساء ، يطرح على المرأة الثَّوبُ فيصفُها ، فقالت : يا ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أريك شيئًا رأيتُه بالحبشة ، فدعت بجرائد رطبة ، فحنَّتها ، ثم طرحت عليها ثوبًا ، فقالت فاطمة : ما أحسنَ هذا وأجمله [1] ! إذا أنا متُّ فاغسليني أنت وعليّ ، ولا يدخلن أحدٌ عليّ ، فلما توفّيت رضي الله عنها جاءت عائشة رضي الله عنها تدخل ، فقالت أسماء : لا تدخلي ، فشكت أبا بكر فقالت : إنّ هذه الخثعميّة تحول بيني وبين ابنةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جعلت لها مثل هودج العروس ، فجاء أبو بكر رضي الله عنه فوقف على الباب ، وقال : يا أسماء ما حملك أن منعتِ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يدخلن على ابنة النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وجعلت لها مثل هودج العروس ! فقالت : أمرتني أن لا تُدخلي عليَّ أحدًا ، وأريتها هذا الذي صنعتُ وهي حيَّة فأمرتني أن أصنعَ ذلك لها ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : فاصنَعي ما أمَرَتْكِ ، ثم انصرف » . [سنن البيهقي الكبرى (6721) وحسّنه الذهبي في أحاديث مختارة (61) وابن حجر في تلخيص الحبير (2/ 143)] .

قال ابن عبد البرّ : « فهي أوَّل من غُطِّى نعشُها في الإسلام على تلك الصِّفة ، ثمَّ

(1) علّق الشيخ الألباني على هذا الأثر في جلباب المرأة المسلمة ص 135 بقوله : « فانظر إلى فاطمة بَضعة النبي صلى الله عليه وسلم ، كيف استقبحت أن يصفَ الثوبُ المرأةَ وهي ميتةٌ ! فلا شك أن وصفه إيَّاها وهي حيَّةٌ أقبح وأقبح ، فليتأمل في هذا مسلمات هذا العصر- اللاتي يلبسن من هذه الثياب الضَّيقة التي تصف نهودهنّ وخصورهنّ وألياتهنّ وسوقهنّ وغير ذلك من أعضائهنّ، ثم ليستغفرن الله تعالى وليتُبن إليه ، وليذكرن قوله صلى الله عليه وسلم : «الحياءُ والإيمانُ قُرِنَا جميعًا ، فإذا رُفِع أحدهما رُفِع الآخر».

بعدها زينب بنت جحش »[1] .

وفاة فاطمة الزّهراء رضي الله عنها :

بعد أن عاش الحسن والحسين في رعاية أمّهما الزّهراء وأبيهما أمير المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين، ما لبث أن زار الموتُ بعد ستة أشهرٍ تقريبًا من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطوى الصفحة الثانية من حياة الإمامين الحسنين ، بوفاة أمّهما فاطمة رضي الله عنها ، فقد لحقت والدتهما بأبيها صلى الله عليه وسلم وانتقلت إلى جوار ربها .

تتجدّد الأحزان في قلب الحسنين رضي الله عنهما مرةً أخرى ، وكأنَّ المولى عزّ وجل .. أراد أن يعدَّ الحسن والحسين .. لما سيلقاهما في الأيام المقبلة ، وهو اللطيف الخبير بعباده .

علي رضي الله عنه يبايع الصدّيق للمرّة الثانية !

إنّ تدهور صحّة سيّدتنا فاطمة رضي الله عنها في أيّامها الأخيرة ، أدَّى إلى كثرة ملازمة عليٍّ رضي الله عنه لأمِّ الحسنين فاطمة رضي الله عنها ، وقلّة ملازمته لأبي بكر الصدّيق ، فأشاع المنافقون أنَّ عليًّا كارهٌ لخلافة الصدِّيق ! ممّا دفع عليًّا إلى تجديد بيعته لأبي بكر الصدِّيق بعد وفاة فاطمة رضي الله عنهم أجمعين ، وذلك حسمًا منه لمادة الفتنة ، وردًّا عمليًّا على هذه الشبهة ! [انظر : فتح الباري لابن حجر (7/ 566)] .

تصدّي الصدِّيق رضي الله عنه لقتال أهل الردة ومانعي الزكاة :

لَّما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدَّت أحياءٌ كثيرة من الأعراب ، ونجم النِّفاق بالمدينة ، وانحاز إلى مسيلمة الكذاب بنو حنيفة وخلقٌ كثير باليمامة ، والتفت على طليحة الأسدي بنو أسدٍ وطيء وبشرٌ كثير أيضًا ، وعظم الخطب واشتدَّت الحال ، وبعض العرب امتنعوا من أداء الزكاة ! وقد تكلَّم الصحابة مع الصديق رضي الله عنه في أن

---

(1) الاستيعاب لابن عبد البرّ (4/ 1898) .

يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ، ويتألَّفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم ، ثم هم بعد ذلك يزكون ، فامتنع الصديق من ذلك وأبى إلا أن يقاتلهم !

*** عليٌ رضي الله عنه يؤيّد موقف الصدّيق رضي الله عنه في قتال مانعي الزّكاة :**

قال عمر بن الخطاب لأبي بكر : علام تقاتل الناس ؟ وقد قال رسول الله ﷺ أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصَم مني ماله ونفسه إلا بحقِّه وحسابه على الله ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : فقال والله لأقاتلنَّ من فرَّق بين الصلاة والزكاة ، والله لو منعوني عناقا ـ وفي رواية عقالاً ـ كانوا يؤدُّونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها ، قال عمر رضي الله عنه : فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه فعرفتُ أنَّه الحق . [صحيح البخاري (1335)].

وقد سأل أبو بكر عليًّا رضي الله عنه عن ذلك قائلاً: «ما تقول يا أبا الحسن؟ قال: أقول: إنك إن تركت شيئاً مما كان أخذه منهم رسول الله ﷺ ، فأنتَ على خلافِ سنة الرسول ﷺ ، فقال: أما لئن قلت ذاك، لأقاتلنَّهم وإن منعوني عقالاً»[1].

*** عليٌ رضي الله عنه يحرس المدينة بأمر الصدّيق رضي الله عنه :**

ونفذ الصديق رضي الله عنه جيشَ أسامة ، فقلَّ الجند عند الصديق رضي الله عنه فطمعت كثيرٌ من الأعراب في المدينة ، وراموا أن يهجموا عليها ! فخاف أبو بكر رضي الله عنه أن تتعرّض المدينة لأي خطرٍ محتمل من هؤلاء ، **فماذا فعل الصدّيق رضي الله عنه** ؟ عيّن الصديق رضي الله عنه على أنقاب المدينة حُرَّاسًا يبيتون بالجيوش حولها ليلاً، حمايةً من هجوم المرتدّين على أهل المدينة ، فمن أمراء الحرس : علي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود

---

(1) المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة للزمخشري ص48 .

رضي الله عنهم [البداية والنهاية (6/ 311)] . وألزم أهل المدينة بحضور المسجد خوف الغارة من العدوّ لقربهم .

وحصل ما توقّعه الصدّيق رضي الله عنه .. حيث لم يلبث أهل المدينة إلا ثلاث ليالٍ أغار المرتدُّون ليلاً على أهل المدينة ، فتفاجؤوا بالنّقباء عليها من الصحابة ومعهم عليٌّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه يدافعون عن المدينة ومنعوهم من الدّخول ، فتراجعوا إلى «ذي حسي» ! [الكامل في التاريخ (2/ 206)] .

* عليٌّ رضي الله عنه حريصٌ على حياة الصدّيق رضي الله عنه :

قرّر أبو بكرٍ رضي الله عنه التوجّه بنفسه إلى ضاحية « ذي القصة » بالمدينة المنورة مع الجند ، شاهرًا سيفه، راكبًا على راحلته، عازمًا على ملاحقة فلول المرتدِّين لمحاربتهم ، وقائدًا للتحركات العسكرية ضدهم بنفسه، فلمّا استوى أبو بكرٍ على راحلته، أتى إليه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ناصحًا إيّاه بالعودة ، وأخذ بزمام راحلته ، وقال له: « إلى أين يا خليفة رسول الله ؟ أقول لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : لُمَّ سيفك ولا تفجعنا بنفسك، وارجع إلى المدينة، فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظامٌ أبداً، فرجع وأمضى الجيش »[البداية والنهاية (6/ 314)] ، هكذا أحبّ عليٌّ رضي الله عنه الصدِّيقَ رضي الله عنه ، فمنعه من ذلك الخروج، حرصًا على حياته .

الصدِّيق رضي الله عنه يستشير عليًا رضي الله عنه في غزو الرّوم :

لمّا فكّر أبو بكر الصدّيق غزو الروم، شاور جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدَّموا وأخَّروا، فاستشار الصدّيق عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما ، فأشار عليه أن يفعل، وقال له : إن فعلتَ ظفرتَ ! فقال أبو بكرٍ : بُشِّرتَ بخيرٍ! فقام أبو بكر رضي الله عنه في الناس خطيبًا، وأمرهم أن يتجهَّزوا إلى الروم . ودعا يزيدَ بن أبي سفيان، وأبا عبيدة بن الجراح، وشرحبيلَ بنَ حسنة، وعمرَو بن العاص، فعقد لهم اللواء، وقال: إذا

اجتمعتم فأمير الناس أبو عبيدة [من كتب الشيعة : تاريخ البعقوبي (2/ 133)].

العلاقة الحميمة بين بيت علي رضي الله عنه والصدّيق رضي الله عنه :

كان علي رضي الله عنه يؤدِّي الصلوات الخمس في المسجد خلف الصديق رضي الله عنه [من كتب الشيعة : بحار الأنوار للمجلسي (29/ 136)] ، راضياً بإمامته ، وعمل أيّام خلافة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه كاتبًا له ـ أي لأبي بكر ـ [الكامل لابن الأثير (2/ 268)] . كما كان مستشارًا لأبي بكر الصدّيق في خلافته ، والناس يأخذون عنه الفقه في زمانه [التمهيد لابن عبد البر (5/ 315) ، وشعب الإيمان للبيهقي (4/ 375) ، من كتب الشيعة : تاريخ اليعقوبي (2/ 138)].

كان بذلك مظهراً للناس اتفاقه ووئامه مع الصديق رضي الله عنه ، وهذا ما عرفه الحسن والحسين رضي الله عنهما في علاقة والدهما بالصديق، وكان الصديق رضي الله عنه يدعو النّاس إلى محبّةِ النبي صلى الله عليه وسلم وآلِ بيته، ويقول: «ارقبوا محمدًا صلى الله عليه وسلم في آل بيته»[1]، قال الحافظ ابن حجر في شرحه : «يخاطِبُ بذلك الناسَ ويوصيهم به، والمراقبةُ للشيء: المحافظةُ عليه، فلا تؤذوهم ولا تُسيئوا إليهم»[2] وقال النووي: «معنى ارقبوه: راعوه واحترموه وأكرموه»[3]

إضافةً إلى المصاهرات بين الصديق وأهل البيت، فقد كانت صلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بأفراد أهل البيت صلة ودية تقديرية تليق به وبهم، وكانت هذه المودة والثقة من المتانة بحيث لا يتصوّر معها التباعد والاختلاف، مهما نسج المستشرقون وأذنابُهم الأساطير والأباطيل.

---

(1) البخاري (3509).

(2) فتح الباري لابن حجر (7/ 79).

(3) رياض الصالحين (1/ 288).

وقد كان عليّ ﷺ وهو سيد أهل البيت، ووالد سبطي الرسول ﷺ ، يتقبّل الهدايا من أخيه الصدّيق ﷺ ، فقد أهدى الصدّيق عليًّا جارية اسمها: الصهباء، والتي سُبيت في معركة عين التمر، وولدت له عمر ورقية[1]، وأيضاً منحه الصّديق ﷺ : خولة بنت جعفر بن قيس، التي أسرت في حرب اليمامة، وولدت له أفضل أولاده بعد الحسن والحسين وهو: محمد بن الحنفية.[2]

وقد وردت روايات عديدة في قبوله هو وأولاده الهدايا المالية والخُمس من الغنائم وأموال الفئ من الصديق ﷺ أجمعين، وكان عليّ ﷺ هو القاسم والمتولي في عهده على الخمس والفيء .

وقد أظهر علي ﷺ محبته للصدّيق والوفاءَ له عندما سمّى أحد أبناءه بأبي بكر [تاريخ الطبري (3/ 162) ومن كتب الشيعة: الإرشاد للمفيد ص248] وقد قُتل مع الحسين في كربلاء ! علمًا بأنه لا يوجد في بني هاشم رجلٌ قبل عليٍّ سمى ابنه بهذا الاسم ! ولا شك أن العلاقة المتينة بين أبي بكر وعلي ﷺ ، كان لها أثرها البالغ في نفسية وقلب الحسن والحسين ﷺ ، مما ترتب عليه تقديرهما للصديق ﷺ واحترامهما ومعرفتهما بفضله ومكانته في الإسلام.

وقد تتعجّبون من أنّ الحسنين ﷺ لشدة تأثرهما بسيرة الصدّيق سمّى كل واحد منهما أحد أبنائه باسم أبي بكر : أبو بكر بن الحسن [تاريخ الطبري (3/ 343) ومن كتب الشيعة: الإرشاد للمفيد ص248] وقد قُتل في كربلاء ، وأبو بكر بن الحسين [تاريخ الطبري (3/ 343) ومن كتب الشيعة: مقاتل الطالبيين للأصفهاني ص 57] وقد قُتل في كربلاء أيضًا

---

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد(3/ 20).

(2) المصدر السابق (3/ 20).

مع أبيه الحسين ، ومعلوم أنه لا يسمّي أحدٌ من الناس أبناءه باسم شخصٍ معينٍ، إلا نتيجة حبٍ ومعرفةٍ مفصلة بسيرته.

وقد رُوي عن الحسين رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: «لا تسبُّوا أبا بكر وعمر؛ فإنهما سيدا كهول أهل الجنَّة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين»[1]. كما روى الحسن أيضًا عن أبيه عليٍّ رضي الله عنه أنّه قال : كنتُ عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل أبو بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما فقال : « يا عليُّ هذان سيدا كُهولِ أهل الجنة وشبابِها بعد النبيِّين والمرسَلين » . [مسند أحمد (602)، وصححه شعيب الأرنؤوط] . قال ابن الأثير : « الكَهلُ من الرِّجال من زاد على ثلاثين سنة إلى الأربعين ، وقيل أراد بالكهل هاهنا : الحليمُ العاقل » [النهاية في غريب الأثر (4/ 213)] . وقال المناوي : « المراد بالكهل هنا : الحليمُ الرئيسُ العاقلُ المعتمدُ عليه ، يقال : فلان كهل بني فلان وكاهلُهم ، أي : عمدتُهم في المهمَّات ، وسيّدهم في الملمات » [فيض القدير (1/ 89)] .

الثناء المتبادل بين الصدّيق وعلي رضي الله عنهما :

عن الشعبي قال : رأى أبو بكر عليًّا رضي الله عنهما ، فقال : « من سرَّه أن ينظر إلى أعظم الناس منزلةً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأقربه قرابةً ، وأفضله دالة ، وأعظمه غَناء - أي نفعًا - عن نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ، فلينظر إلى هذا » ، فبلغ عليًّا قول أبي بكر ، فقال : « أما إنْ قال ذاك ، إنَّه لأواهٌ ، وإنه لأرحم الأمة ، وإنه لصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الغار ، وإنه لأعظم الناس غَناء عن نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في ذات يده » [كنز العمال (13/ 51) ، تاريخ دمشق (42/ 73)] .

مكانة الحسنين رضي الله عنهما عند الصديق رضي الله عنه :

---

(1) تاريخ دمشق (30/ 179).

كان للحسن والحسين رضي الله عنهما مكانة مرموقة لدى الصديق، فقد كان رضي الله عنه يحبهما ويتعامل معهما بشكل خاص، ولقد كان الصدّيق رضي الله عنه يعبّر في كلماته عن حبه لآل البيت، حتى أنّه قال ذات مرة وقد فاضت عيناه من الدموع: «والذي نفسي بيدِه، لَقرابةُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحبُّ إليَّ أنْ أَصِلَ من قرابَتِي»[1].

وبينما كان أبو بكر وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما يمضيان بعد صلاة العصر، رأى أبو بكر رضي الله عنه الحسنَ يلعبُ مع الصِّبيان، فحمله على عاتقه، وقال:

بأبي شبيهٌ بالنبي   لا شبيهٌ بعليّ

وعليٌّ يضحك[2].

فانظر إلى حال هذين الرَّجلين ، الصَّدِيقَين الوفيين ، كيف جمعت بينهما الأخوة الإيمانيّة ، والرّحمة الإنسانيّة ، الصِّدِّيق والشيهد .. يصلِّيان معًا، و يمشيان معًا ، الأوَّل يمازح ، فيضحك الثاني !

ثمّ لماذا ضحك عليٌّ رضي الله عنه ؟ .. ضحك عليٌّ رضًا بقول أبي بكر الصّدّيق وتصديقًا له، قال ابن حجر في شرحه: «قوله: (بأبي)، فيه حذفٌ تقديره: أَفديه بأبي»، وقال أيضاً: «وفي الحديث فضلُ أبي بكر ومحبَّتُه لقرابةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم »[3].

فمن بركات الله سبحانه وتعالى على الحسنين أنهما كانا أشبه الناس بجدهما صلى الله عليه وآله وسلم ، فالذين وصفوا الحسن بن علي ذكروا بأنّه كان أشبهَ الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خَلقًا وخُلقًا، هديًا

---

(1) البخاري (3913).

(2) أخرجه البخاري (3278)، مسند أحمد (40) ، وقال ابن حجر: « (يضحك): أي رضًا بقول أبي بكر وتصديقًا له»، والرواية ذاتها عند المجلسي في بحار الأنوار (43/ 287، 301).

(3) فتح الباري لابن حجر(6/ 567-568).

وسؤددًا، فعن أبي خالد قال: «قلت لأبي جُحَيْفَة: رأيتَ النبي ﷺ ؟ قال: نعم، كان أشبهَ الناس به: الحسنُ بن علي»[1]، ورُوي عن علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه أنّه قال: «من سره أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله ﷺ ما بين عنقه إلى وجهه وشعره، فلينظر إلى الحسن بن علي، ومن سرّه أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله ﷺ ما بين عنقه إلى كعبه خَلقاً فلينظر إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما»[2].

للخلْق والأخلاقِ فيكَ جمالُ ... وعلى المُحيّا هيبةٌ وجَلالُ

وملكتَ من قلبِ النبيّ مكانةً ... الصَّحبُ ينشدُ مثلَها والآلُ

وببيتِ جدّكَ للصحابةِ مجلسٌ ... وجرتْ بحبّهمُ لكَ الأمثالُ

وأتى أبوبكرٍ لحملكَ مُنشِدا: ... - والحبُّ يشرقُ والمُنى تنثالُ -

بأبي حفيداً لم يُشابهْ والداً ... وعليهِ من سمتِ النبي خِلالُ

فإذا عليٌّ باسمٌ طرباً، ومن ... يَحْيَا بإلْفِهمُ ينلْ ما نالوا

وهكذا كان الصدّيق رضي الله عنه حينما يرى الحسنين يُقبل عليهما، ويبُشُّ لهما، ويعبّر في كلماته عن حبه لآل البيت ومنهم الحسنان، وكان يحبهما حباً جماً، وهذا الحبُّ صادرٌ من شخصٍ كان هو الرفيق الصادق لجدهما ﷺ.

لقد أثّرت تلك الأعمال والمواقف البكريّة البالغة في حُسن التعامل غاية، وفي محبته لهم النهاية، على نفسية الحسنين، وتملّك قلبَهما حبُّ الصديق رضي الله عنه، حتى أصبحا يقتديان به، وصار للقدوة والأسوة به الحظ الأوفر في تعلمهما واكتسابهما أخلاق العظماء، وتعاملهما مع مجريات الأحداث والوقائع.

(1) الطبقات الكبرى (1/ 245) وهو في البخاري رقم (3542)، مسند أحمد (18270).

(2) الشريعة للآجري (5/ 2146).

علي رضي الله عنه يتزوّج أرملة الصدّيق رضي الله عنه :

كانت «أسماء من عميس الخثعميّة رضي الله عنها » زوجةً لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه – شقيق عليّ – ، هاجرت مع زوجها إلى الحبشة في أوائل مَنْ هاجر، ثم استشهد جعفر في يوم مؤتة، فتزوجها أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه فولدت له محمداً، فلمّا توفي أبو بكر، تزوّجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وبذلك انتقلت «أسماء » إلى بيت عليٍّ وانتقل معها ابنها «محمّد بن أبي بكر الصدّيق» لينشأ في حِجر عليّ بن أبي طالب ، ويعيش مع الحسن والحسين وبقيّة أبناء عليٍّ رضي الله عنهم ، حتى أطلق عليه «ربيبُ عليّ» وجرى عنده مجرى أولاده ، حتى قال عنه عليٌّ : « محمدٌ ابني من صُلب أبي بكر » [من كتب الشيعة : بحار الأنوار للمجلسي (42/ 162)] . وشهد معه موقعة الجمل وصفّين ، وقد ولاّه عليٌّ إمارة مصر سنة سبعٍ وثلاثين . [انظر سير أعلام النبلاء (3/ 482)] .

وحدث مرّة أن تفاخر ابنا أسماء بنت عميس : محمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر، فقال كلٌّ منهما : « أنا أكرمُ منك، وأبي خيرٌ من أبيك ! فقال عليٌّ لأسماء : اقضي بينهما . قالت أسماء : ما رأيتُ شابًا من العرب خيرًا من جعفر، ولا رأيتُ كهلاً خيرًا من أبي بكر ! فقال عليٌّ: ما تركتِ لنا شيئا ! ولو قلتِ غيرَ الذي قلتِ لمقتك . قالت: إنَّ ثلاثةً أنت أخسّهم خيارٌ » . [طبقات ابن سعد (8/ 285) ورجاله ثقات] .

اتصال ذريّة الرسول صلى الله عليه وسلم بذريّة الصدّيق رضي الله عنه :

ومن ولد محمد بن أبي بكر : «القاسم» فقيهُ أهل الحجاز وفاضلها ، ومن ولد القاسم : « أمّ فروة » والتي تزوّجها محمّد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فأنجبت له الإمام : «جعفر الصّادق» رحمه الله !

فيكون بذلك «أبو بكر الصدّيق» جدَّ حفيد عليٍّ بن أبي طالبٍ : «جعفر الصَّادق»

لأمّه ! وهكذا نرى أنّ من ألطاف الله تعالى على أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه أن جعل ذرِّيته موصولةَ الرَّحمِ بذريةِ الرَّسول صلى الله عليه وسلم. ولذلك قال جعفر الصّادق رحمه الله : « ولدني أبو بكرٍ مرَّتين » [تهذيب الكمال (5/ 75) ، ومن كتب الشيعة : كشف الغمة لعلي الأربلي (2/ 374)] ، قالها الصّادقُ افتخارًا بالصدّيق .. قالها الحفيدُ انتسابًا لجدّه المجيد !

فنسب جعفر الصادق من جهة أبيه هو : ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، أمّا من جهة أمّه : فأمّه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وأم فروة أمّها : أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، ومنه قال جعفر رحمه الله : « ولدني أبو بكرٍ الصّديق مرتين ». هذا .. وقد أطلق النسّابون على جعفر الصّادق : « عمودَ الشّرف » [1] !! فجدُّه لأبيه علي بن أبي طالب، وجدُّه لأمه أبو بكر الصديق رضي الله عنهما ، نسبٌ علويٌّ ونسبٌ بكريٌّ .. وهو نسبٌ لم يجتمع لأحدٍ غيرَه ! أي أنّ جعفر الصّادق يجمع في شرف نسبه بأخذه من بني هاشم من جهة أبيه ، وأخذه من آل الصديق من جهة أمه [2] .

لذا لاشك أنّ جعفر الصادق قال قولته تلك من منطلق الافتخار ، لا مجرد الإخبار ! وإلا لاكتفى بقوله : إنّ أبا بكر جدّي ، لكنه لمّا قال : « ولدني أبو بكرٍ مرتين » أي من جهتين ! عُرِف أنّه قصد الافتخار ! فالعرب لا تذكر آباءها إلا على جهة

---

1 كما في كتاب سرِّ السلسلة العلوية ، للتستري ص 34 ، سلسلة أعلام الهداية – طبعة المجمع العالمي لأهل البيت 8/ 41 . عمدة الطالب لابن عنبة ص 195 .

2 وقد تواترت الأخبار في توثيق هذا النسب الكريم ، ويمكنكم الرّجوع إلى : كتاب الإرشاد للشيخ المفيد ص 270 ، ومحمد الأعلمي الحائري في تراجم أعلام النساء ص 278 ، وابن عنبة في عمدة الطالب ص 225 ، وابن الطقطقي في الأصيلي ص 149.

الافتخار ، كما افتخر النبي ﷺ بجدّه (عبد المطلب) : « أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب »

وعلى هذا يجري العرف والعقل عند النّاس ! فافتخار الصّادق رحمه الله بجدّه ، كافتخار النبي ﷺ بجدّه ، ومن أمارات ذلك الافتخار ، تشنيع جعفر الصّادق على من ينالون من جدّه أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه : فعن سالم بن أبي حفصة أنّه سأل جعفر الصّادق عن أبي بكرٍ وعمر فقال : « يا سالم تولاهما وابرأ من عدوِّهما ، فإنهما كانا إمامَي هُدى ، يا سالم أيسُبُّ الرجلُ جدَّه ؟ أبو بكر جدِّي ! لا نالتني شفاعة محمدٍ يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوِّهما » [تاريخ دمشق (54/ 285)] .

دفاع أهل البيت عن الصدِّيق رضي الله عنه :

كان أئمة أهل البيت رضي الله عنهم يعرفون قدر الصدّيق رضي الله عنه فيدافعون عنه ويقفون في وجه الجفاة فيه، فعن جعفر الصّادق عن أبيه محمّد الباقر ، أنّه جاءه رجلٌ فقال له : أخبرني عن أبي بكرٍ ؟ قال : عن الصِّديق تسأل ! قال قلت : رحمك الله وتسمِّيه الصديق ! قال الباقر : ثكلتك أمُّك ، قد سماه صدِّيقًا من هو خيرٌ منِّي ومنك : رسولُ الله ﷺ والمهاجرون والأنصار ، فمن لم يسمِّه صديقًا فلا صدَّق الله قولَه في الدنيا ولا في الآخرة ، اذهب فأحبَّ أبا بكرٍ وعمر وتولهَّما ، فما كان من أمرٍ ففي عنقي » [تهذيب الكمال (20/ 393) ، تاريخ دمشق (41/ 389)] .

وقال عروة بن عبد الله : « سألتُ أبا جعفر محمد الباقر بن عليٍّ زين العابدين بن الحسين عن حلية السيف ؟ فقال : لا بأس به قد حلَّى أبو بكر الصدِّيق سيفَه ، قال قلت : وتقول الصِّديق ! فوثبَ محمد الباقر وثبةً واستقبل القبلة ثم قال : نعم الصدِّيق ، نعم الصدِّيق ، فمن لم يقل الصدِّيق ، فلا صدَّقَ الله له قولًا في الدُّنيا والآخرة »

[البداية والنهاية (9/ 311) ، من كتب الشيعة : كشف الغمة للإربلي (2/ 360)] .

وعن حفص بن غياث قال : « سمعتُ جعفر الصّادق يقول : ما أرجو من شفاعة عليٍّ شيئًا إلا وأنا أرجو من شفاعة أبي بكرٍ مثله ، ولقد ولدني مرَّتين » [تهذيب الكمال (5/ 82) ، تاريخ الإسلام (9/ 91)] .

وعن النميري بن حسان قال : قلتُ لزيد بن عليّ زين العابدين - وأنا أُريد أن أُهجنَ أَمر أَبى بكر- : إِنَّ أَبا بكر انتزعَ من فاطمة رضي الله عنها فدَك ! فقال: « إنَّ أَبا بكر رضي الله عنه كان رجلاً رحيمًا، وكان يكره أَن يُغيِّر شيئًا تركه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ... وأَيم الله لو رجع الأَمر إليَّ لقضيتُ فيها بقضاء أَبي بكر رضي الله عنه » [تاريخ المدينة لابن شبه (1/ 129)، سمط النجوم العوالي (2/ 391) ، من كتب الشيعة : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (16/ 220)].

وهذه المواقف المتعدّدة إنما تدلُّ على أن أهل البيت رضي الله عنهم مقرُّون بفضل الصدّيق رضي الله عنه ، سالكون لطريقته، محبُّون له، وظهرت علامة محبتهم لعمر رضي الله عنه بمصاهرتهم له وتسمية أبنائهم باسمه، وكونهم يرون العمل بفقهِ الصدّيق رضي الله عنه ، ويقدِّمونه على رأي أنفسهم، ويتبرؤون من كل من يطعن فيه .

الباب التاسع:

الحسنان في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

استخلاف الصديق رضي الله عنه للفاروق رضي الله عنه:

لما اشتدّ المرض بأبي بكر رضي الله عنه جمع الناس إليه فقال: «إنه قد نزل بي ما قد ترون، ولا أظنُّني إلا ميتٌ لما بي، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي، وحلّ عنكم عقدتي، وردَّ عليكم أمركم، فأمِّروا عليكم من أحببتم، فإنكم إن أمَّرتم في حياتي كان أجدر أن لا تختلفوا بعدي»[1].

حينها تشاور الصحابة رضي الله عنهم، وكلٌ يحاول أن يدفع الأمر عن نفسه، ويطلبه لأخيه، إذ يرى فيه الصلاح والأهلية، فما وصلوا إلى نتيجةٍ، فرجعوا إليه، وقالوا: «رأيُنا يا خليفة رسول الله رأيُك» فقال الصدّيق رضي الله عنه: «فأمهلوني حتى أنظر لله، ولدينه، ولعباده». [أخبار المدينة (1/ 352)].

فدعا أبو بكر عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال له: «أخبرني عن عمر بن الخطاب؟ فقال له: ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني، فقال أبو بكر: وإن، فقال عبد الرحمن: هو والله أفضل من رأيك فيه، ثم دعا عثمان بن عفان، فسأله عن عمر بن الخطاب، فقال عنه عثمان رضي الله عنه: اللهم علمي به أن سريرتَه خيرٌ من علانيته، وأنه ليس فينا مثله، ثم دعا أسيدَ بن حضير رضي الله عنه، فسأله عن عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه، وكذلك استشار الصّديقُ سعيدَ بن زيد رضي الله عنه، وعدداً من الأنصار والمهاجرين، وكلهم كانوا برأي واحد في عمر رضي الله عنه، إلا طلحة بن عبيد الله خاف من شدّته، فقال

---

(1) تاريخ الطبري (4/ 238).

لأبي بكر: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا، وقد ترى غلظته؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: أقول اللهم استخلفت عليهم خير أهلك»[1].

سبحان الله! إنّها فراسة الصّدّيق رضي الله عنه، فالأمور العظام، والأحداث الجسام، التي مرّت بأمة الإسلام، قد بدأت بقتل عمر، فهذه القواصم خير شاهد على فراسةِ أبي بكر رضي الله عنه، وصدقِ رؤيته في العهد لعمر رضي الله عنه، لقد أبصر أبو بكر الدّاء، فأتى لهم رضي الله عنه بدواء ناجع، جبل شاهق، إذا ما رآته الدنيا أيست، وولت عنهم مدبرة، إنه الرجل الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: «إيهًا يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً، إلا سلك فجاً غير فجِّك»[2].

وأراد الصديق رضي الله عنه أن يبلغ الناس بلسانه واعياً مدركاً، حتى لا يحصل أي لبس، فأشرف أبو بكر رضي الله عنه على الناس، وقال لهم: «أترضون بمن أستخلف عليكم؟ فإني والله ما ألوت من جهد الرأي، ولا وليت ذا قرابة، وإني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا، فقالوا: سمعنا وأطعنا»[3].

ثم كتب الصدّيق رضي الله عنه عهداً مكتوباً، يُقرأ على الناس في المدينة وفي الأمصار، عن طريق أمراء الأجناد، وكلّف أبو بكرٍ عثمان رضي الله عنه بأن يتولى قراءة العهد على الناس، وأخذ البيعة لعمر رضي الله عنه قبل موت أبي بكر بعد أن ختمه، لمزيد من التوثيق والحرص على إمضاء الأمر، فقد جاء في طبقات ابن سعد أنّ عثمان قال للناس:

---

(1) الكامل لابن الأثير(2/ 79).

(2) البخاري (3120) مسلم (2396).

(3) تاريخ الطبري(4/ 248).

«أتبايعون لمن في هذا الكتاب؟ فقالوا: نعم»[1]، فأقرُّوا بذلك جميعاً ورضوا به ، وأقبلوا عليه وبايعوه رضي الله عنه .

هل كان الحسنان رضي الله عنهما مستوعبين لعهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؟

بعدما ذكرنا مجريات مبايعة المسلمين لعمر بن الخطاب رضي الله عنه بالخلافة، يتبادر إلى ذهننا سؤالٌ في غاية الأهمية، ألا وهو: هل كان الحسنان مستوعبَين لما يجري حولهما؟ مدركَين لتلك الخطوات التي اتّخذت في بيعة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ؟

أقول: لا شكّ في ذلك، فهذان الغلامان الصّغيران، النّابغان العليمان، قد استوعبا قبل ذلك بسنوات هدي النبي صلى الله عليه وسلم ، وحدّثانا بأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فكذلك استوعبا هدي الخلفاء الراشدين، وممّا يؤكد هذا الأمر: أنّ الإمام الحسن رضي الله عنه لما تنازل عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه ، نجده اشترط عليه الالتزام بالكتاب والسنة ومنهج الخلفاء الراشدين، كما سيأتي إن شاء الله، فهذا يدلنا على أنّ الحسن رضي الله عنه مع صغر سنّه، كان على علمٍ ودراية بعهد الخلفاء الراشدين: أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليٍ رضي الله عن الجميع.

أدرك الحسنان رضي الله عنهما أنّ ترشيح أبي بكر الصديق رضي الله عنه لعمر بن الخطاب لم يكن ليأخذ قوته الشرعية، ما لم يستند لرضا غالبية الصحابة بعمر، وهذا ما تحقق حين طلب أبو بكر من الناس أن يبحثوا لأنفسهم عن خليفة من بعده، فوضعوا الأمر بين يديه، وقالوا له: رأينا إنما هو رأيك، ولم يقرر أبو بكر الترشيح إلا بعد أن استشار أعيان الصحابة، فسأل كل واحد على انفراد، ولما ترجح لديه اتفاقهم أعلن ترشيحه لعمر، فلم يكن ترشيح أبي بكر قهرًا وجبرًا، بل كان صادراً عن استقراءٍ لآراء الأمة من خلال

---

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد (3/ 200).

أعيانها.

فعمر رضي الله عنه ولي الخلافة باتفاق أهل الحل والعقد الذين فوّضوا أبا بكر رضي الله عنه وجعلوه نائباً عنهم في ذلك، فشاور ثم عين الخليفة، ثم عرض هذا التعيين على الناس، فأقروه وأمضوه ووافقوا عليه، فكان استخلاف عمر رضي الله عنه على أصح الأساليب الشوروية وأعدلها، ولم يورد التاريخ أي خلافٍ وقع حول خلافته بعد ذلك، ولا أنّ أحداً نهض طول عهده لينازعه الأمر، بل كان هناك إجماعٌ على خلافته وعلى طاعته في أثناء حكمه، فكان الجميع وحدة واحدة.

تأثر الحسنين بالفقه الراشدي للفاروق:

فور وفاة أبي بكر رضي الله عنه، باشر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعماله بصفته خليفةً للمسلمين، وقامت دولة الفاروق على فقه الخلافة الراشدة وكان - بعد الله وتوفيقه - لعبقرية الفاروق أثرٌ في تطوير مؤسسات الدولة والاجتهاد في النوازل الفقهية وإدارة الأزمات، ومما ساعد على تأثّر الحسنين بني علي رضي الله عنهما بثقافة الفاروق وأدبيات عهده: قرب والدهما أمير المؤمنين علي من الفاروق، فقد كان علي رضي الله عنه عضواً بارزاً في مجلس شورى الدولة العمرية، بل كان هو المستشار الأول.

فكان الفاروق رضي الله عنه يستشير عليًا في الأمور الكبيرة والصغيرة، فقد استشاره حين فتح المسلمون بيت المقدس، وحين فتحت المدائن، وعندما أراد عمر التوجّه إلى نهاوند لقتال الفرس، وحين أراد أن يخرج لقتال الروم، وفي وضع التقويم الهجري .. وغير ذلك من الأمور، كلّ ذلك لأن عمر رضي الله عنه كان يعرف لعلي فضله وفقهه، علمه وحكمته، وقد قال فيه قولته الشّهيرة: «أقضانا علي»[1].

(1) الاستيعاب لابن عبد البر (ص1102)

وكان لعلي رضي الله عنه اجتهادات كثيرة في الأمور القضائية، والمالية، والإدارية، في عهد الفاروق، أخذ بها أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه .

وكان علي رضي الله عنه طيلة حياة عمر مستشاراً ناصحاً لعمر، محباً له، خائفاً عليه، وكان عمر يحب علياً، وكانت بينهما مودة ومحبة وثقة متبادلة، ومع ذلك يأبى أعداء الإسلام إلا أن يزوّروا التاريخ، ويقصّوا بعض الروايات التي تناسب أمزجتهم ومشاربهم، ليصوروا لنا فترة الخلفاء الراشدين على أنها عبارة عن صراع بينهم، وأنّ كل واحد منهم كان يتربّص بالآخر الدوائر لينقضّ عليه، وأنّ كلَّ أمورهم كانت تجري من وراء الكواليس.

لقد لاحظ الحسن والحسين رضي الله عنهما في خلافة عمر رضي الله عنه تلك الخصوصية في العلاقة التي تجمع بين أبيهما علي وبين الخليفة عمر، ورأيا التعاون المتميّز الصافي بينهما، فقد كان عليٌ هو المستشار الأول لعمر في سائر القضايا والمشكلات، وما اقترح عليٌ رضي الله عنه على عمر رأياً، إلا واتجه عمر رضي الله عنه إلى تنفيذه عن قناعة، فلا شك أن تلك العلاقة بين علي وعمر رضي الله عنهما ، لها انعكاساتها الفكريّة والعلمية، والتربوية والاجتماعيّة ، على الحسن والحسين وأبناءِ ذلك الجيل.

الفاروق على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

عن ابن حُنين أنه قال: حدثني الحسين بن علي رضي الله عنهما قال: «صعدتُ المنبر إلى عمر، فقلت له: انزل عن منبر أبي، واذهب إلى منبر أبيك، فقال عمر: إنّ أبي لم يكن له منبر، فأقعدني معه، فلما نزل قال: أي بنيّ، من علَّمك هذا؟ قلت: ما علّمنيه أحد، قال: أي بنيّ، وهل أنبت على رؤوسنا الشعر إلا الله ثم أنتم، ووضع يده على رأسه

وقال: أي بنيّ، لو جعلت تأتينا وتغشّانا»[1].

عليّ ينصح الفاروق رضي الله عنهما بعدم غزو الرّوم بنفسه :

جاء في نهج البلاغة : « أنَّ علياً عليه السلام قال لعمر بن الخطاب لما شاوره في الخروج إلى غزو الروم: إنَّك متى تسر إلى هذا العدوِّ بنفسك فتلقهم فتنكب لا تكن للمسلمين كانفة ـ أي وقاية ـ دون أقصى بلادهم، ليس بعدك مرجعٌ يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلاً محرباً، واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن ظهر الله فذاك ما تحبُّ، وإن تكن الأخرى، كنت ردءاً للناس ومثابة للمسلمين » [من كتب الشيعة : نهج البلاغة (2/ 18)، بحار الأنوار للمجلسي (31/ 135)] .

عليّ ينصح الفاروق رضي الله عنهما بالخروج إلى البيت المقدس :

لما وصل أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه بجيشه إلى الأردن ، كتب إلى أهل إيلياء «بيت المقدس» يدعوهم إلى الإسلام أو الصّلح ، فلم يستجيبوا ! فنزل على مدينتهم وحاصرهم حصارًا شديدًا وضيّق عليهم ، فلمّا رأوا أنّهم لا طاقة لهم بمقاومته فاتحوه بالصّلح ، على أن يكون أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو من يصالحهم !

فاستشار عمر رضي الله عنه الصّحابة في خروجه إلى الشام ، فقال : ما ترون رحمكم الله فيما كتب به أبو عبيدة ؟ فكان أول من تكلم عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين إنَّ الله قد أذلَّ الروم وأخرجهم من الشام ونصر المسلمين عليهم، وقد حاصر أصحابنا مدينة ايلياء وضيَّقوا عليهم ، وهم في كل يوم يزدادون ذُلاًّ وضعفًا ورعبًا ،

---

(1) ذكره الذهبي في السير (3/ 285) وقال: (إسناده صحيح)، وكذا ابن حجر في الإصابة وقال: «سنده صحيح وهو عند الخطيب».

فإن أنت أقمتَ ولم تسر إليهم رأوا أنَّك بأمرهم مستخفٍ ولقتالهم مستحقرٌ ، فلا يلبثون إلا اليسير حتى ينزلوا على الصَّغار ويعطون الجزية .

فلما سمع عمر رضي الله عنه ذلك من مقال عثمان جزاه خيرًا ، وقال : هل عند أحد منكم رأيٌ غير هذا ؟

فقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه : نعم، عندي غير هذا الرأي ، وأنا ابديه لك رحمك الله ، فقال عمر : وما هو يا أبا الحسن ؟ قال : إنَّ القوم قد سألوك وفي سواهم ذلك فتحٌ للمسلمين ، وقد أصاب المسلمين جهدٌ عظيم من البرد والقِتال وطول المقام ، واني أرى أنك إن سرت إليهم فتَح الله هذه المدينة على يديك ، وكان في مسيرك الأجر العظيم في كل ظمأٍ ومخمصة ، وفي قطع كل وادٍ وصعودِ جبل ، حتى تقدم إليهم ، فاذا أنت قدمت عليهم كان لك وللمسلمين الأمن والعافية والصلاح والفتح ، ولست آمن إن يياسوا منك ومن الصلح ، يمسكوا حصنهم ويأتيهم المدد من بلادهم وطاغيتهم فيدخل ، فلا يتخلَّفون عنه ! والصواب أن تسير إليهم إن شاء الله تعالى .

ففرح عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمشورة عليٍّ رضي الله عنه وقال : « لقد أحسن عثمانُ النظر في المكيدة للعدو ، وأحسن عليُّ المشورة للمسلمين ، فجزاهما الله خيرًا ، ولست آخذٌ إلا بمشورة عليٍّ ، فما عرفناه إلا محمود المشورة ، ميمون الغرة » [فتوح الشام (1/ 236)].

ثم إن عمر رضي الله عنه أمر الناس بأخذ الأهبة للمسير معه والاستعداد ،فأسرع المسلمون إلى ذلك واستعدوا وتأهَّبوا ، وأمر عمر أن يكونوا خارج المدينة ففعلوا ذلك ، وأتى عمر المسجد فصلَّى فيه أربع ركعات ، ثم قام الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلَّم عليه، وعلى أبي بكر رضي الله عنه [فتوح الشام (1/ 236)]، واستخلف على المدينة عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه [تاريخ الطبري (2/ 449)،الكامل في التاريخ (2/ 348)]، وخرج من المدينة

وأهلها يشيعونه ويودِّعونه . [فتوح الشام (1/ 236)] .

الفاروق رضي الله عنه يأخذ بمشورة عليّ رضي الله عنه في التقويم الإسلاميّ:

من حسنات عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّه هو الذي أمر بوضع التاريخ الإسلاميّ ، وسبب ذلك أنّ أبا موسى الأشعري رضي الله عنه كتب إلى عمر: إنّه يأتينا منك كتبٌ ليس لها تاريخ، فجمع عمر رضي الله عنه الصحابة رضي الله عنهم للمشورة، وقال لهم : من أيّ يوم نكتب التاريخ ؟ ضعوا للناس شيئاً يعرفونه ! فقال بعضهم: اكتبوا على تاريخ الرُّوم فإنهم يؤرِّخون من عهد ذي القرنين، فقال عمر : هذا يطول! وقال آخرون : اكتبوا على تاريخ الفرس، فقيل: إن الفرس كلّما قام ملكٌ طرح تاريخ من كان قبله! وقال بعضهم: أرّخْ لمبعث النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال عليّ رضي الله عنه : أرّخ من مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفراقه أرض الشرك، فأعجب عمر رضي الله عنه بهذا الرأي وأخذ به ، وقال : مهاجرته صلى الله عليه وسلم فرقٌ بين الحقّ والباطل . [انظر : الكامل في التاريخ (1/ 13)] .

عمر رضي الله عنه صهراً للحسنين !

كان عمر رضي الله عنه يجلّ الحسن والحسين ويعظّمهما، ويكرمهما ويحبّهما، كيف لا وهما ابنا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصهراه، فهو زوج أختهما أمّ كلثوم بنت علي وفاطمة، أخت الحسن الحسين رضي الله عنهم أجمعين .

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كلُّ سببٍ ونسبٍ منقطعٌ يوم القيامةِ إلاَّ سبَبِي ونسبِي»[1] ، هذا الحديث هو الذي جعل عمر رضي الله عنه يرغبُ في الزواج من أمِّ كلثوم بنت عليٍّ وفاطمة رضي الله عنهما ، فما قصّة هذا الزّواج ؟

---

(1) المعجم الكبير للطبراني (3/ 129/ 1)، وانظر السلسلة الصحيحة (2036).

خطب عمر بن الخطاب إلى علي بن أبي طالب ﷺ ابنته من فاطمة، وأكثر تردّده إليه، فقال: يا أبا الحسن، ما يحملني على كثرة تردّدي إليك إلا حديث سمعته من رسول ﷺ: «كلُّ سببٍ ونسبٍ منقطعٌ يوم القيامةِ إلاَّ سبَبِي ونسبِي» فأحببتُ أن يكون لي منكم أهل البيت سببٌ وصهر ! فاعتذر إليه عليٌّ قائلاً: إنّها صغيرة، وإنّي أرصُدها لابن أخي عبدِ الله بن جعفر، فقال عمر : زوّجنيها يا أبا الحسن، فوالله إنّي أرصد من كرامتها، ما لا يرصده أحدٌ !

فأنكحه عليٌّ ابنته ، فأتى عمر إلى المهاجرين فرحًا ، وقال: «ألا تهنّوني؟ فقالوا: بمن يا أمير المؤمنين؟ فقال: أمِ كلثوم بنتِ علي وابنةِ فاطمة بنتِ رسول الله ﷺ »، وهكذا تمّ هذا الزّواج المبارك .

وقد أمهرها عمر الفاروق أربعين ألفاً [1]، إكراماً لها ولأمّها وأبيها! بل إكرامًا لهذا النسب العظيم ! قال الحافظ ابن كثير : « تزوّج عمر بن الخطاب في أيام ولايته بأم كلثوم بنت علي بن أبي طالب من فاطمة ، وأكرمها إكرامًا زائدًا ، أصدقها أربعين ألف درهم ! لأجل نسبها من رسول الله ﷺ » [2] .

وانظرْ إلى الفاروقِ يطرقُ بابها	شوقًا إلى النسبِ الذي لا يُغلبُ
فرِحَت به الكلثومُ زوجًا طاهرًا	والطيباتُ لهن بَرٌّ طيّبُ

وقصة زواج عمر من ابنة فاطمة ثابتة حتى في مصادر الشيعة ، كما ذكر المجلسي

---

(1) سير أعلام النبلاء (3/ 501).

(2) البداية والنهاية : (5/ 330) .

في كتابه (مرآة العقول)[1] .

وولدت لـه أمُّ كلثـوم : زيـد بـن عمـر بـن الخطـاب، فعـاش حتـى كـان رجـلاً ثـم مات[2]. وولدت «أمّ كلثوم» لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ولدين: زيـدٌ ورقيّـة، أمّـا «زيـدٌ» فقد كان من سادة قريشٍ -كما ذكر الذّهبي في سيره-، وقد وَفَد زيدٌ على معاوية رضي الله عنه ، فأكرمه وأحسن جائزته، وأمر له بمائة ألف درهـم كـلّ عـام، وكـان زيـدٌ يفتخـر أمـام النّاس ويقول : «**أنا ابن الخليفتين**» [3]، نعم .. فوالده: الخليفة الرّاشد عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه ، ووالد أمّه: الخليفة الراشد عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، جمع بين النّسَبَين : النّسبِ العمـري، والنّسـبِ العلـويّ، فهنيئًـا لـه ، وحـقّ لـه الافتخـار بـأن يقـول: «أنـا ابـن الخليفتين». فكيف لا يحبّ الحسنان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهـو صـهرهما، وكـذلك هما خالا ابنه زيد بن عمر بن الخطاب؟

عمر رضي الله عنه يقدّم الحسنين على غيرهما في العطاء :

لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيتُ مـالٍ للمسـلمين، إذ كـان صلى الله عليه وآله وسلم إذا أتـاه فيءٌ قسـمه في يومـه، وقـد ظـلَّ الوضـع عـلى عهـد أبي بكـر رضي الله عنه ، أمّـا في خلافـة عمـر رضي الله عنه تـدفَّقت الأمـوال والغنـائم بسـبب كثـرة الفتـوح، كـما زادت نفقـات الدولـة

(1) قال المجلسي: «... وكذا إنكار المفيدِ أصلَ الواقعة؛ إنما هو لبيان أنـه لم يثبـت ذلـك مـن طـرقهم، وإلا فبعد ورود تلك الأخبار، وما سيأتي بأسانيد أن علياً - عليه السلام -لما تـوفي عمـر أتـى أم كلثـوم فانطلق بها إلى بيته، وغير ذلك مما أوردته في كتاب بحار الأنوار، إنكـار عجيـب» الـخ (2/ 45) من مرآة العقول.

(2) انظر السلسلة الصحيحة (2036).

(3) تاريخ دمشق : (19/ 485) .

الإسلامية ، فاحتاج الأمر إلى الاحتفاظ بفائض المال، وتنظيم الواردات والمصروفات، فاستحدث عمر رضي الله عنه بيت المال .

وحين أراد رضي الله عنه توزيع الأموال التي صارت ترد بكثرةٍ إلى بيت المال ، أشير عليه بإنشاء الديوان، وهو كتابة أسماء المستحقّين للعطاء، سواء من المجاهدين المشاركين في الفتوحات، أو من غيرهم من المسلمين، وبجانب ذلك تسجّل مقدار أعطياتهم .

أما ترتيب الديوان فقد جعله عمر رضي الله عنه يرتكز على أساسين :

الأساس الأول :القرابة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والأساس الثاني : السَّابقة إلى الإسلام . [ديوان الجند ص 101]. وقد كلّف عمر رضي الله عنه : عقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل، وجبير بن مطعم بكتابته، وكانوا من نسَّاب قريش ، فقالوا : « اكتبوا الناس على منازلهم فبدؤا ببني هاشم ، اتبعوهم أبا بكر وقومه ، ثم عمر وقومه » على الخلافة ، فلمَّا نظر إليه عمر قال : « وددت والله أنَّه هكذا ، ولكن ابدؤا بقرابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأقرب فالأقرب ، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله تعالى » [فتوح البلدان (1/ 436)] ، وفي رواية : قال له عليٌّ بن أبي طالبٍ وعبد الرحمن بن عوف : ابدأ بنفسك يا أميرَ المؤمنين ، [تاريخ الطبري (2/ 452)] ، فقال عمر: لا، ولكن ضَعُوا عمر حيث وضعه الله، فبدأ بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمَّ مَن يليهِم، حتى جاءت نوْبَتُه في بَنِي عديٍّ، وهم متأخِّرون عن أكثر بطون قريش . [اقتضاء الصراط المستقيم (1/ 355)] .

فجاءت بنو عديٍّ إلى عمر فقالوا : أنت خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخليفة أبي بكر ، فلو جعلتَ نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم الذين كتبوا ، فقال عمر : « بخٍ بخٍ ، بني عدي أردتم الأكل على ظهري ، وأن أهب حسناتي لكم ، لا والله » [فتوح البلدان (1/ 436)] .

وعلى حسب الترتيب الذي قرره عمر رضي الله عنه فقد ابتدئ بالحسن والحسين رضي الله عنهما ، ثم الذين يلونهم في القرابة ، ثمَّ قدّم المهاجرين الأولين، فبدأ بأهل بدر منهم، ثم أحد ... الخ . وقد فرض للحسن والحسين مع أهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ، وذلك إلحاقًا لهما بفريضة أبيهما علي مع أهل بدر؛ لقرابتهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ولعلَّ سياسة التفضيل في العطاء القائمة على القرب من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، والسابقة في الإسلام قصد منها عمر رضي الله عنه دعم تلك الفئة التي قام على أكتافها صرح الدولة الإسلامية، زد على ذلك كونها أكثر فقهاً والتزاماً بالشرع ومقاصده، وأكثر ورعاً وصلاحًا في التعامل مع المال من حيث الكسب والإنفاق .

وكان الخليفة عمر رضي الله عنه يحبّ الحسن والحسين حبًّا كبيرًا، وكان يفضلهما على ولده، فعندما انتصر المسلمون على الفُرس ، وفُتحت المدائن[1]، عام 16هـ وجاءت الأموال منها، قام عمر رضي الله عنه بإعطاء الحسن والحسين رضي الله عنهما ألفَ درهمٍ لكل واحد منهما، وأعطى ابنه عبد الله خمسمائة درهم[2]، فجاءه ولده يطالبه بأن يساوي بينه وبين الحسن والحسين في العطاء، فقال عمر: «ائتني بأبٍ كأبيهما، وأمٍّ كأمهما، وجدّ كجدهما، أعطك عطاءهما»[3] لأنه كان يلحقهما بعلي بن أبي طالب .

وهذه الرواية تظهر حقيقة محبة عمر لآل البيت عموماً، والحسن والحسين خصوصاً، حيث خصهما بأن جعلهما مع الطبقة الأولى من سادات الصحابة في العطاء، وما ذلك إلا لمحض المحبة لهما، وتقديراً لهما، لمكانتهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

---

(1) المدائن: بلدة بينها وبين بغداد ستة فراسخ فتحت على يد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(2) مقامات العلماء للغزالي (ص:161).

(3)فتوح الشام (2/ 208) ، ومن كتب الشيعة : شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي (26/ 317) ، بحار الأنوار : (9/ 38) .

نفس عمر تطيب بكسوة الحسنين رضي الله عنهم :

ومما يدل دلالة واضحة على حب عمر رضي الله عنه للحسنين، ما ذكره الذهبي في سيره: أنّه قدم على عمر حللٌ من اليمن، فكسا الناس، فراحوا في الحلل، وهو جالسٌ بين القبر والمنبر، والناس يأتون فيسلمون عليه ويدعون، فخرج الحسن والحسين ابنا علي رضي الله عنهم من بيت أمهما فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتخطيان الناس، وليس عليهما من تلك الحلل شيء، وعمر حزين؛ لأنه لم يكن في تلك الحلل ما يصلح للحسن والحسين؛ فأرسل إلى عامله في اليمن أن يرسل له حلتين للحسن والحسين وأن يعجّل بهما، فأرسل إليه حلتين، فكساهما، وقال: «الآن طابت نفسي»[1].

محبّة الفاروق لعليّ والزّهراء رضي الله عنهم :

أمَّا موقف عمر رضي الله عنه من بَضعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأم الحسنين السبطين رضي الله عنهم أجمعين، فهو موقف التعظيم والإجلال، فممّا قاله لفاطمة الزّهراء : «يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ما أحدٌ من الخلق أحبّ إلينا من أبيك، وما أحدٌ من الخلق بعد أبيك أحب إلينا منك» [مصنف ابن أبي شيبة (14/ 567) وإسناده صحيح].، فهذا هو الثابت الصحيح، والذي ينسجم مع روح ذلك الجيل وتزكية الله له.

عن سويد بن غفلة قال : رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يخاصم عليًّا رضي الله عنه - وفي رواية يسبُّ عليًّا - فقال له عمر : إني لأظنُّك من المنافقين ! سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « عليٌّ منِّي بمنزلةِ هارونَ من موسى ، إلا أنَّه لا نبيَّ بعدي » [تاريخ دمشق (42/ 166) ، تاريخ بغداد (7/ 452) ، من كتب الشيعة : الإمام علي في آراء الخلفاء لمهدي فقيه إيماني ص 65].

---

(1) أورده الذهبي في السير (3/ 285)، وانظر شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي (33/ 430).

محبّة عليّ للفاروق رضي الله عنهما :

أما الاهتمام العمري بعلي رضي الله عنه فهو أكبر من اهتمامه بأبنائه، ومن هنا انعكست محبة عمر رضي الله عنه لعلي وولده عليه، فقد رُئي على عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه كساءٌ كان يكثر لبسه، فقيل: يا أمير المؤمنين إنك لتكثر لبس هذا الكساء؟ فقال: «نعم، إنّ هذا كسانيهِ خليلي وصفيي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ناصح الله فنصحه» ثم بكى عليٌّ رضي الله عنه[1]، ومن هذه القصص وأمثالها عرف الحسن والحسين حقيقة محبه علي وأهل البيت لعمر، ومحبة عمر لهم .

تسمية أهل البيت باسم «عمر» :

وظلت العلاقة بين آل البيت وبين عمر رضي الله عنه شامخة وطيدة، حتى أن من حُبِّ علي لعمر رضي الله عنهما سمَّى أحد أولاده باسم « عمر » [طبقات ابن سعد (5/ 59) ، من كتب الشيعة : منتهى الأمال (1/ 261)] ، ومضى على هذا النمط الحسنان رضي الله عنهما ، فكانا يحبان فاروق الأمة حبًا جمًا، كما كان عمر يحبهما، ومن شدّة حبّ الحسنين لصهرهما عمر، فقد سمّى الحسن أحد أبنائه باسم « عمر » [الروض المعطار ص 27 ، من كتب الشيعة : عمدة الطالب ص 116] ، وسمى الحسين أحد أبنائه باسم « عمر » [من كتب الشيعة : بحار الأنوار (45/ 63)] .

ولما كان اسم عمر رضي الله عنه محبوبًا عند آل البيت عليهم سحائب الرضوان، فإن كثيرًا ممن ينتسب إلى هذه الشجرة المباركة سمى بعض أولاده باسم « عمر » !

فضل الفاروق رضي الله عنه على ذريّة الحسين رضي الله عنه :

---

(1) المصنف لابن أبي شيبة (12/ 29).

من العجيب أن تجد البعض ينتسب إلى الحسين، لكنه ينتقص عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأمثال هؤلاء لا بدّ أن يعلموا فضل عمر رضي الله عنه على آل البيت عمومًا، وعلى نسل الحسين خصوصًا، فلولا الله ثمّ عمر لما كان لنسل الحسين وجود! أتعلمون لماذا؟

لأنّ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه ، لما أتته غنائم الفرس نَفَل للحسينِ رضي الله عنه ابنةَ ملك الفرس يزدجرد، فولدت له زينَ العابدين عليّ بن الحسين، والذي لم يبق من أبناء الحسين غيرُه، وكلّ ذرّيّة الحسين تناسلوا منه وينتسبون إليه [من كتب الشيعة : عمدة الطالب لابن عنبة ص 192] .

وتوضيح ذلك : أنّه لمّا كان فتح فارس في معركة القادسيّة، أتى الصحابة بسبي فارس إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان فيهم ثلاث بنات لكسرى فارس « يزدجرد » فباعوا السبايا ، وأمر عمر ببيع بنات يزدجر أيضًا فقال له علي : إنَّ بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهنّ من بنات السوقة ، قال عمر : كيف الطريق إلى العمل معهنّ ؟ قال علي : يُقوَّمن ومهما بلغ ثمنهنَّ قام به من يختارهنَّ ، فقوّمن وأخذهنَّ علي بن أبي طالب فدفع واحدةً إلى عبد الله بن عمر وأخرى لولده الحسين وأخرى لمحمد بن أبي بكر الصديق وكان ربيبه ، فأعجب عمر بن الخطاب برأي عليٍّ فأمضاه ، ونفل بنات « يزدجرد » لهؤلاء الثلاثة . فأولدها عبد الله بن عمر ابنه : سالمًا ، وأولد الحسين : علي زين العابدين ، وأولد محمد بن أبي بكر : القاسم ، فهؤلاء الثلاثة أولاد خالة [الوافي بالوفيات (20/ 230)] .

وكلّ هؤلاء الأولاد من بنات « يزدجرد » كانوا فقهاء المدينة ومن أعلم النّاس ! قال الأصمعي : « وكان أهل المدينة يكرهون اتخاذ أمهات الأولاد حتى نشأ فيهم علي بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله ، ففاقوا أهل المدينة فقهًا وورعًا ، فرغب الناسُ في السَّراري » [وفيات الأعيان (3/ 268)] .

دفاع أهل البيت عن الفاروق ﵁ :

كان كبار أهل البيت المشهود لهم بالعلم والفضل يتخذون من قول عمر ﵁ لهم سنة، فعن حفص بن قيس قال: «سألتُ عبد الله بن الحسن عن المسح على الخُفَّين؟ فقال: امسح، فقد مسح عمر بن الخطاب ﵁، قال: فقلت: إنما أسألك أنت تمسح؟ قال: ذاك أعجز لك، أخبرك عن عمر وتسألني عن رأيي! فعمر كان خيراً مني ومن ملء الأرض. فقلت: يا أبا محمد، فإن أناساً يزعمون أن هذا منكم تقيةٌ ! قال: فقال لي ـ ونحن بين القبر والمنبر ـ : اللهم إن هذا قولي في السر والعلانية، فلا تسمعنّ عليَّ قول أحد بعدي. ثم قال: من هذا الذي يزعم أن علياً ﵁ كان مقهوراً، وأن رسول الله ﷺ أمره بأمر ولم ينفذه؟! وكفى بإزراء على علي ومنقصة أن يزعم أن رسول الله ﷺ أمره بأمر ولم ينفذه»[1].

وهذا إذا دلَّ إنما يدل على أن آل البيت رضوان الله عليهم، الآباء منهم والأبناء، الذين شهدوا عمر ﵁ ، والذين أتوا من بعده، جميعهم مقرُّون بفضل عمر، سالكون لطريقته، محبُّون له، وظهرت علامة محبتهم لعمر ﵃ بمصاهرتهم له وتسمية أبنائهم باسمه، وكونهم يرون العمل بسنة عمر ﵁، ويقدِّمونها على رأي أنفسهم، ويتبرؤون من كل من يحاول أن يوقع العداوة بين الخليفة الملهم، وبين آل البيت النبي الأكرم.

عليّ يودّع الفاروق ﵄ :

ومما يؤكد محبة علي لعمر ﵄ أنه لما قام المجوسي أبو لؤلؤة بطعن عمر بن الخطاب ﵁، ووُضع على سريره، يقول ابن عباس: «وضع عمر على سريره، فتكنّفه الناس،

---

(1) النهي عن سب الأصحاب لمحمد عبد الواحد المقدسي ص:57 .

يدعون ويصلون قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يَرعَني إلا رجل آخذٌ منكبي، فإذا به علي بن أبي طالب، فترحّم على عمر وقال: ما خَلّفت أحدًا أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنتُ لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحَسِبتُ أني كنت كثيرا أسمع النبي ﷺ يقول: ذهبتُ أنا وأبو بكر وعمر، ودخلتُ أنا وأبو بكر وعمر، وخرجتُ أنا وأبو بكر وعمر»[1].

هكذا استدلّ عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه على فضل ومنزلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بأنّه كان رفيق النبي ﷺ في الدنيا، في ذهابه ومجيئه، ودخوله وخروجه، بل أكرمه الله بأنّ جعله رفيق النبي ﷺ في موضع مضجعه ومرقده، حريٌّ بعدها أن يُبعث مع النبي ﷺ، ويكونَ معه في الجنة.

(1) البخاري (3685)

الباب العاشر:

الحسنان في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه

كان ذو النورين على صلة وثيقة بالدعوة الإسلامية من سنتها الأولى، فلم يفته شيء من أخبار النُّبوَّة الخاصَّة والعامَّة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يفته شيء بعدها من أخبار الخلافة في حياة الشيخين، وبعبارة أخرى:لم يفته شئ مما نسمّيه اليوم بأعمال التأسيس في الدولة الإسلامية، وكان المنهج التربوي الذي تربى عليه عثمان بن عفان، وكل الصحابة الكرام هو القرآن الكريم، المنزل من عند رب العالمين، كما أن الرافد القوي الذي أثر في شخصية عثمان بن عفان، وصقل مواهبه، وفجر طاقته، وهذب نفسه هو مصاحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتتلمذه على يديه في مدرسة النبوة، ذلك أن عثمان رضي الله عنه لازم الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة بعد إسلامه كما لازمه في المدينة بعد هجرته، وحرص على التلمذة في حلقات مدرسة النبوة في فروع شتى من المعارف والعلوم على يدي معلم البشرية، وهاديها، والذي أدبه ربُّه، فأحسن تأديبه، ولم يكن عثمان بن عفان رضي الله عنه ممن تخلفوا عن بدر لتقاعس منه، أو هروب ينشده، كما يزعم أصحاب الأهواء ممن طعن عليه في تغيبه عن بدر، فهو لم يقصد مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن الفضل الذي حازه أهل بدر في شهود بدر طاعة الرسول ومتابعته، وقد خرج عثمان مع النبي صلى الله عليه وسلم مع من خرج، فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم للقيام على ابنته رقية التي اشتد بها المرض وماتت بسبب ذلك، فكان عثمان في أجلِّ فرض لطاعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ضرب له بسهمه، وأجره، وشاركهم في الغنيمة والفضل والأجر لطاعته المولى عز وجل ورسوله، وانقياده لهما.

وفي الحديبية ذكر المحب الطبري اختصاص عثمان بعدة أمور، منها: اختصاصه بإقامة يد النبي ﷺ الكريمة مقام يد عثمان لما بايع الصحابة، وعثمان غائب، واختصاصه بتبليغ رسالة رسول الله ﷺ إلى من بمكة أسيراً من المسلمين، وذكر شهادة النبي لعثمان بموافقته في ترك الطواف لما أرسله في تلك الرسالة[1]، وفي فتح مكة قبل رسول الله ﷺ شفاعة عثمان بن عفان في عبد الله بن أبي السرح[2].

ومن حياة عثمان رضي الله عنه الاجتماعية في المدينة، زواجه من أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ بعد وفاة رقيَّة بنت رسول الله، ووفاة ابنه عبد الله بن عثمان، ثم وفاة أمِّ كلثوم رضي الله عنها.

مساهمة عثمان الاقتصادية في بناء الدولة:

ومن مساهمته الاقتصادية في بناء الدولة، شراء بئر رومة بعشرين ألف درهم، وجعلها عثمان رضي الله عنه للغني والفقير وابن السبيل، وتوسعة المسجد النبوي، وإنفاقه الكبير على جيش العسرة، وله فضائل كثيرة، وقد أخبر رسول الله ﷺ عن الفتنة التي يقتل فيها عثمان، وكان رضي الله عنه من الصحابة أهل الشورى الذين يؤخذ رأيهم في أمهات المسائل في عهد الصديق، فهو ثاني اثنين في الحظوة عند الصديق، فعمر بن الخطاب للحزم والشَّدائد، وعثمان للرِّفق والأناة، وكان عمر وزير الخلافة الصديقية، وكان عثمان أمينها العام، وكاتبها الأكبر، وكان رضي الله عنه ذا مكانة عند عمر، فكانوا إذا أرادوا أن يسألوا عمر عن شيء رموه بعثمان وبعبد الرحمن بن عوف، فإذا لم يقدر هذان على عمل شيء، ثلثوا بالعبَّاس[3].

---

(1) المناقب النضرة في المناقب العشرة (ص:490، 491).

(2) أضواء البيان في تاريخ القرآن، لصابر أبو سليمان (ص:79).

(3) تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان للصَّلابي (ص274).

وكان الحسن والحسين رضي الله عنهما في عهد عثمان في عز الشباب وعنفوانه، فقد كانا في سن يسمح لصاحبها أن يستوعب ما يدور حوله، ويتعلم من الأحداث ومن سياسة الخليفة الراشد عثمان ومن حوله من أصحاب رسول الله ﷺ ، ومن أهم الدروس التي استوعبها الحسن والحسين ابنا علي:

الفقه العمري في الاستخلاف:

استمرّ اهتمام الفاروق رضي الله عنه بوحدة الأمة ومستقبلها حتَّى اللحظات الأخيرة من حياته، رغم ما كان يعانيه من آلام جراحاته البالغة، وهي بلا شك لحظات خالدة، تجلَّى فيها إيمان الفاروق العميق، وإخلاصه، وإيثاره[1].

لقد استطاع الفاروق في تلك اللحظات الحرجة أن يبتكر طريقة جديدة لم يسبق إليها في اختيار الخليفة الجديد، وكانت دليلاً ملموساً، ومعْلماً واضحاً على فقهه في سياسة الدّولة الإسلامية، فكر في الأمر مليّاً، وقرّر أن يسلك مسلكاً آخر يتناسب مع المقام، فرسول الله ﷺ ترك النّاس، وكلهم مقرٌّ بأفضلية أبي بكر، وأسبقيته عليهم، فاحتمال الخلاف كان نادراً، وخصوصاً أن النبي ﷺ وجّه الأمة قولاً وفعلاً إلى أن أبا بكر أولى بالأمر من بعده، والصِّدِّيق لما استخلف عمر كان يعلم أنّ عند الصحابة أجمعين قناعة بأنّ عمر أقوى، وأفضل من يحمل المسئولية بعده، فاستخلفه بعد مشاورة كبار الصحابة، ولم يخالف رأيه أحد منهم، وحصل الإجماع على بيعة عمر[2].

وأما طريقة انتخاب الخليفة الجديد، فتعتمد على جعل الشورى في عدد محصور، فقد حصر ستَّة من صحابة رسول الله ﷺ كلهم يصلحون لتوليّ الأمر – مع التفاوت

(1) الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعاني (ص:161).

(2) أوليات الفاروق للقرشي (ص:122).

بينهم - وجعل من يقوم على الإشراف عليهم ومنع الفوضى، بحيث لا يسمحون لأحد أن يدخل، أو يسمع ما يدور في مجلس أهل الحلِّ والعقد[1].

العدد الذي حدده للشُّورى، وأسماؤهم:

أمّا العدد، فهو ستة، وهم: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقَّاص، والزبير بن العوّام، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم جميعاً، وترك سعيد بن زيد، وهو من العشرة المبشَّرين بالجنة، ولعله تركه لأنه من قبيلة بني عديٍّ[2]، وكان عمر رضي الله عنه حريصاً على إبعاد الإمارة عن أقاربه، مع أنَّ فيهم من هو أهلٌ لها، فهو يُبعد قريبه سعيد بن زيد عن قائمة المرشَّحين للخلافة[3].

طريقة اختيار الخليفة:

أمرهم أن يجتمعوا في بيت أحدهم، ويتشاوروا، وفيهم عبد الله بن عمر يحضر معهم مشيراً فقط، وليس له من الأمر شيء، ويصلِّي بالناس أثناء التشاور صهيب الرُّوميُّ، وقال له: أنت أمير الصَّلاة في هذه الأيام الثلاثة. حتى لا يوليِّ إمامة الصلاة أحداً من السِّتَّة، فيصبح هذا ترشيحاً من عمر له بالخلافة[4]، وأمر المقداد بن الأسود، وأبا طلحة الأنصاريَّ أن يرقبا سير الانتخابات[5].

مدَّة الانتخابات أو المشاورة:

---

(1) أوليَّات الفاروق،(ص:124).

(2) البداية والنهاية (7/ 142).

(3) الخلفاء الراشدون للخالدي (ص:98).

(4) الخلافة والخلفاء الراشدون للبهنساوي (ص:213).

(5) أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة (ص:648).

حدَّد الفاروق رضي الله عنه مدة لاختيار الخليفة تقدر بثلاثة أيّام، وهي فترة كافية، وإذا زادوا عليها، فمعنى ذلك أن شقَّة الخلاف ستتَّسع، ولذلك قال لهم: لا يأتي اليوم الرّابع إلا وعليكم أمير[1].

ومضى الصحابة رضي الله عنهم في اختيار الخليفة على النمط الذي رسمه لهم عمر رضي الله عنه، فلم يعدلوا عنه حتى استتب الأمر لعثمان رضي الله عنه، فبايعه الناس كلهم، وقدموه واستخلفوه على أنفسهم، ومنهم علي رضي الله عنه وأولاده، وكل أهل البيت . وقد ورد في كتب في الشيعة أنَّ عليَّ رضي الله عنه قال لنفرٍ من قريش في ذكر البيعة: «فبايعتم أبا بكر وعدلتم عني، فبايعتُ أبا بكر كما بايعتموه، ثم بايعتُ عمر كما بايعتموه، ثم بايعتم عثمان فبايعتُه» [انظر الرواية بتمامها في: أمالي الطوسي (518)، بحار الأنوار للمجلسي (32/ 262)] .

بين علي وعثمان رضي الله عنهما :

كانت العلاقة بين علي وبين عثمان رضي الله عنهما وطيدة، وفي أعلى صورها، فهي قائمة على الإيمان والحب والتقوى، وقرب النسب، وكونهما صهرا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ممّا جعل لهما من المزيّة ما ليس لغيرهما ، وممّا ورد في كتب الشيعة قول عليّ بن أبي طالب لعثمان بن عفّان رضي الله عنهما : «وما ابن قحافة ولا ابن الخطاب بأولى لعمل الحقِّ منك، وأنت أقربُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشيجة رحمٍ منهما، وقد نلتَ من صهره ما لم ينالا» [نهج البلاغة (2/ 68)، بحار الأنوار للمجلسي (31/ 489)، الغدير للأميني (9/ 74، 159)] .

وأمَّا نسب إلى علي رضي الله عنه أنه قال لعبد الرحمن بن عوف: خدعتني، وإنَّك إنَّما

---

(1) الطبقات لابن سعد (3/ 364).

وليته لأنَّه صهرك، ويشاورك كلَّ يوم في شأنه، وأنه تلكَّأ حتى قال لعبد الرحمن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾[1]، إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت في الصِّحاح، فهي مردودة على قائليها، وناقليها، والله أعلم، والمظنون من الصّحابة خلاف ما يتوهَّم كثير من جفاة الصحابة ، وأغبياء القصَّاص، الذين لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار وضعيفها، ومستقيمها وسقيمها[2].

والذي ندين الله به هو أن عليًا رضي الله عنه بمجرد ما سمع عبد الرحمن بن عوف يعلن النتيجة النهائية لاختيار من يتولى أمر المسلمين سمع وأطاع، ورضي بذلك ولم يخالف، وسار الحسنان أولاده على هذه الطريقة، حتى قتل عثمان رضي الله عنه .

فقد كان علي رضي الله عنه يكثر من ذكر محاسن عثمان، كما روي عن النزال بن سبرة الهلالي قال: قلنا لعلي: يا أمير المؤمنين حدثنا عن عثمان بن عفان، فقال: «ذاك امرؤ يدعى في الملأ الأعلى ذا النورين، كان ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنتيه، ضمن له بيتًا في الجنة»[3]. ومما ورد في كتب الشيعة عن الرِّضا عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ أبا بكر مني بمنزلة السمع، وإنَّ عمر مني بمنزلة البصر، وإنَّ عثمان مني بمنزلة الفؤاد » [عيون أخبار الرضا (1/ 280)، تفسير نور الثقلين (3/ 164)، بحار الأنوار للمجلسي (30/ 180)].

بل إنَّ عليًا رضي الله عنه يرى أن عثمان أفضل منه،كما جاء من طريق أبي جحيفة قال:

---

(1) [الفتح:10].

(2) البداية والنهاية (7/ 152).

(3) تاريخ دمشق (39/ 47).

خطبنا علي بن أبي طالب على منبر الكوفة فقال: «ألا إن خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ولو شئت أن أخبركم بثالث لأخبرتكم، قال: فنزل عن المنبر وهو يقول: عثمان عثمان»[1].

وروي عن شريح القاضي قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول على المنبر: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم أنا»[2].

وهذه الكلمات التي نقلت إلينا من جهة متواترة لا نشك في أن الحسنين رضي الله عنهما قد سمعاها من أبيهما كما سمعها منه الآخرون، ومن هنا فقد جاء من طريق عبد خير أن عليًا سمى أبا بكر وعمر، ثم قال: لو شئت أن أسمي الثالث لسميته، فوقع في نفس عبد خير، قال: «فأتيت الحسن بن علي، فقلت: إن أمير المؤمنين خطب فقال: إن أفضل الناس بعد النبي ﷺ أبو بكر، وأفضلهم بعد أبي بكر عمر، ولو شئت أن أسمي الثالث لسميته، فوقع في نفسي، فقال الحسن: قد وقع في نفسي- كما وقع في نفسك، فسألته فقلت: يا أمير المؤمنين، من الذي لو شئت أن تسميه؟ قال: المذبوح»[3].

فكان معتقد الحسنين رضي الله عنهما في هذا الأمر، هو ما ذهب إليه الصحابة، حيث أجمعوا على صحة خلافة عثمان بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولم يخالف أو يعارض في هذا أحد، بل الجميع سلَّم له بذلك، وقد قال أبو الحسن الأشعري: «وثبتت إمامة عثمان رضي الله عنه بعقد من عقد له الإمامة من أصحاب الشُّورى، الذين نصَّ عليهم عمر،

---

(1) تاريخ بغداد (7/ 68).

(2) تاريخ دمشق (23/ 8)، تاريخ الإسلام (26/ 649).

(3)تاريخ دمشق (39/ 158).

فاختاروه ورضوا بإمامته، وأجمعوا على فضله وعدله»[1].

وقال أبو عثمان الصَّابوني مبيناً عقيدة أهل السنة وأصحاب الحديث في ترتيب الخلافة بعد أن ذكر: أنَّهم يقولون أوّلاً بخلافة الصِّدِّيق، ثمّ عمر، قال: «ثم خلافة عثمان رضي الله عنه بإجماع أهل الشورى، وإجماع الصحابة كافة ورضاهم، حتَّى جعل الأمر إليه»[2].

بين عثمان والحسنين رضي الله عنهم :

كانت العلاقة بين عثمان رضي الله عنه وبين الحسن والحسين رضي الله عنهما علاقة تسودها المحبة والتقدير، فقد كان بين عثمان والحسنين مصاهرة، فعثمان رضي الله عنه زوْجُ خالتي الحسنين، فهو ذو النورين، الذي تزوّج رقية بنتَ محمد صلى الله عليه وسلم ، وبعد وفاتها تزوج أختها أمَّ كلثوم بنتَ رسول صلى الله عليه وسلم ، وهما أختا فاطمة الزهراء، وخالتا الحسن والحسين رضي الله عنهما ، ولا شك أن الحسنين رضي الله عنهما كانا يعرفان حق خالهما عثمان، ويوقرانه، ويعزرانه، ويجلانه، اقتداءً بتقدير جدِّهما صلى الله عليه وسلم لذي النورين، واحترامه له .

صلّى عليه الذي أهْداهُ نُورَ هُدًى ... ما هبَّتِ الرِّيحُ من بعدِ الجنوبِ صَبا

ثمّ الرّضا عن أبي بكْرٍ وعن عُمَرٍ ... بَدْرانِ من بعده للمِلّة انْتُخِبا

وبعدُ عُثْمان ذو النُّورَيْن ثالِثُهم ... من أحْرَزَ المجدَ مَوْروثا ومُكْتَسَبا

وعن عليٍّ أبي السِّبْطَيْن رابِعهم ... سيْفِ النّبي الذي ما هزَّه فَنَبا

وسائِرِ الأهلِ والصّحْب الكرام فهُمْ ... قد أشْبَهُوا في سماء الملَّة الشُّهُبا

---

(1) الإبانة عن أصول الديانة (ص:68).

(2) عقيدة السَّلف وأصحاب الحديث ضمن الرسائل المنيرية (1/ 139).

عثمان رضي الله عنه والفتوحات:

كانت خطة عثمان في الفتوحات تتسم بالحسم والعزم، وتمثَّلت في الآتي:

1- إخضاع المتمرِّدين من الفرس والرُّوم، وإعادة سلطان الإسلام إلى هذه البلاد.

2- استمرار الجهاد والفتوحات وراء هذه البلاد لقطع المدد عنهم، وإقامة قواعد ثابتة يرابط فيها المسلمون لحماية البلاد الإسلامية.

3- إنشاء قوة بحرية عسكرية لافتقار الجيش الإسلامي إلى ذلك، وكانت معسكرات الإسلام ومسالكه وثغوره في عهد عثمان هي عواصم أقطاره الكبرى، فمعسكر العراق: الكوفة، والبصرة، ومعسكر الشَّام في دمشق.

ولقد استفاد المسلمون من تلك الفتوحات العثمانية دروساً منها: تحقق وعد الله للمؤمنين بالنصر والتمكين، والتطور في فنون الحرب والسياسة وركوب البحر، والقتال البحري، وجمع المعلومات عن الأعداء، والحرص على وحدة الكلمة في مواجهة العدو، وغيرها من الأمور القتالية. واستفاد من هذه الفتوحات التي كانت في عهد عثمان رضي الله عنه الحسن والحسين رضي الله عنهما، واستطاعا أن يبنيا أنفسهما، ويكتسبا خبرة كبيرة من جهة الحرص على وحدة الأمة.

الحسنان في فتح البلدان في زمن عثمان رضي الله عنه :

لم يكن الحسنان رضي الله عنهما من الذين يغترون بأنفسهم ويقعدون عن العمل لدين الله كما هو حال أبناء الأمراء أو الملوك، ولكنهم كانوا مع علوِّ مرتبتهم ومكانتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الذين شاركوا في الفتوح، وكانت مشاركتهم في زمن عثمان رضي الله عنه ؛

لأنهما كانا آنذاك قد بلغا مبلغ الرجال من القوة الحسية والعقلية، وأصبحت عندهما قدرة قتالية وحنكة عسكرية .

الحسنان رضي الله عنهما في فتوحات إفريقية (تونس) 26 هـ:

جاء في كتاب (رياض النفوس) أنّ عبد الله بن سعد بن أبي السّرح والي مصر أرسل إلى الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه يطلب منه الإذن في غزو إفريقيّة، فأعرب عثمان بن عفان رضي الله عنه على إثر ذلك للمسور بن مخرمة عن رغبته في بعث الجيوش لغزو إفريقية[1]، فقال له: «ما رأيك يا ابن مخرمة؟ قلت: اغزهم. قال: اجمع اليوم الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستشرهم، فما أجمعوا عليه فعلته، أو ما أجمع عليه أكثرهم فعلته، ايتِ علياً، وطلحة، والزبير، والعباس، وذكر رجالاً.

فخلا عثمان رضي الله عنه بالأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، واستشارهم في ذلك، فوافقوا جميعًا على هذا الأمر، ولم يختلف عليه أحدٌ ممن شاوره إلا أبو الأعور سعيد بن زيد، فدعاه وسأله عثمان رضي الله عنه : لم كرهت يا أبا الأعور من بعثة الجيوش إلى إفريقية؟ فقال له أبو الأعور: سمعت عمر رضي الله عنه يقول: لا أغزيها أحداً من المسلمين ما حملت عينايَ الماء. فلا أرى لك خلاف عمر، فقال له عثمان: والله ما نخافهم، وإنهم لراضون أن يقروا في مواضعهم، فلا يغزون».

ثم خطب الناس، وندبهم إلى الغزو إلى إفريقية، فخرج للجهاد كبار الصحابة، وخيار شباب أهل البيت رضي الله عنهم ، منهم: عبد الله بن الزبير، وأبو ذر الغفاري[2]، وعبد

---

(1) سمّي هذا الجيش بجيش العبادلة لمشاركة خمسٍ من الصحابة رضي الله عنهم يحملون اسم : « عبد الله » .

(2) انظر: رياض النفوس (1/ 8 – 9) الجهاد والقتال لهيكل (1/ 556).

الله بن عمر[1]، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، والحسن والحسين رضي الله عنهم [2]، وغيرهم كثير.

تحرّك هذا الجيش من المدينة المنورة تحت قيادةِ الحارث بن الحكم، حتى وصلوا إلى منطقة « الفسطاط » من أرض مصر، فوضعوا أنفسهم جميعًا تحت إمرة عبد الله بن سعد بن أبي السّرح، بأمرٍ من الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ووصل عدد القوات الإسلامية إلى 20 ألف مجاهدٍ، ثمّ تحرّكت القوات الإسلامية غربًا، حتى وصلت إلى « برقة » من دون أي عقبات تعترضها؛ لأن أهلها كانوا على عهدهم مع المسلمين أيام عمرو بن العاص رضي الله عنه ، وهناك انضمّ إليهم عقبة بن نافع الفهري بجيشه.

واصل الجيش الإسلامي تقدّمه نحو « إفريقية » - تونس اليوم - ، حتى وصلت جحافل المسلمين إلى « طرابلس » بقيادة عبد الله بن أبي السّرح، وانضمّ أيضًا إلى الجيش الإسلامي عددٌ لا بأس به من البربر الذين دخلوا في الإسلام وحسُن إسلامهم، وكانوا أداة قوةٍ مع بقية الجيش الإسلامي الذي استطاع إعادة فتح طرابلس للمرة الثانية، وذلك في العام السادس والعشرين للهجرة المباركة [3].

دخل المسلمون إفريقية؛ لتطهيرها من الاحتلال الرّوماني البغيض، الذي أنهك الأهالي بالضّرائب وسوء المعاملة، إضافةً إلى إذلالهم وإرهاقهم، فبدأ القائد عبد الله بن أبي السّرح بالتحرّك نحو مدينة «سبيطلة»، حيث يتحصّن فيها الحاكم البيزنطي «جرجير» وجنوده، فأرسل قائد المسلمين عبد الله بن أبي السّرح رسالةً إلى قائد الرّوم

(1) البداية والنهاية (8/ 59).

(2) تاريخ ابن خلدون (2/ 573) ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (1/ 92) .

(3) تاريخ ابن خلدون (2/ 574) .

جرجير قبل محاربته، وخيّره بين ثلاثة أمور: إمّا أن يدخل في الإسلام، أو يدفع الجزية ويبقى على دينه، أو أن يكون القتال بين الطّرفين، فأبى جرجير إلا قتال المسلمين، وقد بلغ عدد جيشه 120 ألف مقاتل من البربر المغلوب على أمرهم.

واشتدّ القتال بين الطرفين، فكان القتال يبدأ كلّ يومٍ بكرةً حتى وقت الظّهر، فإذا أذن الظهر عاد كل فريقٍ إلى خيامه .

ثمّ إنّ عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أشار على عبد الله بن أبي السّرح وقال له: تأمر منادياً ينادي: «من أتاني برأس جرجير نفَلتُه مائة ألف، وزوّجتُه ابنته، واستعملتُه على بلاده» ففعل ذلك، فصار جرجير يخاف خوفاً شديدًا، ثمّ إن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال لعبد الله بن سعد: إنَّ أمرنا يطول مع هؤلاء، وهم في أمدادٍ متصلةٍ، وبلادٍ هي لهم، ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم، وقد رأيتُ أن نترك غداً جماعة صالحة من أبطال المسلمين في خيامهم متأهِّبين، ونقاتل نحن الروم في باقي العسكر إلى أن يضجروا ويملُّوا، فإذا رجعوا إلى خيامهم ورجع المسلمون ركب من كان في الخيام من المسلمين ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون، ونقصدهم على غرّة، فلعل الله ينصرنا عليهم.

فأحضر عبد الله بن أبي السّرح جماعةً من أعيان الصحابة واستشارهم فوافقوه على ذلك، وفعل عبد الله ما اتفقوا عليه، فقد أخذ عبد الله بن الزبير من كان مستريحاً من شجعان المسلمين وقصد الرّوم، فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم وحملوا حملة رجل واحد، وكبَّروا، فلم يتمكن الروم من لبس سلاحهم حتى غشيهم المسلمون، وقتل عبدُ الله بن الزبير قائدَ الرّوم : «جرجير» .

وانهزم الجيش الرّومي، وقُتِل منهم مقتلةً عظيمة، ونزل عبد الله بن أبي السّرح المدينة، فحصرها حتى فتحها، ووجد فيها من الأموال ما لم يكن في غيرها، فكان سهم

الفارس ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل ألف دينار[1]، وقد قدَّم المسلمون الغالي والرَّخيص في فتوحات إفريقية، واستشهد منهم الكثير.

وبعد هذا الانتصار الكبير للمسلمين، على أعدائهم الرّومانِ المحتلين الغاصبين، اتجه الحسن والحسين ومعهما ثلةٌ مباركةٌ من المسلمين إلى عاصمة الخلافة، وقلوبهم مفعمةٌ بالسرور والارتياح، لتوسع النفوذ الإسلامي، وانتشار دين رب العالمين.

الحسنان رضي الله عنهما في فتوحات طبرستان 30 هـ :

جهّز الخليفة عثمان بن عفّان جيشًا لغزو طبرستان[2] ، وتمّ له فتحُ تلك المناطق، والتغلّبُ على أهلها، ففي سنة ثلاثين للهجرة تحرّك الجيش المسلم من الكوفة، بقيادة الصّحابي سعيد بن العاص رضي الله عنه[3]، ومعه جمعٌ من صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم: حذيفة بن اليمان، والحسن، والحسين، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير رضوان الله عليهم، وغيرهم من أعيان المهاجرين والأنصار.

وأثناء توجّههم لفتح طبرستان، نزلوا منطقة قُومِس[4] وكان بين أهلها وبين

---

(1) انظر في معركة سبيطلة: الكامل في التاريخ (2/ 483) والبداية والنهاية (8/ 59).

(2) «طبرستان»: بلاد كثيرة عامرة، كثيرة المياه والثمار والأشجار، وتسمى اليوم : «مازندران» ، والمدخل إلى طبرستان من الرّي – طهران والتي تبعد عنها 200 كم –. انظر : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (678).

(3) وقبل خروجه بيسير خرج الصّحابي الجليل عبد الله بن عامر رضي الله عنه من البصرة لفتح خراسان.

(4) هي كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن، وقرى، ومزارع، وهي في ذيل جبال طبرستان، وقصبتها المشهورة دامغان.

المسلمين صلحٌ سابق[1]، ثمّ توجّه الجيش إلى منطقة جَرجَان[2] فصالح أهلها المسلمين على مائتي ألفٍ، ثم أتوا إلى مدينة طَمِيسة، وكلّ تلك المناطق تابعةٌ لإقليم طبرستان، وطميسة مدينةٌ على ساحل البحر[3]، وهي آخر حدود طبرستان، وقد جرت بين المسلمين وبين أهل طميسة معارك شديدةٌ جدًا، حتى اضطرّ المسلمون إلى أن يصلّوا صلاة الخوف[4]، وبعد اشتداد القتال لاح النّصر، وتقدّم المسلمون، واضطرّوهم إلى اللجوء إلى حصنٍ لهم، وحاصروهم حصارًا شديدًا، وبعدها فتح الله على المسلمين واقتحموا الحصن وفتحوه، وقتلوا مَن به مِن الكفّار المعاندين، وكان نصرًا مؤزّرًا[5]، وبعد تحقيق هذه الفتوحات والانتصارات الإسلاميّة في إقليم طبرستان، رجع هذا الجيش الإسلاميّ بقيادة سعيد بن العاص إلى مدينة الكوفة.

* وتؤكّد أكثر الرّوايات التاريخية، أنّ الحسن والحسين، قد اشتركا في كثيرٍ من الفتوحات الإسلامية في عهد عثمان، وكان لهما دورٌ بارزٌ في سير تلك المعارك التي كانت تدور رحاها بين المسلمين وغيرهم، وليس بغريبٍ على علي بن أبي طالبٍ وبنيه أن يجنّدوا كل إمكانياتهم وطاقاتهم في سبيل نشر الإسلام وإعلاء كلمته، إنّها

---

(1) وهو صلحٌ صالحهم حذيفة بعد نهاوند.

(2) مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان.

(3) طميسة تطل على (بحر الخزر)، والذي سمّي باسم قبائل (الخزر) التي تسكن حوله، ويعرف الآن باسم: بحر القزوين، وهو بحر داخليٌ يفصل بين أوروبا وآسيا، وتشترك فيه روسيا وإيران.

(4) ومعلومٌ أنّ صلاة الخوف إنّما تصلى عند اشتداد القتال، وقد سأل قائد الجيش سعيدٌ حذيفة بن اليمان عن كيفية هذه الصلاة، فقال له: كيف صلى رسول الله ﷺ ؟ فأخبره حذيفة، فصلى بهم سعيد صلاة الخوف وهم يقتتلون. انظر تاريخ الأمم والملوك (5/ 57).

(5) انظر تاريخ الأمم والملوك (5/ 57)، الفتوحات الإسلامية (1/ 175).

البطولات، والتربية على التضحيات، إنّه حبّ الشهادة أوّل أمارات السّيادة.

عليٌ يقيم الحدود في خلافة عثمان رضي الله عنه :

كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه من رجالات دولة عثمان رضي الله عنه ، فقد ورد أنّه كان ممّن يقيم حدود الله تعالى في خلافته على العصاة والمخالفين ، ومن ذلك : لمّا شهد رجلان على الوليد بأنّه شرب الخمر ، قضى عثمان بن عفان رضي الله عنه بعزله وإقامة الحدّ عليه ، ونادى عليَّ بن أبي طالبٍ وقال له عثمان : يا عليّ قُم فاجلده ، فقام عليٌّ وأمر ابن أخيه عبد الله بن جعفر بتولّي جلده ، وأخذ عليٌّ يعدُّ حتى بلغ أربعين ، فقال أمسك ! ثم قال : « جلَدَ النبي صلى الله عليه وسلم أربعين ، وجلد أبو بكر رضي الله عنه أربعين ، وعمر رضي الله عنه ثمانين ، وكلّ سُنَّة ، وهذا أحبُّ إليَّ » [انظر صحيح مسلم (1707)]. ومن هذا الحديث الصحيح يظهر لنا جليًّا أنّ عليًا رضي الله عنه كان قريبًا من عثمان رضي الله عنه ومعينًا له على طاعة الله .

عليٌ يدافع عن عثمان رضي الله عنه :

وكان عليُّ بن أبي طالبٍ من أهل المشورة عند عثمان بن عفان ، وممّا يؤكد ذلك : عندما اختلف الناس في قراءة القرآن الكريم ، جمع عثمان رضي الله عنه المهاجرين والأنصار وشاورهم في الأمر، وفيهم أعيان الصحابة وفي طليعتهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وعرض عثمان رضي الله عنه مشكلة اختلاف النّاس في قراءة القرآن الكريم ! ودارسهم أمرها ودارسوه، حتى عرف رأيهم وعرفوا رأيه، وظهر الناس في أرجاء الأرض ما انعقد عليه إجماعهم، من جمع القرآن على مصحفٍ واحد ! فلم يعرف قط يومئذ لهم مخالفٌ، ولا عرف عند أحد نكيرٌ .

إلى أتى الخوارج وعابوا عليه ذلك ! فدافع عنه عليٌّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه فقال : « يا أيّها الناس لا تغلوا في عثمان ، ولا تقولوا له إلا خيراً في المصاحف وإحراق المصاحف ، فوالله ما فعلَ الذي فعلَ في المصاحف إلا عن ملأٍ منا جميعاً ، فقال ما تقولون في هذه القراءة ؟ قد بلغني أنَّ بعضهم يقول إنَّ قراءتي خيرٌ من قراءتك وهذا يكاد أن يكون كفرًا ! قلنا : فما ترى ؟ قال : نرى أن نجمع الناس على مصحفٍ واحد ، فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف ، قلنا : فنِعم ما رأيتَ . فقيل : أيُّ الناس أفصح وأي الناس أقرأ ؟ قالوا : أفصحُ الناس سعيد بن العاص ، وأقرأُهم زيد بن ثابت ، فقال : ليكتب أحدهما ويملي الآخر ففعلا وجَمَع الناس على مصحفٍ ، قال عليٌّ : والله لو وُلِّيتُ لفعلتُ مثل الذي فعل » [كتاب المصاحف لابن أبي داود ص 98 ، تاريخ دمشق (39/ 245)] .

عثمان يراجع عليًا رضي الله عنه في المسائل الشرعيّة :

قال عبد الله بن الحارث الهاشمي : كان أبي الحارث على أمرٍ من أمور مكة في زمن عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، فأقبل عثمان رضي الله عنه إلى مكة ، فاستقبلته بالنزل بقديد فاصطاد أهل الماء حَجَلاً فطبخناه بماء وملح ، فجعلناه عُرَاقًا للثريد ، فقدَّمناه إلى عثمان رضي الله عنه وأصحابِه فأمسكوا ، فقال عثمان رضي الله عنه : صيدٌ لم أصطَدهُ ولم آمر بصيدِه! اصطادهُ قومٌ حلٌّ - أي غير محرمين - فأطعموناه ، فما بأسٌ ، فقال عثمان رضي الله عنه : من يقول في هذا ؟ فقالوا : عليٌّ . فبعث إلى عليٍّ رضي الله عنه فجاء ، فقال له عثمان رضي الله عنه : صيدٌ لم نصطده ولم نأمر بصيده ، اصطادهُ قومٌ حِلٌّ فأطعموناه ، فما بأسٌ ! قال : فغضب عليٌّ رضي الله عنه وقال : أنشُدُ الله رجلاً شهِد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أُتِي بقائمةِ حمارِ وحشٍ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنَّا قومٌ حُرُم - أي محرمون - فأطعموه أهل الحِلِّ ، قال : فشهد اثنا عشر رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم قال عليٌّ :أشهد الله رجلاً شهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أُتِي ببيض النَّعام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنَّا قوم حُرُمٌ أطعموه أهل الحِلّ ، قال : فثَنَى

عثمانُ ورِكَه عن الطَّعامِ فدخل رَحْلَهُ ـ أي موضع إقامته ـ ، وأكل ذلك الطعام أهلُ الماء » [مسند أحمد (783) ، قال شعيب الأرنؤوط : حسنٌ لغيره] .

فتنة الخروج على عثمان رضي الله عنه :

كانت المؤامرات ضدّ الاسلام تعمل عملها المستميت ، منذ بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وتحاول أن تربَح بالغدر وإثارة الفتن ما خسرته في الحرب، وكان مقتل عمر رضي الله عنه أوَّل نجاح أحرزته هذه المؤامرات التي أخذت تهبّ على المدينة كريح السَّموم ، من تلك البلاد التي دمّر الاسلام ملكها وعروشها ، وأغراها استشهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على مواصلة مساعيها .

ولكن روح الأخوة التي غرسها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه رضي الله عنهم لا يمكن أن تذهب سدًى أبدًا، بل تبقى وطيدة قوية شامخة، لا تزلزلها عواصف الأيام، ولا تذهبها تغيرات الأزمان، وقد ظهرت هذه الأخوة بينهم في مواطن عدة، ومواقف متعددة، من ذلك: مناصحة علي رضي الله عنه لخلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومناصرتهم، والوقوف إلى جانبهم هو والحسنان رضي الله عن الجميع، ومن أعظم ما يشهد لما ذكرناه : موقفه أمام الذين أحدثوا فتنة قتل عثمان ذي النورين، وإعلانه السمع والطاعة لعثمان، ولمن سبقوه أبي بكر وعمر رضي الله عنهم ، وقد عبّر علي رضي الله عنه بنفسه عن مدى طاعته للخليفة عثمان والتزام أمره، ولو كان شاقاً بقوله: «لو سيرني عثمان إلى صرار لسمعت وأطعت»[1].

ولقد كانت فتنة الخروج على الخليفة الراشدي عثمان بن عفان رضي الله عنه ومن ثم استشهاده ، **أوَّل فتنة في الإسلام وأعظمها!** وقد انفتح بها مسلسل الخلاف والفتن بين

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة (15/ 225) وسنده صحيح.

المسلمين، فجرى على أثرها بتخطيطٍ ماكرٍ من أعدائهم وقائع مسلحة هزَّت كيانهم، ومزَّقت وحدتهم ! فجرت في أوقاتٍ متقاربة بعيدها : وقعة الجمل، ثم وقعة صفين، ثم وقعة النهروان ! وقد تمخَّض عن ذلك اختلافات سياسيَّة وعقديَّة، فظهرت ما سُمِّي بالفرق الإسلامية من : خوارج وسبئيّة ومرجئة .. وغيرها، ثم استمرت تداعيات هذه الفئة وانشقاقها السياسية والعقدية تنخز في جسم الأمة الإسلامية حتى زماننا هذا ! وقد كان مدبّر الفتنة ومحركها هو «عبد الله بن سبأ» اليهوديُّ الذي ادّعى الإسلام ليكيد بأهله .

دور ابن سبأ في إشعال الفتنة أيام عثمان رضي الله عنه :

من أجل تنفيذ مخطط ابن سبأ في الغلو في علي بن أبي طالب رضي الله عنه استتر ابن سبأ وأتباعه خلف شعار : « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » [تاريخ الطبري (4/ 340)] ،وتقمَّصوا دور الناصح الأمين المشفق على الأمة ! وراحوا يعملون على إثارة النَّاس على ولاة عثمان رضي الله عنه ونسبتُهم إلى الظلم ، وذلك عن طريق نشر الأكاذيب عنهم، وتضخيم أخطائهم غير المقصودة[تاريخ الطبري (4/ 340)] . بعد ذلك تطوَّر الأمر، وأصبحوا يتهمون عثمان رضي الله عنه نفسه بالظلم ! واستخدموا في سبيل ذلك أسلوب تزوير الرَّسائل، حيث زورا رسائل على ألسنة عثمان رضي الله عنه ، ورسائل أخرى على ألسنة الصحابة رضي الله عنهم فيها اتهامٌ لعثمان رضي الله عنه بالظلم وأنه غيَّر وبدَّل ، وعن ذلك يقول ابن كثير : « وهذا كذبٌ على الصحابة ، وإنما كُتبت كتبٌ مزوَّرة عليهم، كما كتبوا من جهة عليٍّ وطلحة والزُّبير إلى الخوارج كتباً مزوَّرة عليهم أنكروها » [البداية والنهاية (7/ 75)] .

كما أنّ هناك عاملاً آخر أسهم في إثارة الدهماء على عثمان رضي الله عنه ألا وهو : ضعف التربية الإيمانية لدى بعض الداخلين في الإسلام حديثاً، والذين يجهلون منزلة

صحابة رسول الله ﷺ ، وعن ذلك الأمر يقول الحافظ أبو نعيم الأصبهاني : « وكثُر في أيامه ـ أيام عثمان رضي الله عنه ـ مَن لم يصحَب الرَّسول، وفُقِد من عَرَف فضل الصحابة رضي الله عنهم) [الإمامة 322] .

حصار عثمان رضي الله عنه في داره :

بعدما أثار السبئيّون ـ أتباع عبد الله بن سبأ ـ الناسَ في أقطار الدول الإسلامية على الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وأوغلوا الصُّدور عليه، وعظَّموا بعض الأخطاء الصادرة من بعض عماله ، تحركت فئام من أهل الأمصار نحو المدينة ، وقد نصّت تلك المصادر بالتحديد على وفود : أهل مصر والبصرة والكوفة ، وكانت أعداد كل وفدٍ منهم تتراوح مابين 600 إلى 1000 رجل ، وقد خرجوا بصفتهم حُجاجاً في أواخر سنة 35 هـ . بحيث لا يفطن لهم النّاس ، فلما اقتربوا من المدينة توقفوا بعد أن خافهم أهلها، فبادر أفراد منهم للدخول إليها . فذهب رؤساء الوفد المصري إلى : علي رضي الله عنه . ورؤساء الوفد البصري إلى : طلحة رضي الله عنه ،ورؤساء الوفد الكوفي إلى : الزُّبير رضي الله عنه ، ولكن هؤلاء الصحابة لم يصغوا لهم ، بل طردوهم !

وبعد أن تظاهرت تلك الوفود بالرّجوع إلى بلدانهم وقطعوا مسافة ، وتفرَّق أهل كل مدينة ، كانت المفاجأة بعودتهم مرةً أخرى واقتحامهم جميعاً المدينة المنورة ، وعند سؤالهم عن سبب رجوعهم ، ردَّ المصريُّون بأنهم امسكوا برجلٍ معه كتابٌ من الخليفة عثمان رضي الله عنه إلى واليه في مصر ـ يأمره بقتلهم ! فسأل علي رضي الله عنه الوفدين الكوفي والبصري : «كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر ؟ وقد سِرتم مراحل ثم طَوَيتم نحونا ! هذا والله أمرٌ أبرم بالمدينة ! ». ولم يكن ردُّهم عليه إلا بقولهم : « فضعوه على ماشئتم ، لا حاجة لنا في الرجل ليعتزلنا » [تاريخ الطبري (2/ 653)] . ثم مالبثوا أن حاصروا عثمان رضي الله عنه في داره !

وشاء الله وقوع هذه الفتنة العظيمة في مدينة رسول الله ﷺ ! والتي قادها الحاقدون والأعلاج، من غوغاء القبائل، وسفلة الأطراف والأراذل، واشتدّ الحصار على عثمان رضي الله عنه حتى منع من الحضور للصلاة في المسجد، بل مُنع عنه الماء، فأرسل علي بن أبي طالب ثلاث قِربٍ مملوءة ماءً إلى بيت عثمان رضي الله عنه [تاريخ الخلفاء للسيوطي (1/ 159)]، عندما كاد أهله أن يموتوا عطشًا، لمنع البغاة والخارجين الماءَ عنه وعن أهل بيته ! وهو صابرٌ محتسب كما أمره الرسول ﷺ بذلك، وحصل له كلّ هذا الابتلاء وهو شيخ كبيرٌ قد تجاوز السبعين وقارب الثمانين من عمره .

واشتدت سيطرة المتمرّدين على المدينة، حتى أنّهم كانوا يصلون بالناس في أغلب الأوقات، وحينها أدرك الصحابة أنّ الأمر ليس كما ظنوا، وخشوا من حدوث ما لا تحمد عقباه، فعرضوا عليه أن يدافعوا عنه، ويخرجوا الغوغاء عن المدينة، إلا أنّ عثمان رضي الله عنه رفض أن يراق دمٌ بسببه ، وكان يقول : « فوالله إني لأرجو أن ألقى الله ، ولم أهرِق محجمةً من دم المؤمنين» [تاريخ دمشق (39/ 429)] .

الصحابة رضي الله عنهم يدافعون عن عثمان رضي الله عنه :

ومع ذلك بذل كبار الصحابة رضي الله عنهم ما في وسعهم للدّفاع عن أخيهم عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، ويمكن أن نقسّم الصحابة في دفاعهم عنه بالسلاح ، إلى فريقين :

الفريق الأول : كانوا خارج الدار، وقد عرضوا على عثمان رضي الله عنه القتال دونه، ولكنه لم يأذن لهم بذلك ! منهم : الزبير بن العوام رضي الله عنه ، ومعه رجال من بني عمرو بن عوف من الأنصار، وزيد بن ثابت رضي الله عنه ومعه جماعة من الأنصار، وحارثة بن النعمان رضي الله عنه ومعه أيضاً جماعة من الأنصار .

أما الفريق الثاني : فقد كانوا معه داخل الدار ، وقد استعدوا للدفاع عن عثمان رضي الله عنه ،وجندوا أنفسهم للقتال دونه ، وكانوا جماعة من الصحابة وأبناء

الصحابة وغيرهم ، ويأتي في مقدمة هؤلاء : عبد الله بن عمر، وأبو هريرة ، وبعث الزبير ابنه ، وبعث طلحة ابنه ، ومحمد بن حاطب ، وأبو أمامة بن سهل بن حنيف، ومروان بن الحكم ، ورجال من بني عدي ، ومعهم الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب ، وقد قال عليٌّ لهما : « اذهبا بنفسيكما حتى تَقُومَا على بَابِ دارِ عثمان، فلا تدعا واحداً يَصِلُ إليه » [تاريخ المدينة المنورة لابن شبة (2/ 405)].

وقد انتضَى أبو هريرة رضي الله عنه سيفَه فقال: « الآن طابٌ أم ضِرَاب ! فقال عثمان رضي الله عنه : أما علمت أن لي عليك حقاً. قال: بلى. قال: فأقسمتُ عليك بحقِّي لما أغمدتَ سيفك وكففْتَ يَدك? [تاريخ المدينة المنورة لابن شبة (2/ 336] ، وقد رُوي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنّه قال: رحتُ إلى الدار ـ أي دار عثمان ـ وغَدَوْتُ إليها شَهْراً ! وعثمان رضي الله عنه محصورٌ، كل ذلك بعَيْنِ عَليٍّ رضي الله عنه ما نهاني يوماً قط ! قال: فقام إليه يوم زُحِفَ إليه ، فَقَال الحسن : يا أمير المؤمنين عَلامَ تَمْنَعُ الناسَ مِنْ قِتَالهم ؟ والله لقد حلَّ لك قتالهم، والناس جادُّون فأذنْ للناس في قتالهم ! فقال عثمان رضي الله عنه : أقسمتُ عليك يا ابن أخي لما كَفَفْتَ يَدَيْكَ، يا ابن أخي أعْزِمُ عليك بِحَقِّي عليك إلا لَحِقتَ بأهْلِك ! فلا حاجة لي في هَرَاقَةِ الدِّماء » [تاريخ المدينة المنورة لابن شبة (2/ 336 ـ 341)] . وفي رواية أنّه قال له : « ارجع يا ابن أخي حتى يأتي الله بأمره»[1] .

وقد كان عثمان رضي الله عنه يحبُّ الحسن كثيرًا ويكرمه، وقد أقسم على الحسن رضي الله عنه بالرجوع إلى منزله، وذلك خشية عليه أن يُصاب بمكروه[2] .

---

(1) الرياض النظرة نقلاً عن الحسن بن علي ودوره السياسي (ص:46).

(2) تاريخ المدينة لابن شبة (4/ 1208).

وقد شدّد عثمان رضي الله عنه على كلّ من في الدّار معه بعدم القتال حتى قال - كما ثبت بإسناد صحيح - : « اعزم على كل من رأى أنَّ لي عليه سمعاً وطاعة إلا كفَّ يده وسلاحه ، فإن أفضلكم عني غَناء من كفَّ يده وسلاحه » [تاريخ دمشق (39/ 398)].

ورغم ذلك فإن أفراداً منهم حملوا السلاح، ودافعوا عنه بقدر ما يستطيعون ، أما الخارجون الغوغاء فقد غاظم ذلك ، وصمّموا على اقتحام دار عثمان ، فتصدّى لهم هؤلاء الصحابة ومن معهم ، فحصلت بينهم بعض المناوشات ، والتراشق بالسِّهام ! حتى شوهد بعضهم ملطخًا بالدماء ، وقد صحّت الروايات أنّ الحسن حُمل جريحًا من الدار يوم الدار - الحصار - وهو ملطَّخٌ بدمائه ، قد خضّبت دماؤه باب دار عثمان ، وقد كان يضارب عن عثمان حتى جُرح ! [تاريخ المدينة المنورة لابن شبة (2/ 405)] ، وقال كنانة مولى صفية : « كنتُ فيمن يحمِل الحسين بن علي رضي الله عنهما جريحًا من دار عثمان رضي الله عنه » [تاريخ المدينة المنورة لابن شبة (2/ 199)] . وممّن جُرح أيضًا عبد الله بن الزبير ، ومحمد بن حاطب ، ومروان بن الحكم .

استشهاد عثمان رضي الله عنه :

لكن الأحداث تسارعت، فوثب الغوغاء على عثمانَ رضي الله عنه وقتلوه ! وقد ذكر المؤرخون اللحظات الأخيرة من حياته ، حيث دخل على عثمان رجلٌ من هؤلاء ، والمصحف بين يديه ، فقال له عثمان : بيني وبينك كتاب الله ، فهوي الرّجل بسيفه على عثمان فاتقاه بيده فقطعها ! فانتضح الدَّم على هذه الآية : ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ ، فقال عثمان : أما والله إنها لأوَّل كفٍّ خطت المفصل - أي من القرآن - ! ثمَّ جاء آخر شاهرًا سيفه فاستقبلته زوجه نائلة بنت الفرافصة لتمنعه منه ، وأخذت السيف فانتزعه منها فقطع أصابعها ، ثم إنَّه تقدَّم إليه فوضع السيف في بطنه رضي الله عنه ! [تاريخ الطبري (2/ 671)، البداية والنهاية (7/ 188)] .

فلمّا بلغ الخبرُ عليًّا وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة، خرجوا، وقد ذهبت عقولهم للخبر الذي أتاهم، حتى دخلوا عليه فوجدوه مذبوحاً، فاسترجعوا ! وقال عليٌّ رضي الله عنه لابنيه : كيف قُتِلَ وأنتما على الباب ؟ [تاريخ المدينة المنورة لابن شبة (2/ 406)]،. وأخذ يقول رافعًا صوته : « اللهم إنّي أبرأ إليك من دم عثمان » [تاريخ دمشق (39/ 449)] .

هكذا كان الحسن والحسين ووالدهما، لهم الموقف المشرّف في الدفاع عن عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، والوقوفِ بجانبه في محنته، فرضي الله عن الجميع، وقبح الله قتلته الذين قال فيهم حسان:

ضَحوا بأشمطَ عُنوان السُّجود به   يُقطِّع الليلَ تسبيحاً وقُرآنا

لنسمعنّ وشيكاً في دِيارهمُ   اللهّ أكبرُ يا ثاراتِ عُثمانا

وبعد مقتل عثمان رضي الله عنه اجتمع الناس لمبايعة عليٍّ رضي الله عنه ، فأبى حتى دفن عثمان رضي الله عنه ، فعن قيس بن عباد قال: سمعت عليا رضي الله عنه يوم الجمل يقول: «اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسي، وجاؤوني للبيعة، فقلت: والله إني لأستحيي من الله أن أبايع قوما قتلوا رجلاً قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألا أستحيي ممن يستحيي منه الملائكة، وإني لأستحيي من الله أن أبايع وعثمان قتيلٌ على الأرض لم يدفن بعد»(1).

هكذا كان موقف علي رضي الله عنه وأولاده السبطين رضي الله عنهم من الفتنة التي قتل فيها عثمان، كانوا نعم المعينين والناصرين والمآزرين .

(1) المستدرك (3/ 101) وصحّحه ، ووافقه الذهبي.

الباب الحادي عشر:

الحسنان في عهد أبيهما علي بن أبي طالب رضي الله عنه

علي رضي الله عنه يردّ الناس عن بيعته:

بعد أن استشهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ظلماً وعدواناً على أيدي الخارجين المارقين الشذاذ الذين جاءوا من الآفاق، ومن أمصار مختلفة، وقبائل متباينة لا سابقة لهم، ولا أثر خير في الدين، يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين(1)، أدرك المهاجرون والأنصار خطورة الوضع وحاجة الناس إلى خليفةٍ يلمُّ شملهم ويدبر أمورهم ، فاتجهت الأنظار إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، الذي لم يطلب لنفسه البيعة ، ولم يكن أبو السبطين رضي الله عنه حريصاً على الخلافة.

فأتى داره فدخلها وأغلق بابه ، فأتاه الناس فضربوا عليه الباب وقالوا له : إنَّ هذا قد قتل ! ولا بد للناس من خليفة ، ولا نعلم أحدًا أحقّ بها منك ، فاعتذر عليٌّ عن قبول الخلافة بقوله : « لا تريدوني ، فإني لكم وزيرٌ ، خير مني لكم أمير ! فقالوا : لا والله ، ما نعلم أحقّ بها منك ، قال : فإن أبيتم عليَّ ، فإن بيعتي لا تكون سرًا ، ولكن اخرج إلى المسجد ، فمن شاء أن يبايعني بايعني ، قال : فخرج إلى المسجد فبايعه الناس » [السنة للخلال (2/ 415) وإسناده حسن] .

وممّا ورد في كتب الشيعة أنّه قال : « واعلموا أني إن أجبتكم ركبتُ بكم ما أعلم ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب ، وإن تركتموني فأنا كأحدكم ! ولعلّي أسمعكم وأطوعكم لمن ولّيتموه أمركم ! وأنا لكم وزيرًا خيرٌ لكم مني أميرًا » [نهج

---

(1) الطبقات لابن سعد (3/ 31).

البلاغة (1/ 182) ، بحار الأنوار (32/ 36)] .

المهاجرون والأنصار يبايعون عليًّا رضي الله عنه :

لقد دخل عليٌّ في ذلك بعد شدة ومعارضة ، عندما ناشده الصّحابة في حفظ بقية الأمة وصيانة دار الهجرة ، مغلِّباً المصلحة ، مصلحة الأمة ، لا مصلحة الفرد ! وخوفاً من ازدياد الفتن وانتشارها ، حتى قال : « ولّوني وأنا كارهٌ ! ولولا خشية على الدِّين لم أجبهم » [تاريخ الطبري (3/ 30)] .

فقام كل من بقي بالمدينة من أصحاب رسول الله بمبايعة علي رضي الله عنه بالخلافة وذلك لأنه لم يكن أحد أفضل منه على الإطلاق في ذلك الوقت ! فهو أقدمهم إسلاماً، وأوفرهم علماً، وأقربهم للنبي صلى الله عليه وسلم نسباً، وأشجعهم نفساً، وأحبهم إلى الله ورسوله، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأشرفهم منزلة، وأشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم هدياً وسمتاً، فكان رضي الله عنه متعيناً للخلافة دون غيره !

فبايعه كلّ الصحابة في المدينة بالخلافة بطريقة الاختيار،ولم يتخلف منهم أحد، فانعقد الإجماع على وجوب أحقيته بإمامة الأمة، وقد نقل الإجماع على خلافته كثير من أهل العلم، منهم: الزهري[1]، وابن سعد[2]،وأبو عبد الله بن بطة[3]، وأبو نعيم الأصبهاني[4]، وأبو الحسن الأشعري[5]،وأبو منصور البغدادي[6]، وعبد الملك

(1) الاعتقاد (ص:193).

(2) الطبقات الكبرى (3/ 31).

(3) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (2/ 246)، عقيدة أهل السنة (2/ 692).

(4) كتاب الإمامة والرد على الرافضة (ص:360 - 361).

(5) الإبانة عن أصول الديانة (ص:78)، مقالات الإسلاميين (1/ 346).

(6) كتاب أصول الدين (ص:286 - 287).

الجويني[1]، وابن قدامة[2]،والغزالي[3]، وأبو بكر بن العربي[4]، وابن تيمية[5]، وابن حجر[6].

والذي نستفيده من هذه النقول المتقدمة للإجماع أن خلافة علي رضي الله عنه محل إجماع على أحقيتها وصحتها في وقت زمانها، وذلك بعد قتل عثمان رضي الله عنه، حيث لم يبق على الأرض أحق بها منه رضي الله عنه، فقد جاءت بيعة علي رضي الله عنه على قدر في وقتها ومحلها[7].

خروج أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى الكوفة:

بعد أن بايع الصحابة رضوان الله عليهم لعلي عليه سحائب الرضوان، فكر أن ينقل عاصمة الخلافة إلى الكوفة، لأنه كان يرى أن المدينة لم تعد تمتلك المقومات التي تملكها بعض الأمصار في تلك المرحلة فقال: إنَّ الرجال والأموال بالعراق[8].

ولم يكن كثيرٌ من الصحابة الذين كانوا في المدينة مؤيدين لعلي رضي الله عنه في خروجه إلى الكوفة، ونقل عاصمة الإسلام من المدينة التي هي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومحط الخلافة الراشدة من بعده إلى ذلك المصر، الذي لا يؤمن مثله أن يكون مكانًا لعاصمة

---

(1) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص:362، 363).

(2) منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين (ص:77 – 78) نقلاً عن عقيدة أهل السنة في الصحابة (2/ 689).

(3) الاقتصاد في الاعتقاد (ص:154).

(4) العواصم من القواصم (ص:142).

(5) الوصية الكبرى (ص:23).

(6) فتح الباري (7/ 72).

(7) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (2/ 693).

(8) المصدر السابق (2/ 283)، الأنصار في العصر الراشدي (ص:161).

الدولة الإسلامية.

ومن أجل ذلك لما علم أبو أيوب الأنصاري ﷺ بهذا الميل قال للخليفة: يا أمير المؤمنين، لو أقمت بهذه البلاد لأنها الدرع الحصينة، ومهاجرة رسول الله ﷺ، وبها قبره ومنبره ومادة الإسلام، فإن استقامت لك العرب كنت كمن كان، وإن تشعب عليك قوم رميتهم بأعدائهم، وإن ألجئت حينئذ إلى السير سرت وقد أعذرت، فأخذ الخليفة بما أشار عليه أبو أيوب، وعزم المقام بالمدينة، وبعث العمال على الأمصار[1]، ولكن حصلت كثير من المستجدات السياسية التي أرغمت الخليفة على مغادرة المدينة، وقرّر الخروج للتوجه إلى الكوفة ليكون قريباً من أهل الشام[2].

الاقتصاص من قتلة عثمان ﷺ :

بعد مبايعة أمير المؤمنين عليّ ﷺ دخل المسلمون في أزمةٍ جديدة ! والتي تمثّلت في الموقف من قتلة عثمان ﷺ ! فالصّحابة جميعًا ومن تابعهم متفقون على وجوب الاقتصاص ممّن تجرّأ على سفك دم الخليفة ، لكنّهم تباينوا في آرائهم واختلفوا في اجتهاداتهم حول **الوقت الأمثل والأسلوب الأفضل** ، للاقتصاص من أولئك القتلة !

فتشكل عندئذٍ اتجاهان : الأول يرى أنَّ أول عمل يجب على الخليفة الجديد علي ﷺ مباشرته هو : إيقاع القصاص بقتلة عثمان ﷺ ، وهذا الاتجاه يمثله منذ البداية جماعةٌ من الصحابة كمعاوية بن أبي سفيان، وعبادة بن الصامت ، وأبي الدرداء، وأبي أمامه، وعمر بن عبسة ﷺ ، وجماعة من التابعين كأبي مسلم الخولاني، وعبد الرحمن بن غنم، وشريك بن خُباشة [تاريخ الطبري (2/ 654)] .

---

(1) الثقات لابن حبان (2/ 283)، الأنصار في العصر الراشدي (ص:161).

(2) استشهاد عثمان ووقعة الجمل (ص:183).

أما الاتجاه الثاني : فيرى أن العمل الأول الذي ينبغي أن توّجه له الجهود هو توحيد كلمة المسلمين، وتأليف قلوبهم، ورصّ صفوفهم، وتوطيد الأمن الذي كاد أن يفقد، ثم يأتي بعد ذلك النظر في تنفيذ القصاص من أولئك القتلة، لأن الأمر يحتاج إلى تحقيقٍ دقيق، فالقتلة غير معروفين بأعيانهم،وبعضهم قد هرَب من المدينة عقب قتل الخليفة مباشرة، فالاستعجال حينئذ في تنفيذ القصاص، والحالة هذي سيؤدي لا محالة إلى حربٍ طاحنةٍ يذهب فيها كثير من الأبرياء ! [تحقيق مواقف الصحابة (2/ 137)] . ويمثل هذا الاتجاه : خليفة المسلمين الجديد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وشطرٌ كثير من أهل الأمصار .

وبعد مضي حوالي أربعة أشهر نشأ تياران آخران ! الأول : ينادي بالإصلاح بين المسلمين، ويرى أن أهمَّ مقومات هذا الإصلاح القيام بمعاقبة قتلة عثمان رضي الله عنه ، وكان يقود هذا التيار أمُّ المؤمنين عائشة والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم .

أما التيار الآخر : فقد رأى أنَّ ما يحصل بين المسلمين فتنة ! فآثر اعتزالها وعدم الدخول في شيء من تبعاتها، وهذا التيار كانت نشأته فيما يبدو في الأيام الأولى من خلافة علي رضي الله عنه ، ولكن حضوره في الساحة لم يصبح ظاهراً إلا حينما تطوَّر الاختلاف بين المختلفين إلى المواجهة الكلامية، ومن ثم الانزلاق إلى الحلول غير السلمية ، وتيار المعتزلين هذا تبنَّاه قطاعٌ واسعٌ من الصحابة رضي الله عنهم ، فقد روي بإسنادٍ صحيح عن محمد بن سيرين أنّه قال : « هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرات الألوف ، فلم يحضرها منهم مائة ، بل لم يبلغوا ثلاثين ! » [البداية والنهاية (7/ 253)]. ومن أشهر الصحابة الذين تبنوا هذا الموقف : سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأسامة بن زيد، وأبو بكرة ،وأبو موسى الأشعري،

وأبـو مسـعود البـدري رضي الله عنهم [انظـر : فـتح البـاري (12/ 31ـ33ـ67) ، مسـتدرك الحـاكم (5/ 1732)] .

حوارٌ بين عليّ وابنه الحسن رضي الله عنهما :

ولما خرج علي رضي الله عنه من المدينة قاصدا الكوفة حطَّ رحله بالربـذة[1]، ووفـد عليـه عدد من المسلمين، فقام إليه ابنه الحسن بن علي رضي الله عنهما وهو باكٍ، لا يخفى حزنه وتـأثره عـلى مـا أصـاب المسـلمين مـن تفـرق واخـتلاف، وقـال الحسـن لوالـده: «قـد أمرتـك فعصـيتني، فتقتـل غـداً بمضـيعة لا نـاصر لـك، فقـال عـلي: إنـك لا تـزال تخـن خنـين الجارية[2]، وما الذي أمرته فعصيتك؟، قال: أمرتك يوم أحيط بعـثمان رضي الله عنه أن تخـرج من المدينة، فيقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قتل أن لا تبـايع حتـى يأتيـك وفـود أهـل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر، ثم أمرتك حين فعل هذان الـرجلان مـا فعـلا ـ أي طلحة و الزبير رضي الله عنهما ـ ، أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا، فإن كان الفساد كـان عـلى يدي غيرك، فعصيتني في ذلك كله».

أتدرون ماذا قال أمير المؤمنين رضي الله عنه لولده الحسن في هذا الموقف، هل عاتبه عـلى قولته هذه؟ أم هل زجره ليُسكته؟ لا، بل قال له: «أي بني، أما قولك: لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به، وأما قولك: لا تبـايع حتـى تأتي بيعة الأمصار، فإن الأمر أمر أهل المدينة، وكرهنا أن يضيع هذا الأمر، وأما قولك حين خرج طلحة و الزبير، فإن ذلك كان وهناً على أهل الإسلام، والله ما زلت مقهوراً مذ وليت، منقوصاً لا أصل إلى شيء مما ينبغي، وأما قولك: اجلس في بيتك فكيـف لي

---

(1) شرق المدينة المنورة تبعد (240 كم).

(2) تاريخ الطبري (5/ 482): خن: أخرج الصوت من خياشيمه.

بما قد لزمني، أو منْ تريدني؟ أتريدني أن أكون مثل الضبع التي يحاط بها، ويقال: دباب دباب[1]، ليست هاهنا حتى يحل عرقوباها ثم تخرج، وإذا لم أنظر فيما لزمني من هذا الأمر ويعنيني فمن ينظر فيه، فكف عنك أي بني.»

اهتمام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بسبطي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

لم يكن علي رضي الله عنه ليغفل بيته وأبناءه، ويتجه بكل عقله إلى أمر الخلافة، ولكنه كان يجمع بين تربية أبنائه على المروءة والرجولة والكرم والشجاعة وغير ذلك من مكارم الأخلاق، وبين قضاء حوائج الناس وإدارة شؤون الدولة، وكان يهتم كثيرًا بالحسن والحسين رضي الله عنهما، لعلمه بمنزلتهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهما، ومن حب علي رضي الله عنه لسبطي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يأمر أولاده الآخرين بطاعتهما، واحترامهما وتوقيرهما، كما ذكر أن عليًا رضي الله عنه لما تزوج النهشلية بالبصرة، قعد على سريره وأقعد الحسن عن يمينه، والحسين عن يساره، وجلس محمد بن الحنفية بالحضيض، فخاف أن يجد من ذلك فقال: «يا بني أنت ابني، وهذان ابنا رسول الله» صلى الله عليه وآله وسلم[2].

ولما سئل محمد بن الحنفية رحمه الله: «ما بال أمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه يقحمك الحروب دون الحسن والحسين رضي الله عنهما؟ فقال: لأنهما كانا عينيه وكنتُ أنا يديه، فكان يتّقي عينيه بيديه»[3].

وكان علي رضي الله عنه يوصي الحسنين السبطين وكل ولده بالزهادة في الدنيا، والرغبة

---

(1) دباب، كقطام: دعاء الضبع للضبع.

(2) التذكرة الحمدونية (1/ 313).

(3) المستطرف (1/ 226).

في الآخرة، وملازمة التقوى، وأن يقولا كلمة الحق لا يخافان دون القول بها لومة لائم، وأن يبرا بإخوانهم، كما ذكر صاحب كتاب (الكامل في اللغة) قال: حُدّثت من غير وجه أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين ضربه ابن ملجم ثم دخل منزله اعترته غشية ثم أفاق، فدعا الحسن والحسين، فقال: «أوصيكما بتقوى الله والرغبة في الآخرة، والزهد في الدنيا، ولا تأسفا على شيء فاتكما منها، اعملا الخير، وكونا للظالم خصماً، وللمظلوم عوناً» .

ثم دعا محمداً ـ ابن الحنفيّة ـ فقال: «أما سمعت ما أوصيت به أخويك؟ قال: بلى. قال: فإني أوصيك به، وعليك ببر أخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما، ولا تقطع أمراً دونهما، ثم أقبل عليهما فقال: أوصيكما به خيراً، فإنه شقيقكما وابن أبيكما، وأنتما تعلمان أن أباكما كان يحبه، فأحباه»[1].

وكان علي رضي الله عنه يعلمهما الاعتماد على الله، وأنه لا يضر ولا ينفع إلا الله، وأن من ذهب إلى عند أحد من الكهنة أو السحرة فقد كفر بالله العظيم، ويرفع هذا الكلام إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال للحسن رضي الله عنه : «من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » صلى الله عليه وآله وسلم [2].

وكان الحسنان رضي الله عنهما حريصَين على تعلّم هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كي يتخذا من هديه سبيلًا وطريقًا إلى الله؛ لأنهما يعلمان أنه القدوة الذي عصمه الله عن الزلل، وأذهب عنه العيب والخلل، وهما يدركان أنهما لم يستوعبا عنه كل أخلاقه لصغر سنهما، قال الحسن بن علي رضي الله عنه : «سألت خالي هند بن أبي هالة، وكان وصافًا عن

---

(1) الكامل في اللغة والأدب (1/ 252).

(2) جامع الأحاديث للسيوطي (32/ 95).

حلية رسول الله ﷺ ، وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئا، فقال: كان رسول الله ﷺ فخما مفخما، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر - فذكر الحديث بطوله -.

قال الحسن: فكتمتها الحسين زماناً، ثم حدثته فوجدته قد سبقني إليه، فسأله عما سألته عنه، ووجدته قد سأل أباها عن مدخله ومخرجه، وشكله، فلم يدع منه شيئًا.

قال الحسين: فسألت أبي عن دخول رسول الله ﷺ فقال: كان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء، جزءًا لله، وجزءًا لأهله، وجزءًا لنفسه، ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس، فيرد ذلك بالخاصة على العامة، ولا يدخر عنهم شيئًا، وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم والأمة من مساءلتهم عنه وإخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول: ليبلغ الشاهد منكم الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغها، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة، لا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحد غيره، يدخلون روادا ولا يفترقون إلا عن ذواق، ويخرجون أدلة يعني على الخير.

قال: فسألته عن مخرجه كيف يصنع فيه؟ قال: كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه إلا فيما يعنيه، ويؤلفهم ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره وخلقه، ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويوهيه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا، لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة.

قال: فسألته عن مجلسه؟ فقال: كان رسول الله ﷺ لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، يعطي كل جلسائه بنصيبه، لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو فاوضه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس بسطه وخلقه، فصار لهم أبًا وصاروا عنده في الحق سواء، مجلسه مجلس علم وحلم وحياء وأمانة وصبر، لا ترفع فيه الأصوات ولا تُؤْبن فيه الحرم، ولا تُثنى[1] فلتاته متعادلين، بل كانوا يتفاضلون فيه بالتقوى، متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب»[2]

عليٌ يعلّم ابنيه حبّ أبي بكر وعمر رضي الله عنهم :

وكان علي رضي الله عنه يعلمهما فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ففي سنن الترمذي عن علي بن الحسين، عن علي بن أبي طالب قال: كنتُ مع رسول الله ﷺ إذ طلع أبو بكر وعمر، فقال رسول الله ﷺ: «هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين»[3].

وعن الحسن بن زيد، عن أبيه زيد بن الحسن، عن الحسن بن عليّ، عن أبيه قال: كنت عند النبي ﷺ فأقبل أبو بكر وعمر، فقال: «يا عليّ، هذان سيدا كهول أهل الجنة وشبابِها، بعد النبيين والمرسلين»[4]

---

(1) لا تكرر.

(2) انظر: الشمائل للترمذي (ص374)، وهو ضعيف.

(3) سنن الترمذي(3665) وصححه الألباني.

(4) مسند الإمام أحمد (602)، وقال الأرنؤوط: «إسناده حسن».

وروي عن الحسن بن على قال: «أتي علي برجل فقال: أنتَ خير الناس، فقال: هل رأيت النبي ﷺ قال: لا، قال: أما رأيت أبا بكر؟ قال: لا، قال: أما رأيت عمر؟ قال: لا، قال: أما إنك لو قلت: إنك رأيت النبي ﷺ لقتلتك، ولو قلت: رأيت أبا بكر وعمر لجلدتك»[1].

وهكذا ظلَّ علي رضي الله عنه يعلم أبناءه هدي جدهم، ويغرس في أنفسهم أخلاقه، فهذبهم بالتربية النبوية، وعلمهم الأخلاق العالية، وبين لهم كيف يكون حالهم مع أصحاب رسول الله ﷺ ، الذين ناصروا جدهما، وآزروه ووقفوا معه، رضي الله عنهم ورضوا عنه.

فهذه لمحةٌ صغيرةٌ عن المربي النَّاجح الذي جمع بين قضاء حوائج الناس ولم يغفل عن تربية أولاده، حيث كان لعلي رضي الله عنه من هذا المعنى النصيب الأكبر والحظ الأوفر، فنتج عن هذه التربية خير ذرية على وجه هذه الأرض رضي الله عنهم وأرضاهم.

وينبغي أن يُعلم أنّه قد ورد في بعض الآثار أنّ رجلاً اسمه: ابن عقب، كان معلّمًا للحسن والحسين، وهذا غير صحيح، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه منهاج السنّة النبويّة: «وقد أجمع أهل العلم على أنهما -يعني الحسن والحسين- لم يكن لهما معلمٌ، ولم يكن في الصحابة أحدٌ يقال له ابن عقب»[2]. وأرى أنّ من كان النبي ﷺ معلّمه، ومن كان أبوه عليّ بن أبي طالبٍ وأمّه فاطمة الزهراء، ناشئًا في أصحاب جدّه ﷺ وأصدقاء أبيه، سادات الأمة وقدوة الأئمة، فلا شكّ أنّه يغرّ العلم غرًّا، كما قال ابن عمر رضي الله عنه .

---

(1) جامع الأحاديث للسيوطي (29/ 260).

(2) منهاج السنة النبويّة (7/ 182).

الحسن والحسين يوم الجمل 36 هـ:

بعد مضي أربعة أشهرٍ من استشهاد عثمان رضي الله عنه خرج الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما، ومعهما أمّ المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها إلى البصرة حيث بعض قتلة عثمان رضي الله عنه هناك، ومعهم مشروعٌ لإصلاح ما جرى بين المسلمين، والذي رأوا أنّ أوّل خطوات نجاحه هو السّعي لإقامة القصاص على قتلة الشهيد عثمان بن عفّان رضي الله عنه الذين هم سبب ذلك الخلاف [انظر: تاريخ الطبري (3/ 35)].

أما عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه فلم يكن لديه مانعٌ من قتل قتلة عثمان رضي الله عنه، لكن عليًا رضي الله عنه كان يرى تأجيل هذا الأمر حتى تستقرّ الأوضاع، فلحقهم عليُّ بن أبي طالب، وكادت الأمور أن تستتبّ، لولا أنّ السبئيين - أتباع عبد الله بن سبأ وفيهم قتلة عثمان - مكروا وأشعلوا الفتنة بين الفريقين!

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يمارس صلاحياته كخليفة، وكان فيه من العزم والحزم بحيث لا يستطيع أحد أن يثنيه عن عزمه، فأرسل علي رضي الله عنه من الربذة يستنفر أهل الكوفة ويدعوهم إلى نصرته، وكان الرسولان محمد بن أبي بكر الصديق، ومحمد بن جعفر، ولكنهما لم ينجحا في مهمتهما، وكان من والي الكوفة أبي موسى الأشعري أن ثبط الناس عن الاشتراك في القتال لما في ذلك من النّهي[1].

أتْبع أمير المؤمنين رضي الله عنه بعد ذلك هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، ففشل في مهمته؛ لتأثير أبي موسى عليهم[2]، فبعث عبد الله بن عباس فأبطئوا عليه، فأتبعه بعمار بن ياسر

(1) تاريخ الطبري (5/ 514) مصنف ابن أبي شيبة (15/ 12) وإسناده حسن.

(2) خلافة علي بن أبي طالب (ص:44) عبد الحميد، سير أعلام النبلاء (3/ 486)

والحسن بن علي، وعزل أبا موسى الأشعري واستعمل قرظة بن كعب بدلاً منه[1].

وكان للقعقاع بن عمرو دور كبير في إقناع أهل الكوفة بالخروج مع علي رضي الله عنه[2]، وكان للحسن بن علي أثر واضح، فقد قام خطيباً في الناس وقال: «أيها الناس، أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولو النهى[3]، أمثل في العاجلة وخير في العاقبة، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم»[4] ولبى كثير من أهل الكوفة، وخرجوا مع عمار والحسن إلى علي ما بين ستة إلى سبعة آلاف رجل، ثم انضم إليهم من أهل البصرة ألفان من عبد القيس، ثم توافدت عليه القبائل، إلى أن بلغ جيشه عند حدوث المعركة اثني عشر ألف رجل تقريباً[5].

محاولات الصلح :

كان علي رضي الله عنه حريصاً على أن يقضي على هذه الفُرقة والفتنة بالوسائل السلمية ، وتجنيب المسلمين شرّ القتال والصدام المسلّح بكل ما أوتي من قوة وجهد ، وكذلك الحال بالنسبة لطلحة والزبير ، وقد اشترك في محاولات الصلح عددٌ من الصحابة وكبار التابعين ، وكان من أشهرها محاولة القعقاع بن عمرو رضي الله عنه ، فقد حاور طلحة والزبير والسيدة عائشة ، وقد تأثروا بما طرح ، وسألت السيدة عائشة القعقاع عن رأيه في أمر قتلة عثمان ، فقال : (هذا أمرٌ دواءه التسكين ، ولا بدّ من التأني في الاقتصاص

---

(1) فتح الباري (13/ 25)، التاريخ الصغير (1/ 109)

(2) تاريخ الطبري (5/ 516)

(3) أولو النهى: أصحاب العقول.

(4) تاريخ الطبري (5/ 516).

(5) مصنف عبد الرزاق (5/ 456-457) بسند صحيح إلى الزهري.

من قتلة عثمان ، وإن أنتم بايعتم علياً واتفقتم معه ، كان هذا علامةَ خير ، وتباشيرَ رحمة ، وقدرةً على الأخذ بثأر عثمان ، وإن أنتم أبيتم ذلك ، وأصررتم على المكابرة والقتال كان هذا علامةَ شر ، وذهاباً لهذا الملك ، فآثروا العافيةَ تُرزقونها ، وكونوا مفاتيحَ خيرٍ كما كنتم أولاً ، ولا تَعرضونا للبلاء ، فتَتَعَرَّضوا له ، فيصرعنا الله وإياكم ، وايم الله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه ، وإني لخائفٌ ألا يتم ، حتى يأخذ الله حجته من هذه الأمة التي قل متاعها ، ونزل بها ما نزل ، فإن ما نزل بها أمر عظيم) .

اقتنعوا بكلام القعقاع المقنع ، وعبارته الصادقة المخلصة ، ووافقوا على دعوته إلى الصلح، وقالوا له : (أحسنت وأصبت المقالة ، فارجع فإن قدم عليٌ وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر إن شاء الله) ، وعاد القعقاع إلى علي في **"ذي قار"** ، وقد نجح في مهمته ، وأخبر علياً بما جرى معهم ، فأعجب علي بذلك ، وأوشك القوم على الصلح ، كرهه من كرهه ورضيه من رضيه .

لقاءات بين علي وطلحة والزبير:

ثمَّ جرت عدّة لقاءات بين عليٍّ وطلحة والزبير رضي الله عنهم ، فتوافقوا وتكلّموا فيما اختلفوا فيه ، فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصلح ، وترك الحرب ، فافترقوا على ذلك ، ورجع عليٌّ إلى عسكره ، ورجع طلحة والزبير إلى عسكرهما ، وأرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما ، وأرسل عليٌ إلى رؤساء أصحابه ، فبات الناس على نية الصلح والعافية ، وبات السبئيون الذين أثاروا الفتنة بشرٍّ ليلة ، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلهم ، حتى تكلم عبد الله بن سبأ وهو المشير فيهم فقال : (إن عزكم في خلطة الناس فصانعوهم ، وإذا التقى الناس غداً فانشبوا القتال ..) [الكامل في التاريخ (3/ 125)] ، فاجتمعوا على هذا الرأي بإنشاب الحرب في السرِّ ، فمكروا وأشعلوا الفتنة بين

الفريقين فكانت **وقعة الجمل !**

معركة الجمل سنة 36هـ :

كانت خطّة أتباع عبد الله بن سبأ مبنيّة على تبييت الهجوم غدرًا على جيش البصرة ، وقاموا بذلك في الصّباح ، فقام أهل البصرة بالدّفاع عن أنفسهم ، ظانّين بأنّ جيش الكوفة قد خانوا ما جرى بينهم من الصّلح ! فردّ عليهم أهل الكوفة ، وبدأت المعركة مناوشاتٍ في البداية ، ثمَّ اشتعلت الحربُ بين الطرفين ! وكل طائفة تظنُّ ولا شك أنّ الأخرى بدأتها بالقتال ، واختلط الأمر اختلاطًا لم يقدر أحدٌ على أكثر من الدِّفاع عن نفسه ، والفسقة من قتلة عثمان لا يغترون من شبّ الحرب وإضرامها ، فكلتا الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها ، مدافعة عن نفسها [الفصل في الملل لابن حزم (4/ 123)] .

وقد حاول الكبار من الجيشين وقف القتال، ولكن لم يفلحوا ! لماذا ؟ لأنّها الحرب ! والحرب ـ والعياذ بالله ـ إذا اشتعلت شقَّ بعد ذلك إطفاؤها ، قال امرئ القيس:

الْحَرْبُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ فَتِيَّةً ** تَسْعَى بِزِينَتِهَا لِكُلِّ جَهُولِ

حَتَّى إِذَا اشْتَعَلَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا ** وَلَّتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلِ

شَمْطَاءَ يُنْكَرُ لَوْنُهَا وَتَغَيَّرَتْ ** مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالتَّقْبِيلِ

[ذكرها البخاري في صحيحه قبيل الحديث (7096)]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء، فصار الأكابر ﷺ عاجزين عن إطفاء الفتنة، وكفِّ أهلها، وهذا شأن الفتن كما قال تعالى: (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله

شديد العقاب) » [مختصر منهاج السنة ص 281] .

وما إن بدأت الحرب تضع أوزارها، حتى نادى منادي علي: « ألا يجهِّزوا على جريح، ولا يَتْبَعوا مدبِرًا، ولا يدخلوا دارًا، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، وليس لجيشه من غنيمة إلا ما حمل إلى ميدان المعركة من سلاح ، وليس لهم ما وراء ذلك من شيء »، ونادى منادي أمير المؤمنين فيمن حاربه من أهل البصرة من وجد شيئًا من متاعه عند أحد من جنده، فله أن يأخذه . [مصنف ابن أبى شيبة (15/ 286) بسند صحيح] .

عدد القتلى :

أما عن عدد القتلى في موقعة الجمل ، فإنّ الروايات اضطربت كثيرًا في ذلك ، فذكرت بعضها أنّ عدد القتلى بلغ عشرون ألفًا [تاريخ خليفة بن خياط ص 186] ويظهر أن فيها مبالغة كبيرة، لأن عدد الجيشين حول هذا العدد أو أقل ! وفي رواية أخرى : خمسة عشر ألفًا، خمسة آلاف من أهل الكوفة، وعشرة آلاف من أهل البصرة [تاريخ الطبري (5/ 542- 555)] والروايتان ضعيفتان ! وذكر المسعودي أنَّ هذا الاختلاف في تقدير عدد القتلى مرجعه إلى أهواء الرواة . [مروج الذهب (3/ 367)]. لكن الراجح والله أعلم بأنّ عدد القتلى في موقعة الجمل لم يتجاوز المائتين [استشهاد عثمان ووقعة الجمل ص 215] ، وممّا نراه مؤشّرًا على قلة عدد القتلى في هذه المعركة ، أنّ القتال لما وقع لم يدم سوى وقت قصيرٍ جدًا ، حيث بدأت معركة الجمل بعد الظهر ، وانتهت قبيل مغيب الشمس من اليوم نفسه !

وهي فتنة سلَّم الله تبارك وتعالى منها سيوفنا ، فنسأله أن يسلّم ألسنتنا ، كما نسأل الله لكلّ الصحابة الرضوان والمغفرة .

مواقف الصّحابة مما جرى يوم الجمل :

من المهم التنبيه بأنَّ ما جرى يوم الجمل كان فخًا وقع فيها الفريقان ، فلم يكن القتال باختيارٍ من عليّ رضي الله عنه من جهة ، والزبير وطلحة وعائشة رضي الله عنهم من جهةٍ أخرى !

موقف الزبير بن العوَّام رضي الله عنه : عن عبد الله بن الزبير قال : لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني فقمتُ إلى جنبه فقال : « يا بنيّ إنه لا يُقتل اليوم إلا ظالمٌ أو مظلومٌ ، وإني لا أراني إلا سأقتلُ اليوم مظلومًا » [صحيح البخاري (2961)] . وتشير رواية أخرى أنَّ الزبير خرج من موقع حادثة الجمل ، وأعرض عن القتال ، قال له ولده عبد الله : « وللقتال جئت ؟ إنّما جئتَ تصلح بين الناس ، ويصلح الله هذا الأمر » [البداية والنهاية (6/ 213)] . وترك الزّبير الميدان ورجع وترك الحرب بحالها [الفصل في الملل لابن حزم (4/ 123)]! ثمّ لحقه عمرو بن جرموز فقتله في وادي السباع على سبعة فراسخ من البصرة [تاريخ مدينة دمشق (18/ 436)] . وهذا الشّقي عمرو بن جرموز ، بعدما قتل الزّبير رضي الله عنه غدرًا احتزّ رأسه وذهب به إلى علي رضي الله عنه ، ورأى أنّ ذلك يحصل له به حظوة عنده ! فاستأذن فقال علي : (بشرّ قاتل ابن صفية بالنار !) ثم قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لكل نبي حواري وحواريّ الزبير)[1] ، ولما رأى عليٌّ سيف الزبير قال : (إنَّ هذا السيف طالما فرّج الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم)[2] .

موقف طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه : لقد حاول إيقاف القتال بين الطرفين ! فأخذ ينادي وهو على دابته قائلاً : « يا أيّها الناس أتَنصِتون ؟ فجعلوا يركبونه ولا يُنصِتون ، فقال : أفٍّ أفٍّ ! فراشُ نارٍ وذُبَّان طمَع ! » [تاريخ خليفة بن خياط ص182] . قُتل بسهمٍ غير مقصودٍ ، ومات وقد انصرف عن القتال ! يقول ابن حزم : « وأتى طلحة سهمٌ

---

1. فضائل الصحابة (920/2) .

2. البداية والنهاية (261/7) .

غاير ، وهو قائمٌ لا يدري حقيقة ذلك الإختلاط ! فصادف جُرحًا في ساقه كان أصابه يوم أُحُد ، بين يدري رسـول الله ﷺ ، فانصر ـف ومـات مـن وقتـه رضي الله عنه » [الفصـل في الملل (4/ 123)] . وكان أول قتيل في المعركة [الاستيعاب (2/ 768)] .

موقف أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها : كانت تـأمر بالبُعـد عـن القتـال ، فقـد رُوي عـن محمّد بن طلحة بن عبيد الله سألها يومئذٍ فقال : « يا أمَّاه مـا تـأمريني ؟ قالـت : أرى أن تكون كخير ابنَي آدم ، أن تكفَّ يدكَ ، فكفَّ يدَه ، فقتله رجلٌ من بني أسد بن خزيمة » [مستدرك الحاكم (5069)،].

ولما نشب القتال نراها رضي الله عنها تجتهد لإيقافه ، فقد أمرت قـاضي البصر ـة كعـب بـن سور أن يخرج للنّاس ، ودفعت إليـه بالمصـحف ، ليرفعـه ويـدعو النّـاس إلى كتـاب الله تعالى ، فأقبل القوم وأمامهم السبئيّون يخافون أن يجري الصّلح ، فرشقوه رشقًا واحدًا فقتلوه ! ثمّ رموا أمَّ المـؤمنين رضي الله عنها ! فجعلـت تنـادي : يـا بنـي ، البقيـة البقيـة . ويعلـو صـوتها كثـرةً : الله الله اذكـروا الله والحسـاب ، ولا يـأبون إلا إقـدامًا فكـان أول شيء أحدثته حين أبوا أن قالت : أيُّها الناس العنوا قتلة عثمان وأشياعهم ، وأقبلـت تـدعو . [تاريخ دمشـق (25/ 111)] . فعائشة رضي الله عنها قد خاطرت بنفسـها في أتـون المعركـة ! حتـى تعرّض هودجها للقصف بالسِّهام ، من أجـل الـدّعوة إلى منـع القتـال بـين المسـلمين ! حتى يقول أحد الذين شهدوا الوقعة ـ أبـو رجـاء العطـاردي ـ : « لقـد رأيـتُ الجمـل يومئذٍ كأنَّه قنفذٌ من النَّبْل » [تاريخ خليفة بن خياط ص190] .

وبعد حادثة الجمل .. أرجعها علي رضي الله عنه إلى مأمنها وهي معززة مكرمة، وقالت: «إنه ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائهـا، وإنـه عنـدي عـلى معتبتي من الأخيار» وقال علي: «يا أيها الناس، صدقت والله وبرت ما كان بيني وبينها

إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة» وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ست وثلاثين، وشيَّعها عليٌّ رضي الله عنه أميالاً وسرَّح بنيهِ معها يوماً[1].

موقف عليّ بن أبي طالب وابنه الحسن رضي الله عنهما : بعد أن وضعت الحرب أوزارها، وانتهت المعركة، خرج أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من ليلته في نفرٍ من أصحابه ، معه النيران يتفقد القتلى ، ودعا للقتلى من أهل البصرة بالمغفرة قائلاً : « اللهم اغفر لهم » [مصنف ابن أبي شيبة (37829)] .

وأبصر الحسن بن علي قتيلاً مكبوبًا على وجهه ، فقلّبه على قفاه ، فصرخ ثم قال : إنَّا لله وإنا إليه راجعون فرح قريش والله ، فقال له أبوه : من هو يا بني ؟ قال الحسن : محمد بن طلحة بن عبيد الله ! فقال عليٌّ : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أما والله لقد كان شابًا صالحًا ، ثم قعد كئيبًا حزينًا ! فقال له الحسن : يا أبتِ قد كنتُ أنهاك عن هذا المسير ، فغلبك على رأيك فلان وفلان ، قال عليٌّ : قد كان ذاك يا بني ! ولوددتُ أني متُّ قبل هذا بعشرين سنة ! [انظر : مستدرك الحاكم (3/ 111)] .

وفي روايةٍ : أنّ الحسن قال لأبيه : ما كان أغناك عن هذا ؟ فقال عليٌّ : ما لي ولك يا حسن ؟ يا حسن ودَّ أبوك أنَّه قد كان ماتَ قبل هذا اليوم بعشرين سنة ! » [طبقات ابن سعد (5/ 54)] .

ولما انتهى عليٌّ إلى طلحة رضي الله عنهما وقد مات ، نزل عن دابته وأجلسَهُ ، فجعل يمسح الغبارَ عن وجههِ ولحيتهِ ، وهو يترحَّم عليه ، ثم قال: «عزيزٌ عليّ أبا محمد ، بأن أراك مُجندلاً في الأودية وتحت نجومِ السماء ، ثم قال: إلى الله أشكو عُجري وبُجري - أي همومي وأحزاني التي تموج في جوفي - » [تاريخ دمشق (25/ 115) ، سير أعلام النبلاء (1/ 36)]

(1) تاريخ الطبري (5/ 581).

ندم الصحابة رضي الله عنهم على ما جرى يوم الجمل:

كان الصحابة بلا استثناء الذين شاركوا في هذه المعركة ندموا على ما وقع ! فعن عبد الله بن المسور قال : « لما قُتِل طلحةُ والزبير ، جعل عليٌّ وأصحابُه يبكون » [تاريخ دمشق (25/ 115)] . وروى نعيم بن حماد بسنده إلى الحسن بن علي، أنه قال لسليمان بن صرد: «لقد رأيتُ علياً حين اشتد القتال وهو يلوذ بي، ويقول: يا حسن، لوددت متُّ قبل هذا بعشرين سنة»[1]. ومما قالته أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها : « والله لوددتُ أني متُّ قبل هذا اليوم بعشرينَ سنةٍ » [الكامل في التاريخ (3/ 141)] . وكانت تقول حين تذكر يوم الجمل : « وددتُ أني كنت جلستُ كما جلس أصحابي » [مجمع الزوائد (7/ 238)] . وكانت إذا قرأت قوله تعالى :﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ تبكي حتى تبلّ خمارها ! [طبقات ابن سعد (8/ 80)، سير أعلام النبلاء (2/ 177)] .

قال ابن تيمية: «وهكذا عامة السابقين، ندِموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعليٌّ وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصدٌ في القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم»[2].

قال الإمام الحسن : « أراد أمير المؤمنين عليٌ أمراً ، فتتابعت الأمور ، فلم يجد منزعاً » [الفتن لنعيم بن حماد (1/ 81)] .

ولا نشك أن الحزن والندم قد عمَّ كل مؤمن له في تلك المعركة قليل أو كثير مشاركة، وأن الحسنين رضي الله عنهما قد حزنا من تلك المعركة وما أحدثته من القتل لخيار الناس كطلحة والزبير وغيرهم، وحصل الذي حصل بعد أن اتفق الطرفان على

(1) مصنف ابن أبي شيبة (7/ 546).

(2) المنتقى من منهاج الاعتدال (ص:222).

الصلح، فدخل المغرضون قبل وضع الأسس العامة لهذا الصلح وبداية التنفيذ، فأشعلوا نار الفتنة على غرة، فسالت تلك الدماء البريئة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الحسن رضي الله عنه يستفيد ممّا جرى:

أيّها الأحبة .. قبل أن نودّع الأحداث المؤلمة في الجمل ، نقف عند درسٍ مهم نستخلصه منها : وهو أننا لا بد أن نعمل حسابًا لكيدِ الأعداء ومكرِهم ، في سبيل إفشالِ أي جهدٍ مخلصٍ لتوحيد الصف ، أو ما فيه خطرٌ على مصالحهم ، فيجب في مثل هذه الحالة أنّنا إذا اتفقنا على الأفكار العامة ، أن نرسم الخطط ونضع التدابير اللازمة ، لتنفيذ ما اتفقنا عليه ، وإلا فإنّ الفرحة بجمع الكلمة قد تُنسينا خطر الأعداء وما يمكن أن يقوموا به من إلحاق الضَّرر بالمسلمين ، وقد استفاد الحسن رضي الله عنه من هذا الدرس كثيرًا ، وطبّقه في مشروعه الإصلاحي الذي سيأتي تفصيله بإذن الله .

ثم إنَّ الذين أسرهم علي رضي الله عنه دخلوا عليه وأخذ بيعتهم[1]، وأطلق سراحهم وسأل عن مروان بن الحكم وقال: «يعطفني عليه رحم ماسة وهو مع ذلك سيد من شباب قريش» وقد أرسل مروان إلى الحسن والحسين وابن عباس رضي الله عنهم ليكلموا عليا، فقال علي: هو آمن فليتوجه حيث شاء، ولكن مروان إزاء هذا الكرم والنبل، لم تطاوعه نفسه أن يذهب حتى بايعه[2].

كما أن مروان بن الحكم أثنى على فعال أمير المؤمنين علي، وقال لابنه الحسن: «ما رأيت أكرم غلبة من أبيك، ما كان إلا أن ولينا يوم الجمل حتى ناد مناديه: أن لا يتبع

---

(1) انظر: الطبقات (3/ 224) بسند حسن، المستدرك (3/ 376-377).

(2) سنن سعيد ابن منصور (2/ 337) بسند حسن.

مدبر، ولا يذفف على جريح»[1].

الحسنان في يوم صفين 37هـ:

لم تمض بضعة أشهرٍ على فاجعة الجمل ، حتى حدثت فاجعةٌ أخرى أشدّ منها وأفضع ! وذلك على الحدود العراقيّة الشاميّة قرب مدينة الرّقة ، في مكان يسمّى «صفيّن» . ومعركة صفّين من الأحداث الكبيرة التي شاهدها الحسن والحسين رضي الله عنهما في عهد والدهما ، وقد كانا على اطلاع مفصَّلٍ بالعلاقة بين أمير المؤمنين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، فقد كان معاوية رضي الله عنه واليًا على الشام في عهدي عمر وعثمان رضي الله عنهما ، ولما تولى علي الخلافة أراد عزله وتولية عبد الله بن عمر، فأبى عليه عبد الله بن عمر قبول ولاية الشام، واعتذر في ذلك، وذكر له القرابة والمصاهرة التي بينهم[2].

لقد كانت بلاد الشام تغلي غضباً على مقتل عثمان رضي الله عنه ظلما وعدوانا ، فقد وصلهم قميصه مخضباً بدمائه ، مع أصابع نائلة زوج عثمان رضي الله عنه ، التي قُطعت أصابعها وهي تدافع عنه ، وكانت قصة استشهاد عثمان بن عفّان رضي الله عنه أليمةً فظيعةً ، اهتزت لها المشاعر ، وتأثّرت بها القلوب ، وذرفت منها الدموع ، كما وصلتهم أخبار المدينة وسيطرة الغوغاء عليها .. كل هذه الأمور وغيرها من الأحداث والعوامل كان لها تأثير على أهل الشام ، وعلى رأسهم معاوية رضي الله عنه ، فقد كان يرى أن عليه مسؤولية الانتصار لعثمان ، والقود من قاتليه ، فهو وليُّ دمه .

أمّا علي رضي الله عنه فقد كان حريصاً على أن يقضي على هذه الفرقة والفتنة بالوسائل

---

(1) كتاب أهل البغي من الحاوي الكبير للماوردي (ص 111)

(2) المصنف لابن أبي شيبة (7/ 472) وإسناده صحيح.

السلمية، وتجنيب المسلمين شر القتال والصدام المسلَّح بكل ما أوتي من قوةٍ وجهد، فراسل معاوية رضي الله عنه مرارًا - وقد كان والي الشام من قبل عثمان - ، يدعوه فيها إلى الدخول في بيعته، والحسنان شاهدان، ولم يكن معاوية رضي الله عنه يرى في نفسه أنه أفضل من علي رضي الله عنه إلا أنّه كان يرى ضرورة تسليم قتلة عثمان للاقتصاص منهم أولاً، والدخول تحت طاعة علي بن أبي طالب أمير المؤمنين بعد ذلك .

ومما يدلُّ على ذلك أنَّ أبا مسلم الخولاني قال لمعاوية: أنت تنازع علياً، أم أنت مثله؟ فقال: لا والله إني لأعلم أنه لأعلم مني، وأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً، وأنا ابن عمه، والطالب بدمه، فأتوه، فقولوا له: فليدفع إليَّ قتلة عثمان وأسلم لهم، وأتوا علياً فكلموه، فلم يدفعهم إليه[1]، وفي رواية: فأتوه فكلموه فقال: يدخل في البيعة ويحاكمهم إليَّ، فامتنع معاوية[2].

معركة صفّين :

توسَّعت فجوة الخلاف بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما - وقد كان والي الشام من قبل عثمان - بسبب امتناعه عن مبايعة علي بن أبي طالب حتى يتمّ القصاص لعثمان بن عفّان، فجهّز علي رضي الله عنه جيشًا قوامه 100 ألف مقاتل لقتال معاوية بن أبي سفيان، فوقعت بينهما معركة صفين سنة 37هـ .

دخلت سنة 37هـ ولا يزال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ومعاوية متواقفين في صفين، والنفوس متطلعة إلى حدوث مهادنة وموادعة، ومن ثم يؤول الأمر إلى الصلح، ومرت الأيام ولم يقع الصلح، وبدأت الحرب مرة تلو الأخرى، وعليٌّ في كل ذلك

---

(1) فتح الباري (13/ 92)، البداية والنهاية (8/ 129).

(2) فتح الباري (13/ 92) استشهاد عثمان (ص:160).

ينهى أصحابه عن المباشرة في الحرب حتى يبدأ أهل الشام، وأمر ألا يذفف على جريح، ولا يتبع مدبر ولا يكشف ستر امرأة.

ونشبت الحرب بين علي ومعاوية رضي الله عنهما في صفين، واشتد القتال، وتوجّه النصر فيها لأهل العراق على أهل الشام، وتفرقت صفوفهم، وكادوا أن ينهزموا، فعند ذلك رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح، وقالوا: هذا بيننا وبينكم قد فنِي الناس، فمن لثغور أهل الشام بعد أهل الشام؟ ومن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق؟ فلما رأى الناس المصاحف قد رفعت، قالوا: نجيب إلى كتاب الله عز وجل وننيب إليه . [تاريخ الطبري (3/ 101)] .

وفي رواية أنّ معاوية رضي الله عنه بعث برجلٍ معه المصحف إلى عليٍّ رضي الله عنه لّما استحرّ القتلُ في أهل الشام بصفّين ، فجاء الرّجل إلى عليٍّ حاملاً القرآن فقال له : « بيننا وبينكم كتاب الله » ، فقال عليٌّ : « نعم ، بيننا وبينكم كتابُ الله ، أنا أولى به منكم » [مصنف ابن أبي شيبة (7/ 558)] .

قبِل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وقف القتال في صفين، ورضِي التحكيم، على أنّ الناس آمنون على أنفسهم وأهاليهم وأولادهم وأموالهم ، والسلاح موضوعةً والسبل آمنةً إلى أن يتّفق الطرفان في حلّ النزاع، وعُدَّ ذلك فتحًا ورجع عليٌّ إلى الكوفة، وعلَّق على التحكيم آمالاً في إزالة الخلاف وجمع الكلمة ووحدة الصف، وتقوية الدولة، وإعادة حركة الفتوح من جديد .

واختير للتحكيم أبو موسى الأشعري رضي الله عنه ممثلاً عن عليٍّ رضي الله عنه ، وعمر بن العاص رضي الله عنه ممثلاً عن معاوية رضي الله عنه، واجتمعا بعد مدة في دومة الجندل في شهر رمضان ، ولكنّهما لم يصلا إلى نتيجة مرضية ، فبقيت قضيّة الخلاف بينهما معلّقة .

ملك الرّوم يستغل الخلاف بين علي ومعاوية :

استغل ملك الروم الخلاف الذي وقع بين أمير المؤمنين على ومعاوية – رضي الله عنهما – وطمع في ضمِّ بعض الأراضي التي تحت هيمنة معاوية إليه ﵁، فكتب معاوية إليه : « والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين ! لاصطلحنَّ أنا وابن عمي عليك، ولأخرجنَّك مع جميع بلادك ، ولأضيقنَّ عليك الأرض بما رحبت، فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف، وبعث يطلب الهدنة » [البداية والنهاية (8/ 122)]، وهذا يدلُّ على عظمة نفس معاوية ﵁ وحميَّته للدين .

أخلاق العظماء:

وكان أمير المؤمنين بعد نهاية الجولات الحربية في صفين يتفقد القتلى، وقد وقف على قتلاه وقتلى معاوية، فقال: غفر الله لكم، غفر الله لكم، للفريقين جميعاً[1].

وعن يزيد بن الأصم قال: لما وقع الصلح بين علي ومعاوية، خرج عليٌّ فمشى في قتلاه فقال: هؤلاء في الجنة، ثم خرج إلى قتلى معاوية فقال: هؤلاء في الجنة، وليصير الأمر إليَّ وإلى معاوية[2]، وكان يقول عنهم هم: المؤمنون[3].

وقوله ﵁ في صفِّين لا يكاد يختلف عن قوله في أهل الجمل[4].

نعم هذه هي عظمة الأخلاق، أو قُل: أخلاق العظماء، بل روي أن عليًا ﵁ لمّا بلغه أنّ اثنين من أصحابه يظهران شتم ولعن أهل الشام، أرسل إليهما: أن كفّا عمّا

---

(1) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد (ص:250).

(2) مصنف ابن أبي شيبة (15/ 303) سند حسن.

(3) تاريخ دمشق (1/ 331، 329) خلافة علي (ص:251).

(4) خلافة علي، عبد الحميد (ص:251)، تنزيه خال المؤمنين (ص:169).

يبلغني عنكما، فأتيا فقالا: يا أمير المؤمنين، ألسنا على الحقّ وهم على الباطل؟ قال: بلى وربّ الكعبة، قالا: فلم تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟ قال:«كرهتُ لكم أن تكونوا لعّانين، ولكن قولوا: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأبعدهم عن ضلالتهم، حتى يعرف الحقّ من جهله، ويرعوي عن الغيّ من لهج به»[1].

وفي كل أحوال علي رضي الله عنه كان الحسن والحسين رضي الله عنهما موجودين معه، مؤتمرين بأمره، فكان الحسنان رضي الله عنهما معاصرين للأحداث، وسمعا ورأيا موقف والدهما العظيم من أهل الشام، وهذه النظرة السليمة لأصحاب معاوية ساعدت الحسن بن علي في هندسته لمشروع الإصلاح الذي تقدَّم به لوحدة الأمة، والذي تحقق بفضل الله ثم بفقهه العميق لمقاصد الإسلام، ومعرفته الدقيقة لعلم المصالح والمفاسد.

ندم الصحابة رضي الله عنهم لمشاركتهم في صفّين:

لقد بدا على من شارك من الصّحابة في وقعة صفّين الندم ، بعد أن رأوا نتائجها ، فقد ورد عن أبي وائل رضي الله عنه قوله : « شهدتُ صفِّين ، وبئست صفِّين » [صحيح البخاري (6878)] أي بئس ما حصل فيها . وقد روي عن عليٍّ رضي الله عنه أنّه كان يقول ليالي صفين : « يا حسن يا حسن ، ما ظنَّ أبوك أن الأمر يبلغ هذا ! لله درُّ مقامٍ قامه سعدُ بن مالكٍ وعبدُ الله بنُ عمر ، إن كان بِرًّا إنَّ أجره لعظيم ، وإن كان إثمًا إنَّ خطره ليسير »

---

(1) الأخبار الطوال (ص 165)، وقد جاء في الانتصار للعاملي (8/ 97): «إنّي أكره أن تكونوا سبَّابين و لكنكم لو وصفتم أعمالهم و ذكرتم حالهم، كان أصوب في القول و أبلغ في العذر، ولو قلتم مكان سبّكم إيَّاهم: اللهم احقن دماءنا و دماءهم و أصلح ذات بيننا و بينهم، و اهدهم من ضلالتهم حتّى يعرف الحق من جهله، و يرعوي عن الغي و العدوان من لهج به».

[منهاج السنة (8/ 145) ، تاريخ دمشق (20/ 357)]. وأنّه سُمِع عليٌّ رضي الله عنه يوم صفين وهو عاضٍ على شفته يقول : لو علمتُ أنَّ الأمر يكون هكذا ما خرجتُ ! » [مصنف ابن أبي شيبة (7/ 548)] .

مواجهة علي رضي الله عنه للخوارج :

فلما اتفق عليٌّ ومعاوية رضي الله عنهما على تحكيم الحكمين، خرج على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه طائفةٌ من جيشه ، ولم ترضَ بالتحكيم وقالوا: إن عليًا ومعاوية استبقا إلى الكفر كفرسَي رهان، فكفَر معاويةُ بقتال علي، ثم كفر عليٌّ بتحكيم الحكمين، ورفضوا التحكيم وقالوا:لا حكم إلا لله، كما كفّروا طلحة والزبير أيضًا. وتلك الطائفة سمّيت بالخوارج !

أحاديث تذمّ الخوارج :

ومن دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه أشار إلى ظهور الخوارج في أحاديث كثيرة وذمّهم، فمن تلك الأحاديث: أنّ عليًا رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «سيخرج قومٌ في آخر الزمان، أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون مِن خيرِ قولِ البريّة، لا يجاوز إيمانُهم حناجرَهم، يمرقون من الدين كما يمرق السّهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإنَّ في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يومَ القيامة »[1]، وفي حديث يسير بن عمرو قال: قلت لسهل بن حنيف: هل سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول في الخوارج شيئًا؟ قال سمعته يقول - وأهوى بيده قِبل العراق -: «يخرج منه قوم يقرؤون القرآن، لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية»[2]

---

(1) البخاري (3415) و مسلم (1066).

(2) البخاري (6535) ومسلم (1068).

ففي هذه الأحاديث ذمٌّ واضحٌ لفرقة الخوارج؛ فقد وصفهم النبي ﷺ بأنهم طائفة مارقة؛ وأنهم يتشدّدون في الدين في غير موضع التشدد؛ بل يمرقون منه بحيث يدخلون فيه ثم يخرجون منه سريعًا، لم يتمسكوا منه بشيء؛ نعم.. يقرؤون القرآن، لكن لا تفقهه قلوبهم؛ ويحملونه على غير المراد به.

وفي رواية أخرى: «يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم؛ يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان؛ يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية؛ لئن أدركتُهم لأقتلنهّم قتل عاد»[1].

وفي هذا معجزة باهرة للرسول ﷺ ، حيث وقع منهم ما أخبر به ﷺ ، فإنهم كانوا يسلّون سيوفهم على أهل الإسلام بالقتل؛ وكانوا يغمدونها عن الكفار وأهل الأوثان، ويكفيهم ذمًّا وعارًا مشينًا أنّ الرسول ﷺ حرض على قتلهم إن هم ظهروا؛ وأخبر ﷺ أنه لو أدركهم لأبادهم بالقتل إبادة عاد وثمود؛ وأخبر ﷺ بأن من قتلهم له أجر عند الله تعالى يوم القيامة؛ وقد شرَّف الله رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمقاتلتهم وقتلهم؛ إذ أنّ ظهورهم كان في زمنه رضي الله عنه وأرضاه، على وفق ما وصفهم به النبي ﷺ من العلامات الموجودة فيهم.

انحياز الخوارج إلى حروراء:

وكان عدد الخوارج الذين انفصلوا عن جيش علي رضي الله عنه أثناء عودته من صفين إلى الكوفة؛ يقدّر بثمانية آلاف[2]؛ وفي رواية بأنهم أربعة عشر ألفًا[3]، وقد انفصل هؤلاء

---

(1) البخاري (3166) ومسلم (1064).

(2) البداية والنهاية (7/ 280،281) إسناده صحيح؛ مجمع الزوائد (6/ 235).

(3) مصنف عبد الرزاق (10/ 157-160) بسند حسن.

عن الجيش قبل أن يصلوا إلى الكوفة بمراحل، وقد أقلق هذا التفرّق أصحاب علي ﷺ، وهالهم هذا الأمر، وسار عليّ ﷺ بمن بقي من جيشه على طاعته حتى دخل الكوفة، وانشغل أمير المؤمنين ﷺ بأمر الخوارج، خصوصًا بعد ما بلغه تنظيم جماعتهم من تعيين أميرٍ للصلاة وآخر للقتال، مما يعني انفصالهم فعليًا عن جماعة المسلمين، وكان أمير المؤمنين عليّ حريصًا على إرجاعهم إلى جماعة المسلمين، فأرسل إليهم ابن عمّه عبدَ الله بن عباس ﷺ لمناظرتهم.

مناظرة ابن عباس ﷺ للخوارج:

وعبد الله بن عبّاس هو حَبر هذه الأمة، أي: عالمها، ابن عم النبي ﷺ، لقّب بـ(تُرجمان القرآن)، وقد هيّأه لهذا اللقب، ولهذه المنزلة: استنارة عقله، وذكاء قلبه، واتساع معارفه، كيف لا وقد دعا له المصطفى ﷺ بقوله: «اللّهم فقّهه في الدين، وعلّمه التأويل» [1]، فكان بحقٍّ بدرَ الأحبار، والعينَ المدرار، مفسِّرَ التنزيل، ومبيِّنَ التأويل ﷺ، لهذا كلّه وقع اختيار علي بن أبي طالب ﷺ على ابن عمّه عبد الله بن عبّاس لهذه المهمّة العظيمة، مهمّة الحوار مع فرقة الخوارج، فدار بين عبد الله بن عباس وبين الخوارج حوارٌ رائع، وجّه فيه الحديث، وساق الدليل، وأقام الحُجة بشكل يبهر الألباب، ويُدهش العقول، فقال لهم: «أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ؟ قالوا: ننقم عليه ثلاثاً، قال ابن عباس: وما هنّ؟ قالوا: أولهن أنه حَكّم الرجال في دين الله، وقد قال الله: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾[1]، قال: وماذا؟ قالوا: وقاتل ولم يَسْبِ

---

(1) البخاري: (143) بلفظ: « اللهم فقهه في الدين »، وأما زيادة: « وعلّمه التأويل » فهي ثابتة عند أحمد وغيره بأسانيد صحيحة، انظر الصحيحة للألباني: (2589).

(1) [الأنعام:57].

ولم يغنم (يقصدون في موقعة الجمل وصفين)، لئن كانوا كفارًا لقد حَلّت له أموالهم، ولئن كانوا مؤمنين لقد حَرُمت عليه دماؤهم، قال: وماذا؟ قالوا: محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أميرَ المؤمنين فهو أميرُ الكافرين»

طريقةٌ إبداعيةٌ في الحوار، بدأ فيها ابن عباس رضي الله عنه بإعطاء مجالٍ للخوارج، بأن يُظهروا كلّ نقدهم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومآخذهم عليه، ولم يقاطعهم في واحدة من تلك المآخذ، حتى إذا ما أتوا على كل شبهاتهم ومآخذهم، قال لهم ابن عباس: «أعندكم سوى هذا؟ قالوا: حسبنا هذا»

قال ابن عبّاس رضي الله عنه : «أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم، وحدّثتكم من سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ما لا تنكرون، أترجعون؟ قالوا: نعم» وهنا حدّد ابن عبّاس المرجعيّة عند الاختلاف، وهي الرّجوع إلى الكتاب والسنة، بعدها قال ابن عبّاس:«أما قولكم: حكّم الرجال في دين الله، فإن الله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞ ﴾[1]، إلى قوله: ﴿يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾[2]، وقال في المرأة وزوجها: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ ﴾[3] أنشدكم الله أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم، وإصلاح ذات بينهم أحقّ، أم في أرنبٍ ثمنها ربع درهم، وفي بِضع امرأة، وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصيّر ذلك إلى الرجال.

قالوا: اللهم في حقن دمائهم، وإصلاح ذات بينهم، قال: أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم، قال: وأما قولكم قاتل ولم يَسبِ ولم يَغنم، أتَسبُون أمّكم عائشة؟ أم

---

(1) [المائدة:95].

(2) [المائدة:95].

(3) [النساء:35].

تستحلّون منها ما تستحلون من غيرها؟ فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست أمَّ المؤمنين فقد كفرتم، وخرجتم من الإسلام، إن الله يقول: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾[1] فأنتم مترددون بين ضلالتين، فاختاروا أيهما شئتم؟

ثمّ قال ابن عباس: أخرجت من هذه؟ فنظر بعضهم إلى بعض، قالوا: اللهم نعم، قال ابن عبّاس: وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما ترضَون، فإن رسول الله ﷺ دعا قريشاً يوم الحديبية أن يكتب بينه وبينهم كتابًا فكاتب سهيلَ بن عمرو وأبا سفيان، فقال: اكتب يا علي: هذا ما قاضى عليه محمدٌ رسول الله، فقالوا - أي المشركون-: والله لو كنّا نعلم أنك رسولُ الله ما صَدَدْناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمدُ بنُ عبد الله، فقال الرسول ﷺ: والله إني لرسول الله حقًا وإن كذبتموني، اكتب يا علي: محمد بن عبد الله، فرسول الله ﷺ كان أفضل من علي رضي الله عنه وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه؟! ثمّ قال ابن عبّاس: أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم»

فماذا كانت النتيجة؟ تاب ألفان من الخوارج ورجعوا عن بدعتهم، وبهذا يتضح لنا جلياً مدى حرص الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه على وحدة المسلمين وجماعتهم، فلا يبدأ الخوارج بالقتال، ما لم يخرجوا هم عليه، أو يؤذوا المسلمين ببدعتهم.

كيف تعامل عليٌ رضي الله عنه مع الخوارج:

وأعلن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه سياسته الراشدة العادلة تجاه هذه الجماعة المتطرفة فقال لهم: إنَّ لكم عندنا ثلاثًا:

(1) [الأحزاب: 6].

1- لا نمنعكم صلاة في هذا المسجد.

2- ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا.

3- ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا[1].

لقد أنصف عليٌ رضي الله عنه هؤلاء الخوارج انصافًا عجيبًا ، فهو لم يخرجهم من دائرة الإسلام ولم يُحجِّر على حرياتهم ، ولم يزجّ بهم في السجون أو يسلّط عليهم الجواسيس بل سلّم لهم بحق الاختلاف ، وحقّ الاحتفاظ بتصوُّراتهم الخاصة في إطار العقيدة الإسلامية ومنحهم كل ما للمسلمين من حقوق ما داموا لم يخرجوا على جماعة المسلمين أو يقاتلوا الخليفة . إضافةً إلى أنّ عليًّا رضي الله عنه حرص على إيضاح الحجة وإظهار الحق لهم ولغيرهم ، ممن قد ينخدع بآرائهم ومظهرهم .

جرائم الخوارج:

بدأ الخوراج يشغّبون على علي رضي الله عنه في المسجد، يقومون ويصيحون: لا حكم إلا لله، وكان علي رضي الله عنه يقول: «كلمة حقٍ أريد بها باطل». ولم يكتفوا بالإنكار القوليّ، بل بدؤوا يكفِّرون من خالفهم ويستبيحون دمه وماله وتجرؤوا على سفك الدماء المحرمة في الإسلام ومن جرائمهم: أنّهم شاهدوا رجلاً مرةً في إحدى القرى، فخرج الرجل من القرية مذعورًا يجر رداءه فقالوا له: كأننا روعناك؟ قال: أجل قالوا: لا رَوعَ لك فقالوا: أنت عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: نعم قالوا: عندك حديث تحدثناه عن أبيك عن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال: سمعته يقول: إنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة (15/ 327، 328)، والشافعي في الأم (4/ 136)، وتاريخ الطبري (5/ 688) بسند ضعيف للانقطاع على أن للسند شواهد وقد توبع قاله الألباني في إرواء الغليل (8/ 117، 118).

ذكر فتنة فقال: «القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فإن أدركَتْكَ فكن عبد الله المقتول» فأخذوه معهم وأخذوا سريّة له، ثمّ قدموه إلى النهر فضربوا عنقه، يقول الراوي: فرأيت دمه يسيل على الماء، كأنه شراك نعل[1]، ثم دعوا بالسرية وهي حبلى، فبقروا عما في بطنها[2].

أثار هذا العمل الرعب بين الناس، وأظهر مدى إرهابهم ببقر بطن هذه المرأة وذبحهم السيد الجليل عبد الله بن خباب رضي الله عنه كما تُذبح الشاة، ولم يكتفوا بهذا بل صاروا يهددون الناس قتلاً.

وبالرغم من فظاعة ما ارتكبه الخوارج من منكرات بشعة، لم يبادر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى قتالهم، بل أرسل إليهم أن يسلِّموا القتلة لإقامة الحد عليهم، فأجابوه بعنادٍ واستكبار: كلنا قتلة[3]، وهنا عندما سفكوا الدم الحرام، وأغاروا على أموال المسلمين،قرّر الإمام علي رضي الله عنه قتالهم لدفع ظلمهم وبغيهم، ولما أظهروه من الشر من أعمالهم وأقوالهم.

فسار إليهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بجيش قوامه عشرة آلاف، في شهر محرم من عام 38هـ[4]، وعسكر على الضفة الغربية لنهر النهروان، والخوارج على الضفة الشرقية وكان عددهم أقل من أربعة آلاف، وأخذ أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يحرّض جيشه على قتال الخوارج، لأنّه أدرك أنّ هؤلاء القوم هم الخوارج الذين عناهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

(1) أي لم يختلط بالماء، تاريخ بغداد (1/ 205،206).

(2) مصنف ابن أبي شيبة (15/ 310،311) بسند صحيح.

(3) مصنف ابن أبي شيبة (15/ 308،309) بسند صحيح.

(4) أنساب الأشراف (2/ 63) بسند فيه مجهول، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد (ص 322).

بالمروق من الدين؛ لذلك أخذ يحث أصحابه أثناء مسيرهم إليهم ويحرضهم على قتالهم؛ وكان لأحاديث رسول الله ﷺ في الخوارج أثرها لدى الصحابة وأتباع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فقد كان رضي الله عنه يقول: أيها الناس، إني سمعت رسول الله ﷺ: « سيخرج قومٌ في آخر الزمان، أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون مِن خيرِ قولِ البريّة، لا يجاوز إيمانُهم حناجرَهم، يمرقون من الدين كما يمرق السّهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يومَ القيامة»[1]، وكان رضي الله عنه يوم النهروان يقول: «أمرت بقتال المارقين، وهؤلاء المارقون»[2].

وفي موقعة النهروان هزم الخوارج شرّ هزيمة، ولم ينجُ منهم إلا دون العشرة !

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تمرق مارقةٌ عند فِرقة من المسلمين، يقتلها أوْلى الطائفتين بالحق»[3]، فقوله ﷺ: «تمرق مارقة» هم الخوارج أهل النهروان الذين كانوا في معسكر علي رضي الله عنه في حرب صفين، فلما اتفق عليٌ ومعاوية على تحكيم الحكمين، خرج الخوارج على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وقالوا: إن عليًا ومعاوية استبقا إلى الكفر كفرسَي رهان، فكفر معاوية بقتال علي، ثم كفر علي بتحكيم الحكمين، فقتلتهم الطائفة التي كانت مع علي، وقد شهد النبي ﷺ أن الطائفة التي تقاتلهم أقرب إلى الحق، وهذه شهادة من النبي ﷺ لعلي وأصحابه بالحق، وهذا من معجزات النبي ﷺ لكونه أخبر بما يكون، فكان على ما قال، وفيه

---

(1) البخاري (6531).

(2) السنة لابن أبي عاصم (907) تحقيق الألباني رحمه الله.

(3) هذه الأحاديث في صحيح مسلم (1064).

دلالة واضحة على صحة خلافة علي رضي الله عنه وخطأ من خالفه[1].

معاملة علي رضي الله عنه للخوارج بعد الحرب:

عامل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الخوارج قبل الحرب وبعدها معاملة المسلمين فلم يكفّر الخوارج إذ قبل الحرب حاول إرجاعهم إلى الجماعة وقد رجع كثيرٌ منهم ووعظهم وخوّفهم القتال رغبةً منه في كفّهم ودفع شرهم لا قتلهم[2]، وما أن انتهت المعركة حتى أصدر علي رضي الله عنه أمره في جنده أن لا يتبعوا مدبرًا ولا يذففوا على جريح ولا يُمثلوا بقتيل، ولم يسب علي رضي الله عنه يوم الجمل ولا يوم النهروان[3] وقد سُئل علي: رضي الله عنه أكفارٌ هم؟ قال: «من الكفر فروا فقيل: منافقون؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً قيل: فما هم؟ قال: قومٌ بغوا علينا فقاتلناهم»[4].

عليّ رضي الله عنه لم يندم على قتال الخوارج!

والملاحظ في قتال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه للخوارج وقتاله في الجمل وصفين أنَّ عليًا رضي الله عنه ندم وحزن على قتاله في وقعة الجمل وصفين أما في قتاله مع الخوارج فكان يظهر الفرح والسرور لقتالهم وذلك لأنّه قاتلهم بنصّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففاز بالفضيلة الموعودة في ذلك.

الحسن والحسين رضي الله عنهما بجانب أبيهم:

---

(1) منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين لابن قدمة، (ص:75، 76) نقلا عن عقيدة أهل السنة والجماعة (2/ 683).

(2) فتح الباري (12/ 300،301)، نيل الأوطار (8/ 182).

(3) السنن الكبرى للبيهقي (8/ 182) بسند صحيح.

(4) مصنف عبد الرزاق (10/ 150)، مصنف ابن أبي شيبة (15/ 332) بسند صحيح.

وقف الحسن والحسين رضي الله عنهما بجوار والدهما مع إخوانهم الآخرين في كل تلك المواقف والمعارك، يشدّون من أزره ويقوّون من عزيمته، وينفّذون كل ما يأمرهم به من أعمال، وقد يتولون مناصب في بعض البلاد، وكانت إقامة الحسنين بالمدينة إلى أن خرجا مع أبيهما إلى الكوفة فشهدا معه الجمل، ثم صِفِّين، ثم قتال الخوارج.

قال ابن كثير رحمه الله عن الحسين رضي الله عنه: «وكان معه في مغازيه كلها، في الجمل وصفين، وكان معظمًا موقرًا، ولم يزل في طاعة أبيه حتى قُتل»[1].

إنّ شهود الحسنين لهذه المواقع أكسبهما صبرًا في الشدائد، إضافةً إلى الشجاعة والقوة، لكنها الشجاعة القائمة على الأخلاق، والقوة المبنية على المبادئ، والصبر المبني على الورع والتقوى، مع علمهما رضي الله عنهما ويقينهما الراسخ ومعرفتهما المتينة بأن والدهما كان على الحق.

غير أن عقيدتهما كانت موافقة لما عليه أهل السنة والجماعة من الإمساك عما شجر بينهم، إلا فيما يليق بهم رضي الله عنهم؛ لما يسببه الخوض في ذلك من توليد العداوة والحقد والبغض لأحد الطرفين.

وكانا يعلمان أن الطرفين يدخلان تحت عموم قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ ﴾[2]، فمدلول الآية ينتظمهم رضي الله عنهم أجمعين، فلم يكفروا ولم يفسقوا بقتالهم بل هم متأولون مجتهدون.

وقد بين الحكم في قتالهم ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما مر معنا، فالواجب على

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير (8/ 150).

(2) [الحجرات:9].

المسلم، ومن زعم أنه محب لأهل البيت رضي الله عنهم أن يسلك في اعتقاده فيما حصل بين الصحابة الكرام مسلك الفرقة الناجية ،والتي من أئمتها وسادتها أمير المؤمنين علي وابناه الحسن والحسين، وهو الإمساك عما حصل بينهم رضي الله عنهم ، ولا يخوض فيه إلا بما هو لائق بمقامهم.

استشهاد علي رضي الله عنه :

هدأت الأمور قليلاً بعد معركة النهروان، لفترة تقارب السنتين، وصدور الخوارج تغلي غلي المرجل مما أوقع فيهم عليٌّ رضي الله عنه ، وهم : عبد الرحمن بن ملجم والبُرَك بن عبد الله التميمي وعمرو بن بكر التيمي اجتمعوا، فتذاكروا أمر الناس، وعابوا على ولاتهم، ثم ذكروا أهل إخوانهم أهل النهروان، فترحموا عليهم، وقالوا: « ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئا، إخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربهم، والذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم، فلو شرينا أنفسهم فأتينا أئمة الضلالة ، فالتمسنا قتلهم فأرحنا منهم البلاد، وثأرنا بهم إخواننا، فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علي بن أبي طالب -وكان من أهل مصر- وقال البرك بن عبد الله: وأنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن أبي بكر: وأنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجل منا عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه، فأخذوا أسيافهم، فسموها واتعدوا لسبع عشرة تخلو من رمضان أن يثب كل واحد منهم على صاحبه الذي توجه إليه، وأقبل كل رجل منهم إلى المصر الذي صاحبه فيه يطلب » [تاريخ الطبري (6/ 59)] .

تعاقدوا في بيت الله الحرام، وخطّطوا للإفساد والإجرام، ولكن هل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ظَلَم الخوارج؟ لا ثم لا، إنه لما رفع أهل الشام المصاحف ودعوا إلى

الصلح، خرج هؤلاء لرفض المصاحف، وزعموا أن أمير المؤمنين يقدّم حكم الرجال على حكم الله المتعال، ونحن نتساءل: أهم أعلم بهذا الأمر أم علي؟ لا شك أن عليًا رضي الله عنه كان أعلم أهل الأرض بهذا الأمر منهم، فقبل التحكيم حقنًا لدماء المسلمين.

دعاء أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لله تعالى أن يعجّل له بالشهادة:

في أواخر أيام حياة الإمام علي رضي الله عنه، نراه قد كره الحياة وتمنى الموت، وكان يتوجّه إلى الله بالدعاء ويطلب منه عز وجل أن يعجل منيته، خاصةً أن رأى من بعض أهل العراق خذلانًا وبُغضًا، فمما روي عنه أنه خطب يومًا فقال: «اللهم إني قد سئمتهم وسئموني، ومللتهم وملوني، فأرحني منهم وأرحهم مني، فما يمنع أشقاكم أن يخضبها بدم، ووضع يده على لحيته»[1]، وقد ألحّ علي رضي الله عنه في الدعاء في أيامه الأخيرة، فعن جندب قال: ازدحموا على علي رضي الله عنه حتى وطئوا على رجله فقال: «إني قد مللتهم وملوني، وأبغضتهم وأبغضوني، فأرحني منهم وأرحهم مني»[2]، وفي رواية أخرى أنّه قال: «اللهم إني قد مللتهم وملوني،وأبغضتهم وأبغضوني، وحملوني على غير أخلاقي، فأبدلهم بي شرًا مني، وأبدلني بهم خيرًا منهم»[3]، فلم يلبث بعد هذا الدعاء إلا ثلاثة أيام أو نحو ذلك، حتى قتل رحمه الله[4].

وتفيد بعض أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي تعد من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم إخباره بأن عليًا سيكون من الشهداء، فقد جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله

---

(1) مصنف عبد الرزاق (10/ 154) بإسناد صحيح، الطبقات (3/ 4) إسناده صحيح.

(2) الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (1/ 37) بإسناد حسن، خلافة علي، (ص:432).

(3) سير أعلام النبلاء (3/ 144).

(4) المحن، (ص:99) لأبي العرب، خلافة علي، عبد الحميد، (ص:432).

ﷺ كان على حراء، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحرّكت الصخرة فقال رسول الله ﷺ: «**اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**»[1]، وقد كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يعلم أنّه سيقتل غدرًا، لأن النبي ﷺ أطلعه على ما سيحدث له، فالنبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، وقد آمن علي رضي الله عنه بذلك وأيقن، فكان يتحدث إلى الناس بهذا، و من ذلك: أنّه مرض مرةً مرضًا شديدًا، قبل توليه الخلافة، فعاده في مرضه أحد الصحابة، وهو أبو فضالة الأنصاري البدري رضي الله عنه، فقال له علي رضي الله عنه: «إني لست ميتًا في مرضي هذا، أو من وجعي هذا، إنه عَهِد إلى النبي ﷺ أني لا أموت حتى تُخضبَ هذه -يعني لحيته- من هذه - يعني هامته-»[2].

كيف اغتيل الإمام علي رضي الله عنه ؟

سيروي لنا قصة استشهاد علي رضي الله عنه، هذه الفاجعة التي عمت الدنيا، ولده محمد بن الحنفية، حيث قال: «كنت والله إني لأصلي تلك الليلة التي ضرب فيها علي في المسجد الأعظم في رجال كثير من أهل المصر، يصلون قريباً من السدة، ما هم إلا قيام وركوع وسجود، وما يسأمون من أول الليل إلى آخره، إذ خرج علي لصلاة الغداة، فجعل ينادي: أيها الناس، الصلاة الصلاة، فما أدري أخرج من السدة، فتكلم بهذه الكلمات أم لا؟، فنظرت إلى بريق، وسمعت: الحكم لله يا علي لا لك ولا لأصحابك، فرأيت سيفاً، ثم رأيت ثانياً، ثم سمعت علياً يقول: لا يفوتنكم الرجل وشد الناس عليه من كل جانب، قال: فلم أبرح حتى أخذ ابن ملجم وأدخل على علي، فدخلت فيما دخل من الناس، فسمعت علياً يقول: النفس بالنفس، أنا إن مت فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيت فيه

---

(1) مسلم (2417).

(2) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، (ص:433) طرق الرواية صحيحة بمجموعها.

رأيي»[1].

فزع الناس من مقتل علي رضي الله عنه ، فزعت نساؤه وبناته، وقبل ذلك أولاده، ولما قبض على ابن ملجم رأته أم كلثوم بنت علي وهي تبكي فقالت: «أي عدو الله لا بأس على أبي، والله مخزيك، قال: فعلى من تبكين؟ والله لقد اشتريته بألف، وسممته بألف، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل المصر ما بقي منهم أحد»[2].

أسرع الناس نحو الطبيب ليعالجه فإذا بالضربة الإجرامية قد وصلت إلى أم رأسه، فقال له الطبيب أن يعهد فإنه ميت[3]، وقيل: إن جندب بن عبد الله دخل على علي فسأله، فقال: «يا أمير المؤمنين إن فقدناك - ولا نفقدك - فنبايع الحسن؟ قال: ما آمركم ولا أنهاكم ، أنتم أبصر»[4].

وصية علي رضي الله عنه لأولاده:

ثم أيقن الموت وقد كان في كل أحواله منتظره، لم يغفل عنه لا قبل الخلافة ولا بعد توليه، بل كان إذا أصبح لم ينتظر المساء، وإذا أمسى لم ينتظر الصباح، حاله في الدنيا كأنه غريب، لأنه كان يدرك أن الموت منه قريب، فدعا أولاده ليودعهم، دعا الحسنين لينظر إليهم النظرة الأخيرة، وليبث فيهم أخلاق الرجال، ويغرس في أنفسهم سمة الأبطال، فلما قعدوا بجواره أوصاهم وصية المودعين، فخص وعم، فدعا أولًا الحسن والحسين، فقال: «أوصيكما بتقوى الله، وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زُوِي عنكما، وقولا

(1) تاريخ الطبري (6/ 62).

(2) المصدر السابق (6/ 62).

(3) الاستيعاب (3/ 1128).

(4) تاريخ الطبري (6/ 62).

الحق، وارحما اليتيم وأغيثا الملهوف، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصماً، وللمظلوم ناصراً، واعملا بما في الكتاب، ولا تأخذكما في الله لومة لائم» ثم نظر إلى محمد بن الحنفية، فقال: «هل حفظت ما أوصيت به أخويك، قال: نعم، قال: فإني أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك، لعظيم حقهما عليك، فاتبع أمرهما، فلا تقطع أمراً دونهما .

ثم قال: أوصيكما به، فإنه ابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه، وقال للحسن: أوصيك أي بني بتقوى الله وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلها، وحسن الوضوء فإنه لا صلاة إلا بطهور، ولا تقبل صلاة من مانع زكاة، وأوصيك بغفر الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمر، والتعهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش»[1].

وكانت وصيته في ساعة الاحتضار: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون. ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، ثم أوصيك يا حسن وجميع أهلي وولدي وأهلي بتقوى الله ربكم، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، فاعتصموا بحبل الله جميعاً، ولا تفرقوا؛ فإني سمعت أبا القاسم يقول: إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام، انظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوهم، يهون الله عليكم الحساب، الله الله في الأيتام، فلا تعنوا أفواههم ولا يضيعن بحضرتكم، الله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم ﷺ ما زال

(1) المصدر السابق (6/ 63).

يوصي به حتى ظننا أنه سيورثه، الله الله في القرآن، فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم، والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم، والله الله في بيت ربكم فلا تخلّوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم يناظر، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، والله الله في الزكاة فإنها تطفئ غضب الرب، والله الله في ذمة نبيكم فلا يظلمن بين أظهركم، والله الله في أصحاب نبيكم فإن الله أوصى بهم، والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معايشكم، والله الله في ما ملكت أيمانكم، الصلاة الصلاة، لا تخافن في الله لومة لائم، يكفيكم من أرادكم وبغى عليكم، وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى الأمر شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم، وعليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب، حفظكم الله من أهل بيت وحفظ فيكم نبيكم، أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله» ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض رضي الله عنه [1].

وكان قاتله ابن ملجم بين يديه قد صفد، فأمرهم أمير المؤمنين فيه، فقال: «احبسوا الرجل، فإن متُّ فاقتلوه، وإن أعش فالجروح قصاص»[2].

وفي رواية أخرى قال: «أطعموه واسقوه وأحسنوا إساره، فإن صححت فأنا ولي دمي، أعفو إن شئت، وإن شئت استقدت»[3]. وفي رواية أخرى زيادة وهي قوله: «إن مت فاقتلوه قتلتي، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين»[4].

---

(1) تاريخ الطبري (6/ 64).

(2) فضائل الصحابة (2/ 560) بسند حسن.

(3) المحن لابن أبي العرب (ص:94)، خلافة علي (ص:439) عبد الحميد.

(4) الطبقات (3/ 35).

وقد كان علي نهى الحسن عن الْمُثْلة، وقال: «يا بني عبد المطلب، لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين، تقولون: قتل أمير المؤمنين، قتل أمير المؤمنين، ألا لا يُقتَلنَّ إلا قاتلي، انظر يا حسن، إن أنا مت من ضربته هذه فاضربه بضربة، ولا تمثل بالرجل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إياكم والمثلة ولو أنها بالكلب العقور»[1].

وبعد أن فارق أمير المؤمنين رضي الله عنه الدنيا، وفاضت روحه إلى الله تحمل الطهر والنقاء، وقد سبقته بشرى رسول الله ﷺ أنه من أهل الجنة، فلم يتكل على هذه البشارة، بل عمل ليكون مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، حزن الناس كلهم لفراقهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، الموالي منهم والمعادي، القريب والبعيد، الصغير والكبير، وممن رثاه أبو الأسود، وقيل: أم العريان، فقال:

يا عين ويحك أسعدينا	ألا تبكي أمير المؤمنينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا	بخير النّاس طرّاً أجمعينا
إذا استقبلتَ وجه أبي تراب	رأيتَ البدر فوق الناظرينا
يقيم الحقّ لا يرتاب فيه	ويعدل في العدا والأقربينا

مكانة علي عند معاوية رضي الله عنهما:

ولما بلغ خبر مقتله معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه جعل يبكي، فقالت له امرأته: «أتبكيه وقد قاتلته؟ فقال: ويحك إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم»[2].

وكان معاوية يكتب فيما ينزل به يسأل له علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك، فلما

---

(1) تاريخ الطبري (6/ 64).

(2) البداية والنهاية (8/ 133).

بلغه قتله قال: «ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب، فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام، فقال له: دعني عنك»[1].

وإذا أردت أن تعرف قدر شخصية علي ﷺ عند معاوية، فسل الضرار الصدائي لما طلب منه معاوية أن يصف له عليًّا وأمّنه، فقال: «كان والله بعيد المدى، شديد القُوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، ويستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحَدِنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله - مع تقريبه إيانا وقربه منا - لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظِّم أهل الدين ويُقرِّب المساكين، ولا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف في عدله، وأشهد أنه قد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سُدُولَه وغارت نجومه، قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم[2]، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غُرِّي غيري، إليّ تعرّضت أم إليّ تشوَّفتِ، هيهات هيهات، قد باينتك ثلاثاً لا رجع فيها فعمرك قصير، وخطرك قليل، آه من قلة الزاد وبُعد السفر، ووحشة الطريق، فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها وهو في حجرها»[3].

وعن عمر بن عبد العزيز قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، وأبو بكر وعمر جالسان عنده، فسلمت عليه وجلست، فبينما أنا جالس إذ أتي بعلي ومعاوية، فأدخلا

---

(1) الاستيعاب (3/ 1108).

(2) أي الملدوغ ، كانت العرب تسميه كذلك للتفاؤل ببرئه.

(3) الاستيعاب (3/ 1108).

بيتاً وأجيف[1] الباب وأنا أنظر، فما كان بأسرع من أن خرج علي وهو يقول: قضي لي ورب الكعبة، ثم ما كان بأسرع من أن خرج معاوية وهو يقول: غفر لي ورب الكعبة»[2].

الحسن رضي الله عنه يقتصّ من قاتل أبيه:

وأمّا الحسن رضي الله عنه فقد استعدّ لإقامة القصاص على القاتل، وقدّم ابن ملجم للقتل أمام النّاس، حينها أصابه الجزع، فقال للحسن: «هل لك في خصلة؟ إني والله ما أعطيت الله عهداً إلا وفيت به، إني كنت قد أعطيت الله عهداً عند الحطيم أن أقتل علياً ومعاوية أو أموت دونهما، فإن شئت خليت بيني وبينه، ولك الله علي إن لم أقتله أو قتلته ثم بقيت، أن آتيك حتى أضع يدي في يدك. فقال له الحسن: أما والله حتى تعاين النار ! ثم قدَّمه فقتله»[3].

وبعد أن ذهب عليٌّ رضي الله عنه إلى الله، يحمل زاده وصحبته، وفتوحاته وسابقته، قام ابنه الحسن رضي الله عنه يخطب في الناس، كما روي عن عمر بن حُبشي قال: خطبنا الحسن بن علي بعد قتل علي رضي الله عنه، فقال: لقد فارقكم رجل بالأمس، ما سبقه الأولون بعلم، ولا أدركه الآخرون، إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبعثه ويعطيه الراية فلا ينصرف[4]حتى يُفتح له، ما ترك من صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه كان يرصدها لخادم أهله»[5]

---

(1) أجيف الباب: رُد وأغلق.

(2) البداية والنهاية (8/ 133).

(3) تاريخ الطبري (6/ 64).

(4) فلا ينصرف: يرجع.

(5) رواه أحمد (1720) وإسناده صحيح.

وهكذا .. انتقل رابع الخلفاء الراشدين إلى الرفيق الأعلى، ونزل بأهله وأسرته من الحزن ما لا يعلم به إلا الله، وكان الحسين رضي الله عنه من الذين اعتراهم الحزن لفراق أبيه، فقد كان الحسين يحب أباه حبا جما، كما كان أبوه يوقره كما يوقر أخاه الحسن رضي الله عن الجميع، فكان علي رضي الله عنه في آخر أيامه لما أن دخل رمضان يتعشى ليلةً عند الحسن وليلةً عند الحسين وليلةً عند ابن عباس، لا يزيد على ثلاث لقم، يقول: «يأتيني أمر الله وأنا خميص، إنما هي ليلة أو ليلتين فأصيب من الليل»[1].

الضوابط الواجب مراعاتها عند دراسة الفتنة !

نظراً لكون فتنة الخروج على عثمان رضي الله عنه ، وما تبع ذلك من وقائع مسلحةٍ حدثت بين بعض الصحابة الكرام رضي الله عنهم في الجمل وصفين، فمن الواجب أن نُذكّر بأهمّ الأسس والضوابط التي ينبغي مراعاتها عند تناول مثل تلك الحوادث ، نوردها في النقاط التالية :

1. أن نعتقد أن الصحابة رضي الله عنهم خير القرون ، لأن عز وجل زكّاهم ، فقال تعالى : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة:100] .كما زكّاهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في أحاديث منها أنه سُئِل : أي الناس خير ؟ فقال : « قرني ،ثم الذين يلونهم ،ثم الذين يلونهم .. » [متفق عليه] . وبالتالي يجب علينا : محبّة جميع

---

(1) تاريخ دمشق (42/ 555).

الصّحابة ، والترضّي عنهم ، والترحّم عليهم ، وحفظِ فضائلهم ، والاعترافِ بسوابقهم ، ونشرِ مناقبهم .

2. إنَّ الكلام عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم ليس هو الأصل في معتقد أهل السنة والجماعة ، بل الأصل فيه هو الكفُّ والإمساك عما شجر بينهم ، ليسلم المسلم من الوقوع فيهم أو انتقادهم . قال علي رضي الله عنه : « حدِّثوا الناسَ بما يعرفون ، أتحبُّون أن يكذَّبَ اللهُ ورسولُهُ ! » [البخاري:(127)، من كتب الشيعة : كتاب الغيبة للنعماني ص 41] . لما يسبّبه الخوض في ذلك من توليد العداوة والحقد والبغض لأحد الطَّرفين .

3. الروايات التاريخيّة التي تحدّثت عن فتنة استشهاد عثمان وموقعة الجمل وصفّين دخلها كثير من الكذب والتحريف ! لذا إذا دعت الحاجة إلى ذكر شيءٍ مما شجر بينهم ، فلابدَّ من التحقيق في الروايات المذكورة ، ومعرفة صحيحها من ضعيفها، وصادقها من باطنها، قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ [الحجرات : 6] .

4. إذا صحَّت الرواية في ميزان الجرح والتعديل في شأن ما حدث بين الصحابة رضي الله عنهم ، وكان ظاهره القدح فيهم ، فليحمل ذلك على أحسن المحامل ، وليُلتمس لهم أحسن المخارج ، قال ابن أبي القيرواني في حق الصحابة أنهم : « أحقُّ الناس أن يلتمسَ لهم أحسن المخارج ، ويظنَّ بهم أحسن المذاهب » .

5. ثم إن ما ثبت في ميزان النقد العلمي أنه شجر بينهم فهم مجتهدون فيه، ذلك أن القضايا كانت مشتبهة، ولشدة اشتباهها تباينت اجتهاداتهم على ثلاثة أقسام :

ا_ قسمٌ ظهر لهم بالاجتهاد أنَّ الحق مع هذا الطرف، فيجب نصرته على من خالفه وبغى عليه .

ب_ قسمٌ ثانٍ عكس القسم الأول ، ظهر لهم أيضاً أنَّ الحق مع الطرف الآخر فيجب نصرته والوقوف معه .

ج- قسمٌ ثالث رأى أنّ ما يحدث إنما هو فتنةٌ ، عليهم أن ينأوا بأنفسهم عنها، فاعتزلوا الفريقين .

إذن هم متأوِّلون مجتهدون فيما حصل بينهم ، لكل طائفة شبهةٌ اعتقدت تصويب نفسها ، وهذا لا يُخرجهم من العدالة ، بل هم في حكم المجتهدين، فلا يلزم نقصُ أحدٍ منهم ، إنَّما هم بين أجرٍ وأجرين . ثم ليُعلم أنَّ جمهور الصحابة رضي الله عنهم ما دخلوا في الفتنة ! عن محمد بن سيرين قال : « هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشرات الألوف ـ وفي رواية : عشرة آلاف ـ فلم يحضرها منهم مائةٌ ، بل لم يبلغوا ثلاثين ! » [البداية والنهاية (7/ 253)] .

6. إنَّ الصحابة رضي الله عنهم مع اجتهادهم في شأن الفتنة وتأوّلهم فقد حزنوا حزناً شديداً ، وندموا أشدّ الندم على ما حدث ، إذ لم يخطر ببال أحدهم أن تصل الأمور إلى ما وصلت إليه ، وقد مرَّ ذكر بعض أقوالهم.

7. ورغم ما حصل بينهم فإنهم لم يكفِّروا بعضهم بعضاً ، بل كان بعضهم يترحَّم على بعض ، ويثنُون على بعض، ويلتمسون المعاذير لبعض ، بل يأخذون العلم من بعض ، وقد سبق بيان ذلك .

8. أخيراً فإنَّ كل واحد من الصحابة رضي الله عنهم ليس معصوماً من كبائر الذنوب وصغائرها حسب اعتقاد أهل السنة والجماعة ، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة ،ولكن لهم من السَّوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما قد يصدر منهم .ثمَّ إذا صدر من أحدهم ذنبٌ فيكون : إمَّا قد تاب منه ، أو أتى بحسناتٍ تمحوه ، أو غُفر له بسابقته ، فإذا كانت هذه الذنوب المحقَّقة فكيف بالأمور التي اجتهدوا فيها ؟ فالخطأ في تلك الحال لا ريب مغفورٌ . ثم إنَّ ما قد يُنكر من فعل بعضهم فهو قليلٌ مغفورٌ في جنبِ فضائلهم ومحاسنهم ، يقول الذَّهبي : « فالقوم لهم سوابق وأعمال مكفِّرة لما وقع بينهم ، وجهاد محّاءٌ، وعبادة ممحصةٌ » [سير أعلام النبلاء (10/ 93)] .

* سُئل الإمام جعفر الصَّادق رحمه الله عمّا وقع بين الصّحابة رضي الله عنهم ، فأجاب بقوله : « أقولُ ما قال الله : ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَـٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ » [الإنصاف للباقلاني ص 69] .

الباب الثاني عشر :

الحسنان في عهد معاوية رضي الله عنه

مبايعة الحسن رضي الله عنه :

كان من شأن أمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه أنه لم يعيِّن أحداً من بعده، فعن عبد الله بن سبع قال: سمعت علياً يقول: «لتخضبن هذه من هذا،[1] فما ينتظر بي الأشقى؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، فأخبرنا به نبيرُ عترته[2]، قال: إذن تالله تقتلون بي غير قاتلي، **قالوا: فاستخلف علينا ، قال: لا**، ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا: فما تقول لربك إذا أتيته؟ – قال وكيع[3] مرة: إذا لقيته – قال: أقول: اللهم تركتني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني إليك وأنت فيهم، فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم[4]، وفي رواية: أقول: اللهم استخلفتني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني وتركتك فيهم»[5].

ثم إنَّ الحسن بعد مقتل أبيه صلى عليه، وكبر عليه أربع تكبيرات، ودفنه بالكوفة، وكان أول من بايعه قيس بن سعد، قال له: «ابسط يدك أبايعك على كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه، وقتال المُحلِّين، فقال له الحسن رضي الله عنه : على كتاب الله وسنة نبيه، فإنَّ ذلك

---

(1) أي لتخضبن لحيته من دم رأسه.

(2) نبير عُترَته: نهلك أقرباءه لسان العرب (4/ 5) (4/ 538).

(3) وكيع بن الجراح، ثقة حافظ عابد، التقريب (581).

(4) مسند أحمد (1078) وهو حسن لغيره.

(5) كشف الأستار عن زوائد البزار (3/ 204).

يأتي من وراء كل شرط، فبايعه وسكت، وبايعه الناس»[1].

وقد اشترط الحسن بن علي على أهل العراق شرطًا عندما أرادوا بيعته فقال لهم: «والله لا أبايعكم إلا على ما أقول لكم، قالوا: ما هو؟ قال: تسالمون من سالمت، وتحاربون من حاربت»[2]، وفي رواية ابن سعد: أن الحسن بن علي أبي طالب بايع أهل العراق بعد علي على بيعتين، بايعهم على الإمرة، وبايعهم على أن يدخلوا فيما دخل فيه، ويرضوا بما رضي به[3]. ومن هذا الشرط، نستشفّ ابتداء الحسن ﷺ في التمهيد للصلح مع معاوية فور استخلافه .

وبويع الحسن ﷺ بيعةً عامة، وبايعه الأمراء الذين كانوا مع والده، وكل الناس الذين بايعوا لأمير المؤمنين علي ﷺ، وباشر سلطته كخليفة، فرتّب العمال، وأمّر الأمراء، وجنّد الجنود، وفرّق العطايا، وزاد المقاتلة في العطاء فاكتسب بذلك رضاهم.

تسلّم أمير المؤمنين الحسن مقاليد الخلافة، بعد استشهاد أبيه علي ﷺ، وورث بذلك تركةً ثقيلةً، فالبلاد التي يسيطر عليها تعجّ بالفوضى والاضطرابات، وكانت العواصف قد هبّت على هذه الديار من كل حدبٍ وصوبٍ، وكانت سيوف أهل العراق تقطر من الحدة على قتال أهل الشام، فالخلاف الذي جرى بين علي بن أبي طالب ﷺ وبين معاوية بن أبي سفيان ﷺ لم ينتهِ، وإنّما توقّف فقط بعد التحكيم، لذا كادت الأمور أن تعود بعد استشهاد الإمام علي ﷺ إلى ما كانت عليه من القتال والفُرقة !

---

(1) تاريخ الطبري (6/ 73).

(2) الطبقات تحقيق د. محمد السلمي (1/ 287،286)

(3) المصدر السابق (1/ 317،316)

تحرّك الحسن ﵁ بجيشه من الكوفة إلى المدائن، وقام بإرسال قوةٍ ضاربةٍ من الجيش - وهي شرطة الخميس - إلى مسكن، بقيادة قيس بن سعد بن عبادة الأنصاريّ، وقد كان أصحاب الحسن ﵁ يقولون له: «سِر إلى هؤلاء القوم الذين عصوا الله ورسوله، وارتكبوا العظائم»[1]، ولكن السيد السبط الذي بشَّر بسيادته من لا ينطق عن الهوى كان حليمًا، وكان تفكيره في أمرٍ آخر، إنّه يفكّر في المصالحة.

وقد أظهر الحسن حنكةً كبيرةً، دلت على سعة أفقه ودهائه وبصيرته، عندما لم يشأ أن يواجه أهل العراق من البداية بميله إلى مصالحة معاوية وتسليمه الأمر، لأنه يعرف طبيعتَهم وتهوّرَهم، وفي هذه الأثناء وبينما الحسن ﵁ في المدائن، إذ نادى مناد من أهل العراق: إنّ قيسا قد قُتِل - إشاعة - فسرت الفوضى في الجيش، وعادت إلى أهل العراق طبيعتهم في عدم الثبات، فاعتدوا على سرادق الحسن ﵁، ونهبوا متاعه، وأخذوا رداءه، حتى أنهم نازعوه بساطًا كان تحته، وطعنوه وجَرَحوه ! فلما رأى الحسن صنع أصحابه، قال لهم: «قد علمتُ أن لا خير فيكم، قتلتم أبي بالأمس، واليوم تفعلون بي هذا!»[2]، وأيقن الحسن ﵁ أنه لا فائدة منهم، ولا نصرَ يرجى على أيديهم، فدفعه ذلك إلى قطع خطوات أوسع، والاقتراب أكثر من الصلح مع معاوية.

بوادر الصلح:

بعدما علم معاوية ﵁ بخبر خروج الحسن ﵁ من الكوفة إلى المدائن مع جيش العراق، تحرّك هو من الشام متّجهًا إلى العراق، وهنا بعث معاوية ﵁ أول رسولين إلى الحسن لعرض المصالحة العامة معه، وقد سجّل الإمام البخاري في

---

(1) سير أعلام النبلاء (3/ 263).

(2) سير أعلام النبلاء (3/ 264).

صحيحه تلك اللحظات الحرجة من تاريخ هذه الأمة، حين التقى الجمعان، جمع أهل الشام وجمع أهل العراق، وذلك في الرواية التي أخرجها من طريق الحسن البصري، وخلاصة تلك الرّواية:

أنّه لّما شاهد عمرو بن العاص ﷺ جيش العراق، رأى كتائب أمثال الجبال، فقال لمعاوية: إني لأرى كتائبَ لا تُولِّي حتى تَقتل أقرانها، فقال له معاوية: أي عمرو، وإن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لي بأمور الناس؟ من لي بنسائهم؟ من لي بضيعتهم؟

فبعث معاوية إلى الحسن رجلين من بني عبد شمس: عبدالرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر، فقال لهما: «اذهبا إلى الحسن، فاعرضا عليه، وقولا له واطلبا إليه». أي اعرضا عليه ما يشاء من المال، وقولا له في حقن دماء المسلمين بالصّلح .

فأتياه فدخلا عليه فتكلما، فقال لهما الحسن بن علي: «إنّا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإنّ هذه الأمة قد عاثت في دمائها» أيّ أنّ العسكرين الشّاميِّ والعراقيِّ قد قتل بعضهم بعضًا، فلا يَكُفُّون عن ذلك ويمتنعون إلا بالصّفح عما مضى منهم، والتّألُّف بالمال، وأراد الحسن ﷺ بذلك كله تسكين الفتنة، وتفرقة المال على من لا يرضيه إلا المال . فقال الرسولان للحسن: «فإنّ معاوية يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك»، ووافقا على ما كلّ ما طلبه الحسن ﷺ، فقال الحسن: «فمن لي بهذا – أي من يضمن الوفاء من معاوية –؟ قالا: نحن لك به» أي: نحن نضمن؛ لأن معاوية كان فوَّض لهما ذلك، فصالحه [انظر صحيح البخاري (2557)، فتح الباري (13/ 64)].

فانظروا كيف وفّق الله هذا السّيد الحليم، واختصه بأن جمع على يديه الكلمة،

ورأبَ صَدع الأمة، وأغمد سيف الفتنة، وأصلح به الشمل، وفي الحقيقة لقد أخذ الحسن بن علي رضي الله عنه بيد الأمة كلها إلى شاطئ الأمن والأمان، وخلصها بحكمته وحلمه من لجج الفتن وعواصفها الهوجاء، واستطاع رضي الله عنه أن يبقي زمام الأمر في يده، وأن يكبح جماح الفتنة بسيادته التي أخبر عنها الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم [1].

الحسن رضي الله عنه يصارح أخاه وابن عمّه :

بعدها أراد الحسن أن يخبر بأمر الصلح أقرب الناس إليه، فقال لعبد الله بن جعفر: «إنّي قد رأيتُ رأيا وأحبُّ أن تتابعني عليه، فقال: ما هو؟ قال: قد رأيتُ أن أعمد إلى المدينة فأنزلها، وأخلي بين معاوية وبين هذا الحديث - أي الخلافة - فقد طالت الفتنة، وسقطت فيها الدماء، وقطعت فيها الأرحام، وقطعت السبل، وعُطّلت الفروج - أي الثغور -، فردّ عليه عبد الله بن جعفر: جزاك الله عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فأنا معك على هذا الحديث، فقال الحسن: ادع لي الحسين، فبعث إلى الحسين، فأتاه، فقال: يا أخي، قد رأيت رأيًا وأحب أن تتابعني عليه. قال الحسين: ما هو؟ فقصّ الحسن عليه الذي قال لابن جعفر، قال الحسين: أعيذك بالله أن تكذب عليًا في قبره وتصدق معاوية، قال الحسن: والله ما أردت أمرًا قط إلا خالفتني إلى غيره، فلما رأى الحسين غضبه، قال الحسين: أنت أكبر ولد عليٍّ، وأنت خليفته، وأمرنا لأمرك تبعٌ، فافعل ما بداك»[2].

فقبل الحسين رضي الله عنه بالتنازل عن الخلافة لمعاوية موافقة لأخيه الأكبر الحسن

---

(1) انظر: رجال أهل البيت لأحمد خليل جمعة (ص639-640).

(2) طبقات ابن سعد (1/ 330).

عليهم سحائب الرضوان، لأن الحسين كان يجله ويمتثل أوامره[1].

واستطاع الحسن رضي الله عنه وبعد خلافته بستة أشهر أن يتنازل بالخلافة لمعاوية رضي الله عنه ، إنه في الحقيقة تغلب على حظوظ النفس، وارتفاع على شهواتها، لقد حاز السيادة كلها، وظهر في فعله علم من أعلام النبوة، ومنقبة ظاهرة للحسن كظهور الشمس في رائعة النهار، ترك الملك لا لقلة، ولا لعلة، ولا لذلة، وإنّما لتوحيد الأمة، ورغبةً فيما عند الله، لما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة[2].

إنَّ ما فعله الحسن بن علي رضي الله عنه من الصلح ووضع الحرب بين العراقيين والشاميين حدثٌ تاريخي فريد، فلم يزل التاريخ يمدحه على فعلته هذا، وكذلك أهل الإسلام، على مر العصور والأزمان، إنّ شخصيةَ أمير المؤمنين الحسن رضي الله عنه ، صفحةٌ مشرقةٌ في تاريخ الزّمن، إنّه إمامٌ من الأئمة الذين يجب على الأمة أن تهتديَ بأقوالهم، وتتأسى بفعالهم، فسيرته من أقوى مصادر الإيمان والعاطفة، والفهم السليم لهذا الدين العظيم، فإنّنا نتعلم من سيرته: فقهَ الخلاف، والاستعلاءَ على حظوظ النفوس، وتقديمَ مصلحةِ الأمة على مصلحةِ الفردِ والذّات.

الحسن والحسين رضي الله عنه يبايعان معاوية رضي الله عنه :

انطلق الحسن مع أخيه الحسين رضي الله عنهما إلى معاوية بالشام، وبايعوه هناك، وسمّي هذا العام بعام الجماعة !

---

(1) الوافي بالوفيات؛ للصفدي (4/ 162).

(2) انظر: فتح الباري لابن حجر (13/ 66).

عن أبي عبد الله جعفر الصادق أنه قال: «إن معاوية كتب إلى الحسن بن علي صلوات الله عليهما أن اقدم أنت والحسين وأصحاب علي، فخرج معهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، وقدموا الشام فأذن لهم معاوية، وأعدَّ لهم الخطباء فقال: يا حسن قم فبايع، فقام فبايع، ثم قال للحسين: قم فبايع، فقام فبايع، ثم قال: يا قيس، قم فبايع، فالتفت إلى الحسين عليه السلام ينظر ما يأمره فقال: يا قيس، إنه إمامي يعني الحسن عليه السلام وفي رواية: فقام إليه الحسن، فقال: بايع يا قيس، فبايع».[1]

وبهذا التنازل تظهر لنا أهميّة اجتهادات الحسن رضي الله عنه في فقه السياسة الشرعية وفقه المصالح والمفاسد، وكيف أنّ السيّد الحسن رضي الله عنه كان يمتلك رؤيةً إصلاحية فريدة، وكانت لديه القدرة على تحمّل العوائق والمصائب في سبيل تحقيقها، وصياغته لمشروعٍ إصلاحي عظيم، وعزمٍ على التنفيذ، فكان ذلك سببًا في توحيد الأمة، وقد حقّق بذلك نبوة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، عندما جلس على المنبر والحسن إلى جنبه فقال: «ابني هذا سيد، ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[2].

إن سيرة الحسن بن علي رضي الله عنه، توضح لنا مدى أهمية امتلاك القائد لرؤية مستقبلية، يسير على هداها مستعيناً بالله، فالحسن ملك الرؤية الإصلاحيّة والقدرة على التنفيذ، مع وضوح المراحل، والأسباب والشروط والنتائج، بل ومعرفة العوائق وكيفية التعامل معها، وترك لنا معالم نيرة في فقه الخلاف والمفاوضات، والتغلب على أهواء النفوس وأمراضها، ابتغاء ما عند الله.

---

(1) من كتب الشيعة: رجال الكشي (ص 110)، وانظر أيضًا أمر صلح الحسن ومعاوية رضي الله عنهما، وتسليمه الحكم له: كتاب بحار الأنوار للمجلسي (45/ 96).

(2) أخرجه البخاري (2505).

وأقول: إنّ من عوامل نهضة الشعوب ونجاحها: قراءة الماضي لخدمة الحاضر واستشراف المستقبل، فدعونا نستفيد من هذا الدّرس المهم من دروس التاريخ، خاصةً الدّول والحكومات، وأصحاب القرارات، والأحزاب الناشطة، والحركات الإسلامية، والمراكز الدعويّة المنتشرة هنا وهناك في عالمنا الإسلامي الكبير، إنّنا في أشد الحاجة لفقه مدرسة الحسن ﵁ في توحيد الصف، وحقن الدماء، وجمع الكلمة، فالحسن ﵁ خليفةٌ راشد، والاقتداء به والاهتمام بفقهه أرشدنا إليه رسول الله ﷺ حيث قال: «عليكم بسنتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»[1].

إن الحسن ﵁ كان يعي مقدار التزكية النّبوية التي جعلته سيدًا مصلحا، فلم يتّخذ منها مجالاً للفخر والخيلاء، والتعالي على النّاس بالسّيادة، بل نراه أحلّ لقب السيادة في نفسه، واستحضرها في ذاكرته، وظلّ يجتهد لتحقيقها، ويعمل لبلوغها، فلم يجلس جِلسة البطّال، بل سَعَى لها سَعْي الأبطال، حتى تحققت المعجزة النبوية، وتمّ الإصلاح، ولم تُرق بسببه قطرة دم.

موقف أتباع الحسن ﵁ من الصلح:

بعد نجاح مفاوضات الصلح بين الحسن ومعاوية ﵄، شرع الحسن ﵁ في تهيئة نفوس أتباعه على تقبّل الصلح الذي تمّ، فقام فيهم خطيبًا ليبين لهم ما تم بينه وبين معاوية، فقال: «إني أرجو أن أكون أنصحَ خلقِهِ لخلقه، وما أنا محتمل على أحد ضغينةً ولا حقداً، ولا مريدًا به غائلة ولا سوءًا، ألا وإنّ ما تكرهون في الجماعة خيرٌ لكم مما تحبون في الفرقة، ألا وإني ناظر لكم، خيرًا من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري، ولا تردوا علي، غفر الله لي ولكم» فنظر بعض الناس إلى بعض، وقالوا: عزم

(1) رواه أبو داود (4607) والترمذي (2676) وقال: «حسن صحيح».

والله على صلح معاوية، وضعف وخار.

فهجم عليه بعض معسكره محاولين قتله، لكن الله تعالى أنجاه، فشدّوا على فسطاطه، وانتزعوا مصلاه من تحته، وانتهبوا ثيابه ! فدُهش رضي الله عنه مما صنع هؤلاء، وانطلق رجل من بني أسد، يقال له: الجراح بن سنان، ودنا من دابة الحسن فأخذ بلجامها، ثم أخرج معولاً كان معه وقال له: أشركت يا حسن! كما أشرك أبوك من قبل، وطعنه بالمعول في أصل فخذه، فشقّ في فَخِذه شقًا كاد يصل إلى العظم، وضرب الحسن وجهه، ثم اعتنقا وخرَّا إلى الأرض، ووثب عبد الله الطائي، فنزع المعول من يد الجرّاح، وضربه حتى مات، وبعدها حُمل الحسن رضي الله عنه إلى المدائن وأتى بطبيب، وقام عليه حتى برئ[1].

وتألّم الحسن كثيرًا مما جرى، ويتّضح ذلك جليًا من خلال إحدى خطبه، حيث نادى أهل العراق، قائلاً: «يا أهل العراق اتقوا الله فينا، فإنا أمراؤكم وضيفانكم، أهل البيت الذين قال الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ٣٣﴾[2]» فما زال يقول ذلك حتى ما رأى أحد من أهل المسجد إلا وهو يخن بكاء[3].

وهناك رواية أخرى ذُكر فيها أن الحسن رضي الله عنه جمع رؤوس الناس في قصر المدائن ثم قال: «يا أهل الكوفة، لو لم تذهل نفسي عنكم إلا لثلاث لذهلت: لقتلكم أبي،

---

(1) انظر: مقاتل الطالبيين (ص:17).

(2) [الأحزاب:33].

(3)تاريخ دمشق (13/ 268) .

وطعنكم في فخذي، وانتهابكم ثقلي»[1].

فسبحان الله! مع ما قدّمه الحسن رضي الله عنه من هذا المشروع العملاق الذي أَمِن فيه الناس، وحَقَن فيه الدماء، وحَفِظ من خلاله الحقوق، ووحَّد الأمة، إلا أن كثيرًا ممن قصرت أفهامهم، وران على قلوبهم غشاوة الحقد والكراهية لأهل الشام، رأوا أن الحسن رضي الله عنه لم يكن مصيبًا في صلحه مع معاوية، فقد أتى مالك بن ضمرة إلى الحسن بن علي رضي الله عنه وقال له: «السلام عليك يا مسخّم وجوه المؤمنين، فقال له الحسن رضي الله عنه : لا تقل ذلك، إني لما رأيت الناس تركوا ذلك إلا أهله، خشيت أن تجتثوا عن وجه الأرض، فأردت أن يكون للدين في الأرض ناعي، فقال: بأبي وأمي ذرية بعضها من بعض)»[2].

وفي رواية أخرى أن الحسن بن علي رضي الله عنهما لما قدم الكوفة قال له أبو عامر سفيان بن ليلى: السلام عليك يا مذلَّ المؤمنين. فقال: «لا تقل ذلك يا أبا عامر، لست بمذل المؤمنين، ولكني كرهت أن أقتلكم على الملك»[3].

سبحان الله! يريد لهم الخير ويتهمونه بالذل، يريد أن يرفع عنهم سفك الدماء ويريدون أن يوغلوا في سفكها، وكان بعض أصحاب الحسن رضي الله عنه يقولون له: يا عار المؤمنين، فيقول: «العارُ خيرٌ من النّار»[4].

وقد نقل الشعبي خطبة من خطب الإمام الحسن رضي الله عنه بين من خلالها أنه أراد

---

(1) تاريخ الإسلام للذهبي (1/ 494)

(2) تاريخ دمشق (13/ 280)

(3) مصنف بن أبي شيبة (7/ 476) وسنده لا بأس به.

(4) فتح الباري: (13/ 64).

الإصلاح ما استطاع، وحقن الدماء ما دعا لله داع، قال الحسن: «إن أكيس الكيس التقى، وإن أحمق الحمق الفجور، إلا وإن هذه الأمور التي اختلفت فيها أنا ومعاوية ، تركت لمعاوية، إرادة إصلاح المسلمين وحقن دمائهم، ثم استغفر ونزل»[1].

لماذا تنازل الإمام الحسن رضي الله عنه ؟

1. الرغبة فيما عند الله، وإرادة صلاح هذه الأمة، يقول نفير الحضرمي: «قلت للحسن بن علي: إنّ الناس يزعمون أنك تريد الخلافة» وهذه أخطر تهمة يمكن أن توجّه إلى المصلحين، عندما يُطعن في نيّاتهم، ويتّهمون في دوافعهم، فماذا قال الحسن رضي الله عنه ؟ ردّ عليه بقوله: «كانت جماجم العرب بيدي، يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء وجه الله»[2] فلله درّه، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[3].

2. إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بأنه سيصلح بين فئتين عظيمتين من المسلمين، دفعت الحسن رضي الله عنه إلى التفكير، ثمّ إلى التخطيط، والاستعداد النّفسي للصلح، والتغلّب على العوائق التي في الطريق.

3. حقن دماء المسلمين، قال الحسن بن علي: «... خشيت أن يجيء يوم القيامة سبعون ألفاً، أو ثمانون ألفاً، أو أكثر أو أقل، تنضح أوداجهم دماً، كلهم يستعدي الله، فيم هُريق دمه»[4].

---

(1) سير أعلام النبلاء (3/ 271)

(2) البداية والنهاية (11/ 206)، وذكره الدولابي في الذرية الطاهرة (رقم:103).

(3) [الحجرات:10].

(4) البداية والنهاية (11/ 206).

فالحسن أراد أن يحقن دماء المسلمين قربةً إلى الله تعالى، وخشي على نفسه من حساب الله يوم القيامة في أمر الدّماء، ولو أدّى به إلى ترك الخلافة، فكان ذلك دافعًا له نحو الصلح، وهناك من يبيع شعبه من أجل حفنةٍ من المال، ولا يبالي في أي وادٍ هلكوا، لكن الإمام الحسن من طرازٍ آخر، يقدّم مصلحة الناس العامة، على مصلحته الخاصة، يضحّي بالخلافة من أجل حقن دماء المسلمين.

هذه هي حياة العظماء، وسيرة النجباء، ودرب الفضلاء، والسادة الوجهاء الذين اختارهم الله ليكونوا معالماً للخير، دالين عليه، يضحون بملكهم من أجل حياة أممهم، وبأنفسهم لازدهار شعوبهم.

إن الحسن بن علي رضي الله عنه ما هو إلا بضعة من النبي العظيم، وفعله قطعة من أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، فبدعائه بارك الله له فيما أقدم عليه من الصلح بين الأمة، فرفع عنها الفتنة والمحنة وما نزل بها من الغمة، فرضي الله عن الحسنين السبطين الكريمين السيدين المطاعين، ابني سيد الكونين والثقلين.

حسن الذي صان الجماعة بعدما **أمسى تفرقها يحلُّ عراها**

ترك الإمامة ثم أصبح في الد **يار إمام ألفَتِها وحسن عُلاها**

لقاء الحسن بمعاوية رضي الله عنه :

ثم خرج الحسن رضي الله عنه من الكوفة إلى النخيلة، ليقابل معاوية رضي الله عنه ويسلّم الأمر له، وعندما التقيا، قام الحسن فخطب على المنبر، ليخبر النّاس بأنّه سلّم الأمر لمعاوية، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإن أكيس الكيس التقى، وإن أحمق الحمق الفجور، وإنّ هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إما كان حقًا لي تركته لمعاوية، إرادة صلاح هذه الأمة وحقن دمائهم، أو يكون حقًا كان لامرئٍ كان أحقّ به مني،

ففعلت ذلك: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿١١١﴾﴾[1]»[2].

إن شخصية خليفة المسلمين الحسن بن علي رضي الله عنه تعتبر شخصية قياديّة، وقد اتصف رضي الله عنه بصفات القائد الرّباني، ومن أهم هذه الصِّفات: إيمانه العظيم بالله واليومِ الآخر، وتحصيله للعلمِ الشرعيِّ، والصِّدق، والكفاءة، والشَّجاعة، والمروءة، والزُّهد، وحب التضحيةِ، والتّواضع، وقبول النصيحة، والحلم، والصَّبر، وعلو الهمَّة، والإدارة القويَّة، والقدرة على حلِّ المشكلات، وغير ذلك من الصِّفات، وبسبب ما أودع الله فيه من صفات القيادة الربانية، استطاع أن يقدم مشروعه الإصلاحي، مع قدرته على التنفيذ، والتغلب على كلّ العوائق في سبيل ذلك.

أمران مفترقان لست تراهما يتشوقان لخلطة وتلاقي

طلب المعاد مع الرياسة والعلى فدع الذي يفنى لما هو باقي

إن الحسن بن علي رضي الله عنه يعلمنا كيف نزهد في الجاه والسلطان والملك والشهرة، ابتغاء مرضاة الله تعالى، فالحسن رضي الله عنه ازداد رفعة وسيادة بتنازله عن الدنيا، وأصبح رمزًا لنكران الذات ومعلمًا للإيثار، ومدرسة وفخراً للأمة عبر الأجيال، في تقديمه مصلحة الأمة في وحدتها، وحفظ دمائها على أي مصلحة أخرى.

مدة خلافة أمير المؤمنين الحسن:

وبتنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الخلافة، ومبايعته معاوية رضي الله عنه تنتهي بذلك فترة خلافة النبوة وهي ثلاثون سنة، وقد استمر أمير المؤمنين الحسن رضي الله عنه بعد بيعته،

---

(1) [الأنبياء:111].

(2) المستدرك (3/ 175) الطبقات (1/ 329) الاستيعاب (1/ 388).

خليفةً على الحجاز واليمن والعراق وغير ذلك، نحو سبعة أشهر، وقيل ثمانية أشهر، وقيل ستة أشهر، وكانت خلافته هذه المدة خلافةً راشدةً حقةً، لأن تلك المدة كانت تتمة لمدة الخلافة الراشدة، التي أخبر النبي ﷺ أن مدتها ثلاثون سنة ثم تصير ملكًا، فقد قال النبي ﷺ: «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملكٌ بعد ذلك»[1].

وقد علّق ابن كثير على هذا الحديث فقال:«وإنما كَمُلت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ ، فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليما»[2] .

وعند أبي داود بلفظ: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء»[3]، ولم يكن في الثلاثين بعده ﷺ إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن رضي الله عنه، وقد قرّر جمعٌ من أهل العلم عند شرحهم لهذا الحديث أنَّ الأشهر التي تولى فيها الحسن بن علي بعد موت أبيه، كانت داخلةً في خلافة النبوة ومكملةً لها، كأبي بكر بن العربي، والقاضي عياض، والحافظ ابن كثير، وشارح الطحاوية ابن أبي العزّ الحنفي، والمناوي، وابن حجر الهيتمي، وغيرهم. قال ابن أبي العز الحنفي: «وكانت خلافة أبي بكر الصديق سنتين وثلاثة أشهر، وخلافة عمر عشر سنين ونصفاً، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة، وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر، وخلافة الحسن ستة أشهر»[4]، وبذلك يكون الحسنُ خليفةَ حقٍ، وإمامَ عدلٍ وصدق، وخامسَ الخلفاء الراشدين بنص جدّه ﷺ .

---

(1) رواه الترمذي (2226) ، وصحّحه الألباني في صحيح الترمذي .

(2) البداية والنهاية (11/ 134).

(3) رواه أبو داود (4646).

(4) شرح الطحاوية (ص:545).

شروط الصلح:

تحدّثت كتب التاريخ، عن حصول الصلح وفق شروطٍ وضعها الطرفان، ومن أبرز تلك الشروط:

1. العمل بكتاب الله، وسنة نبيّه، وسيرة الخلفاء الراشدين، وهذا شرطٌ وضعه الإمام الحسن ضمن الشروط على معاوية بن أبي سفيان ﷺ، أن يعمل ويحكم في الناس بكتاب الله، وسنة رسول الله، وسيرة الخلفاء الراشدين[1]، وفي هذا الشرط ضبطٌ لدولة معاوية ﷺ في مرجعيّتها ومنهجها في الحياة.

2. الأموال: عدم مطالبة معاوية بأموال أصابها الحسن بن علي وغيرُه من بني عبد المطلب في الأيام الخالية.

3. الدماء: اتّفق الجانبان على أنّ الناس كلّهم آمنون، لا يؤاخذ أحدٌ منهم بهفوة.

4. ولاية العهد: جاء في بعض الروايات التاريخية أنّ الجانبين اتّفقا على أنّ الأمر من بعد معاوية يكون للحسن بن علي ﷺ، لكن بعض المحقّقين ينكر هذا الأمر، لأنه يتنافى مع أنفة الحسن وقوته وكرمه، فكيف يتنازل عن الخلافة ابتغاء مرضاة الله، وحقنًا لدماء المسلمين، ثمّ تشرئبّ عنقه للخلافة مرةً أخرى، ومصداقًا لهذا الأمر فقد روى ابن أعثم عن الحسن أنّه قال: «أما ولاية الأمر من بعده، فما أنا بالراغب في ذلك، ولو أردت هذا الأمر، لم أسلّمه»[2].

ومما يؤكد هذا الموقف أيضًا قول نفير الحضرمي للحسن بن علي: إن الناس

---

(1) الصواعق المحرقة (2/ 399)، من كتب الشيعة: بحار الأنوار للمجلسي (44/ 65).

(2) الفتوح (3، 4/ 293).

يزعمون أنك تريد الخلافة، فقال الحسن بن علي: «كانت جماجم العرب بيدي، يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء وجه الله»[1]، إذا فكيف كان أمر الخلافة من بعد معاوية؟ نقول: على الأصل، وهو الشورى، وقد جاء نصّ الصلح كما ذكره ابن حجر الهيتمي: «... بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين»[2]، ولذلك نجد أنّ الإمام الحسين رضي الله عنه غضب عندما دعا معاوية الناس إلى بيعة ابنه يزيد من بعده؛ لأن الحسين رضي الله عنه رأى أنّ معاوية بن أبي سفيان عدَل عن الأصل في مبدأ اختيار الأمة للحاكم، وهو: الشورى، إلى الحكم الوراثي، الذي لا يُعمل الشورى ولا يتخذها مبدأ من مبادئ اختيار الإمام، وهذا ما سيأتي تفصيله لاحقًا.

نتائج الصلح:

هناك نتائج كثيرة نتجت عن هذا المشروع العظيم، وإيجابيات متكاثرة متضافرة تفتقت مما سعى إليه السيد السبط الحسن بن علي رضي الله عنه، وهي دالة على عظمة الحسن ومن سار معه على هذا الفكرة أخوه الحسين رضي الله عنه، ومن أهمها:

1. توحّد الأمة تحت قيادة واحدة: فقد التقت الأمة على زعامة معاوية رضي الله عنه، ورضيت به أميرًا عليها، وابتهج خيار المسلمين بهذه الوحدة، وسجلت هذه الوحدة في ذاكرة الأمة، وأصبح هذا الحدث من مفاخرها.

2. عودة الفتوحات إلى ما كانت عليه: وأصبحت في عهد معاوية ثلاث جبهات رئيسية: جبهة الروم، وجبهة المغرب، وجبهة سجستان وخراسان، وما وراء النهر.

3. تفرّغ الدولة الإسلامية للخوارج: فقد استطاع معاوية أن يضعف من

---

(1) البداية والنهاية (11/ 206) وذكره الدولابي في الذرية الطاهرة (رقم:103).

(2) الصواعق المحرقة (2/ 399).

شوكتهم وقوتهم، حتى اتّسمت حركة الخوارج في عهده بالعشوائية والارتجال وقلّة التنظيم.

4. حقن دماء المسلمين، وإذهاب العداوة والبغضاء التي غرست طيلة مدة الحرب بين علي ومعاوية رضي الله عنه من قبل الذين دخلوا في الصفين لإضرام نار الفرقة، وتأجيج الحقد وتوسيعه.

سيادة الحسن رضي الله عنه:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: «من سرَّه أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة، فلينظر إلى الحسن بن علي»[1]، وقد أثبتت الأيام، ومرور الشهور والأعوام، رسوخ صفة السيادة في الحسن رضي الله عنه، وقد بلغت ذروتها في توفيق الله له في عقد الصلح مع معاوية، وجمع الأمة على كلمة سواء، فقد كان الحسن سيداً جليلاً، مُصلحًا عظيمًا، علّمنا معنى السيادة، السيادة التي تقود الأمة للرّيادة، السّيادة التي تجمع الكلمة، السيادة التي تحفظ الأموال وتحقن الدماء، السيادة التي تزيل البغضاء والشحناء.

فصلح الحسن عليه السلام بلغ فيه ذروة السيادة، التي لا يستطيعها من فكّر بالقوة وهو يملك طرفاً منها، فكيف بالحسن وحوله ألوف الرّجال، فيهم من هو طامع مدسوس، ولكن فيهم الكثير الكثير من المخلصين الأوفياء، فما أراد أن تراق بسببه قطرة دم، أو يُخدش مسلمٌ.

نعم أيّها الإخوة، إنّ السّيادة التي لا تصون الحرمات، ولا تحفظ الأموال، ولا تحقن الدّماء، هي نوعٌ من الطاغوتِ الأعمى، وتهورِ الحمقى، التي تجلب معها الدمار

---

(1) صحيح ابن حبان (15/ 421، 422)، مجمع الزوائد (9/ 178).

والخراب، والإذلال واليباب، وينتهي أصحابها إلى غضب الجبّار، ولعنة التاريخ، وهل تدافعت الأشلاء والدّماء البشرية عبر العصور والقرون، إلا من الحرص على الرئاسة الكاذبة والتكالب على الدنيا؟

لقد كان في وسع الحسن رضي الله عنه أن يخوض حرباً لا هوادة فيها ضد معاوية، وكانت شخصيته الفذّة من الناحية السياسية والعسكرية والأخلاقية والدينية، تساعده على ذلك، إلا أن الحسن مال إلى الصلح لتوحيد الأمة، وحقن الدماء، ورغبة فيما عند الله، وقد قاد الحسن مشروعَ الإصلاح الذي تُوّج بوحدة الأمة، وظل زمام الموقف في جانبه وبيده، وكانت جبهته العسكرية قوية، كما قال رضي الله عنه: «كانت جماجم العرب بيدي، يسالمون من سالمت، ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء وجه الله»[1].

فلله درك أيها الحسن، عندما سجّلت في ذاكرة الأمة: (عام الجماعة)، وأصبح هذا الحدث من مفاخر الأمة، التي تزهو به على مرّ العصور، وتوالي الدهور، فقد التقى المسلمون على زعامة معاوية رضي الله عنه، وابتهج الصّادقون بهذه الوحدة الجامعة، بعد الشتات والتفرقة.

والفضل في هذا الحدث العظيم لله الرحمن الرحيم، ثمّ للمهندس الكبير، السيد النحرير، صاحب المشروع الفريد، المصلح العظيم: الحسن بن علي رضي الله عنهما.

وقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على الحسن رضي الله عنه بقوله: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» سوّده النبي صلى الله عليه وسلم، فدلّ ذلك على أن رعاية المصلحة، والحرص توحيد الأمة، هي **السيادة الحقيقية**.

---

(1) البداية والنهاية (11/ 206)، وذكره الدولابي في الذرية الطاهرة (رقم 103).

أيّها المصلحون، أيّها السّاسة، أيّها القادة، إنّ الذي ميّز الإمام الحسن عنّا أنّ الحسن باشر وخطّط، وسعى ونفّذ، وتنازل عن حظوظ النّفس، في سبيل وحدة المسلمين، فكان بحقٍ المصلحَ العظيم، بيد أنّنا اكتفينا بالأحلام، أحلام الوحدة الإسلامية، ولم ندرك يومًا أنّ أقصر طريقٍ لتحقيق الحلم، **هو أن نستيقظ!!**

أيها الحسن، صدق فيك المصطفى ﷺ حينما قال: «اللهم إني أحبّه، فأحبّه، وأحبِب من يحبه»[1]، كان الحسن رضي الله عنه أولَ خليفةٍ يتنازل عن منصبه، ويخلع نفسه طواعيةً، من مركز قوة لا ضعف، حقنًا لدماء المسلمين.

والله ثم والله، لقد أكبرناك، سبّوك وشتموك، وآذوك ولعنوك، وصاحوا بك: يا مذلّ المؤمنين، فما زادك ذلك إلا ثباتًا، من حقّنا أن نرفع رؤوسنا افتخارًا بك، وإجلالاً لموقفك، وعرفانًا بحقك، على ما سطرته في هذه الصفحة البيضاء من تاريخنا العظيم.

الأيام الأخيرة من حياة الحسن رضي الله عنه :

بعد أن تمّ الصلح بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما، وسمِّي ذلك العام بعام الجماعة؛ لاجتماع الكلمة، ووضع الحرب، واتفاق الناس على إمام واحد، بعدها ترك الحسن والحسين رضي الله عنهما الكوفة، ورجعا بمن معهما من أصحابهما وبني هاشمٍ إلى المدينة، واستقرّوا بها، وكانت المدينة في تلك الفترة يسكنها عددٌ كبيرٌ من علماء الصحابة، إضافةً إلى من تلقى عنهم من التابعين الأخيار، وهناك جلس الحسنان رضي الله عنهما بمدينة جدّهما ﷺ ، وجعلا همَّهما العبادةَ وتعليمَ النّاس، وروايةَ ما حفظاه وسمعاه من أحاديث النبي ﷺ.

(1) البخاري (2016) مسلم (2421).

قال ابن كثير رحمه الله: «ولما تسلّم معاوية البلاد، ودخل الكوفة، وخطب بها، واجتمعت عليه الكلمةُ في سائر الأقاليم والآفاق، ورجع إليه قيس بن سعد أحد دهاة العرب - وقد كان عزَم على الشِّقاق - وحصل على بيعة معاوية عامئذ الإجماع والاتفاق، ترحَّل الحسن بن علي ومعه أخوه الحسين وبقية إخوتهم وابن عمهم عبد الله بن جعفر من أرض العراق إلى أرض المدينة النَّبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وجعل كلما مرَّ بحي من شيعتهم يُبكِّتونه على ما صنع من نزوله عن الأمر لمعاوية، وهو في ذلك البار الراشد الممدوح، وليس يجد في صدره حرجًا ولا تلوُّمًا ولا ندمًا، بل هو راض بذلك مستبشر به، وإن كان قد ساء هذا خلقًا من ذوِيه وأهله وشيعتهم، ولا سيما بعد ذلك بمدد، وهلم جرًا إلى يومنا هذا.

والحق في ذلك اتباع السنة، ومدحه فيما حقن به دماء الأمة، كما مدحه على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم في الحديث الصحيح ولله الحمد والمنة»[1].

بعد هذا الصنيع من الحسن رضي الله عنه، حظيَ الهاشميون بالإجلال والاحترام، وطالت نفوس المسلمين مهابتهم، وحلَّ حبُّ الناس إياهم في سويداء قلوبهم.

وقد استقرّ الحسن رضي الله عنه في المدينة المنورة، بعدما أصبح إمامَ الألفة، ألفةِ الأمة، وقطبَ دائرتها، وزعيمَ وحدتها بلا منافس:

في روض فاطمة نما غصنان لم ... ينجبهما في النيِّران سواها
فأمير قافلة الجهاد وقطب دائرة ... الوئام والاتحاد ابناها
حسن الذي صان الجماعة بعدما ... أمسى تفرقها يحلُّ عراها

(1) البداية والنهاية (8/ 19).

تـرك الإمامـة ثـم أصـبح في الـديار إمـــام ألفتهـــا وحســـن عُلاهـــا

نعم .. ارتقت همم الحسن والحسين رضي الله عنهما عاليًا، وحلَّقا في سماء العلم، ونقل المعرفة، والرواية للناس الذين يفدون إلى المدينة المنورة لهذا الغرض النبيل، والهدف الجليل، لقد ظل حب المدينة المنوّرة عالقًا في نفسيهما، إنهما يهويانها، لأنها مهاجر جدهما، فيها تربى الحسنان، وفيها ترعرعا وشبا، ومن لبانها شربا، إنها طيبة، مدينة رسول الله، تهوى لرؤيتها النفوس، وتحلق في سمائها المشاعر، فهما يدركان أن المدينة عمرت بالوحي والتنزيل، وتردَّد بها جبريل الأمين، عرجت منها الملائكة والروح، وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر، مدارس وآيات، ومساجد جماعات وصلوات، ومشاهد الفضل والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك الدين، ومشاعر المسلمين؛ ومواقف سيد المرسلين، ومتبوأ خاتم النبيين.

يـا دار خـير المرسـلين ومـن بـه هـدي الأنـام وخـص بالآيـات

عنـدي لأجلـك لـوعة وصـبابة وتشـــوق متـــوقد الجمـــرات

لـولا العـوادي والأعـادي، زرتهـا أبـداً ولـو سـحباً عـلى الوجنـات

الحسنان في حياة معاوية:

ظلت علاقة الحسن بن علي رضي الله عنهما مع معاوية علاقة احترام وتقدير، فمعاوية رضي الله عنه يعرف المحل الأوفى والأرفع لسيدنا الحسن في نفس جده الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ، وكذلك في نفوس المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها، لذا كان يجلُّه ويوقَّره ويحترمه.

فكان الحسن بن علي رضي الله عنه يقدم على معاوية في خلافته كل سنة، فيصله بمائة ألف درهم[1]، وكان معاوية إذا تلقى الحسن بن علي قال له: «مرحبًا وأهلًا بابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم »[2]، فقدم عليه ذات مرة فقال له معاوية: «لأجيزنّك بجائزة ما أجزت بها أحدًا قبلك، ولا أجيز بها أحدًا بعدك، فأعطاه أربع مائة ألف، فقبلها الحسن»[3]. قال جابر رضي الله عنه : «كنا يوماً عند معاوية وقد تفرشت قريش وصناديد العرب ومواليها أسفل سريره، وعقيل بن أبي طالب والحسن بن علي رضي الله عنهم عن يمينه ويساره»[4].

وجاء في البداية والنهاية: أنّ الحسن انقطع مرةً عن الذهاب إلى معاوية، وجاء وقت الجائزة فاحتاج الحسن إليها - وكان من أكرم الناس - فأراد أن يكتب إلى معاوية ليبعث بها إليه، فلما نام الحسن تلك الليلة، رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال له: «يا بني أتكتب إلى مخلوق بحاجتك؟»، وعلّمه دعاءً يدعو به، فترك الحسن ما كان همّ به من الكتابة، فذكره معاوية رضي الله عنه في الشّام وافتقده، وقال: ابعثوا إليه بمائتي ألف، فلعل له ضرورة في تركه القدوم علينا، فحُملت إليه من غير سؤال[5].

ثم رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك في المنام فقال: «يا حسن كيف أنت؟ قال: فقلت: بخير يا رسول الله، وحدثته بحديثي، فقال: يا بني، هكذا من رجا الخالق ولم يرج المخلوق»[6].

---

(1) تاريخ دمشق (13/ 166).

(2) تاريخ دمشق (14/ 8).

(3) سير أعلام النبلاء (3/ 269).

(4) الشريعة للآجري(5/ 170) والأثر ضعيف.

(5) البداية والنهاية(8/ 42).

(6) مختصر تاريخ دمشق (صـ895).

كان معاوية رضي الله عنه يبعث للحسن والحسين بالجوائز، إضافة إلى احترام معاوية وإجلاله لهما، وحدّد لهما راتبًا سنويًّا بمقدار مائة ألف، وبعد وفاة الإمام الحسن، كان الحسين رضي الله عنه يفِد على معاوية رضي الله عنه في كل عامٍ فيعطيه ويكرمه[1].

وقال عبد الله بن بريدة: «دخل الحسن والحسين على معاوية، فأمر لهما في وقته بمائتي ألف درهم»[2].

وجاءت بعض الروايات بسند حسن: بأن معاوية كان دائم الوصل للحسين، ويسارع في تلبية مطالبه وحاجاته، وكان يغدق عليه العطاء، ولقد اعترفت المصادر الإماميّة بعطايا معاوية للحسن والحسين وعبد الله بن جعفر[3].

ولم ير الحسن ولا الحسين طول حياة معاوية منه سوءًا في أنفسهما ولا مكروهًا، ولا قطع عنهما شيئًا مما كان شرط لهما، ولا تغيَّر لهما عن برٍّ[4].

رؤيا الحسن رضي الله عنه في المنام:

بعد مضي سنواتٍ عديدة من صلح الحسن مع معاوية رضي الله عنهما، رأى الحسن في منامه أنه مكتوب بين عينيه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[5] ففرح بذلك، فبلغ ذلك سعيد بن المسيّب فقال: «إن كان رأى هذه الرؤيا، فقلّ ما بقي من أجله» وفعلاً، لم

(1) البداية والنهاية (8/ 161).

(2) تاريخ دمشق (14/ 113).

(3) من كتب الشيعة: جلاء العيون للمجلسي (376) والكافي في الفروع (6/ 19) الأمالي للطوسي(22/ 334).

(4) الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري (ص225)

(5) [الإخلاص:1].

يلبث الحسن بعد ذلك إلا أياماً حتى مات رضي الله عنه[1].

كيف مات الحسن رضي الله عنه ؟

لقد مات الحسن رضي الله عنه كما مات جدّه صلى الله عليه وآله وسلم متأثراً بالسم، فهو أشبهَ النّاس به حيًّا، فصار أشبههم به ميّتًا، وذكرت بعض الرّوايات أنّ الذي دسّ له السم زوجته: جعدة بنت الأشعث، وذكر بعضهم أنّ يزيد بن معاوية هو الذي أمر جعدة بذلك، وكلّ ذلك لا يثبت بحجةٍ ولا بيّنة، فمن الذي أطلع النّاس على هذا الأمر؟

إنّ هناك الكثير الذين هم أعداءٌ للوحدة الإسلامية، وزادهم غيظًا وحنقًا ما قام به الحسن بن علي رضي الله عنه من جمع كلمة الأمة وتوحيد صفوفها، كما أنّ قناعتهم كانت قويةً بأنّ وجوده حيًّا يمثّل صمّام أمانٍ للأمة، فهو إمام ألفتها، وبالتالي حتى تضطرب الأمور وتعود الفتن، لابدّ من تصفيته جسديًّا، والفتك به، ولو كان ابن من كان.

وهناك أطراف هي محل التهمة في دس السم للحسن رضي الله عنه :

فالمتهم الأول عند بعض المحقّقين: هم السّبئية أتباع عبد الله بن سبأ، الذين وجّه لهم الحسن صفعةً قوية، عندما تنازل لمعاوية، وجعل حدًّا للصراع.

والمتّهم الثاني: هم الخوارج، الذين قتلوا أمير المؤمنين علي، فربّما أرادوا مواصلة الانتقام من قتلاهم في النّهروان وغيرها.

ومثل هذين الطرفين لا يبعد أن يكون أحدهما قتل الحسن بن علي رضي الله عنه نظراً لما في نفوسهم من الحقد على أهل البيت عمومًا، وعلى السّيد الحسن رضي الله عنه خصوصًا، ولعلَّ المتهم الأول هم أكثر الناس حقدًا عليه؛ لأنه أطْفأ مشروعهم بتحقيقه وحدة

---

(1) البداية والنهاية (8/ 47).

الأمة، وكبت مخططاتهم باللحمة والاتفاق والتنازل، فيريدون أن يتفرغوا لِحِبَاكة ما قد كانوا بدؤوه من إضرام نار الفرقة، وإشعال الحرب.

لقد سُقي الحسن رضي الله عنه السّم مرارًا، لكن المرّة الأخيرة التي توفّي فيها، كثّفوا له الجُرعة، وركّزوا له السمّ، فأصابه في مقتل، حتى قال الطبيب عنه وهو يعالجه: هذا رجلٌ قطع السمّ أمعاءه، عن عمير بن إسحاق قال: «دخلت أنا ورجل آخر من قريش، على الحسن بن علي، فقام فدخل المخرج ثم خرج، فقال: لقد لفظت طائفةً من كبدي أقلّبها بهذا العود، ولقد سقيت السم مراراً، وما سقيت مرة هي أشد من هذه، ثمّ قال للرّجل: سلني قبل أن لا تسألني، فقال: ما أسألك شيئاً يعافيك الله»[1].

دخل عليه أخوه الحسين، شقيقه وحبيبه، ورفيقه وأنيسه، فرآه ممدّدًا على الفراش، فتذكّر أيّام الصبا، فلطالما لعبا معًا، وعملا معًا، وجاهدا معًا، جاء الحسين وقعد عند رأس أخيه الحسن، وعزّ عليه أن يرى أخاه على هذه الحال، فقال له: «يا أبا محمد، أخبرني من سقاك؟ قال الحسن: ولم يا أخي؟ قال: أقتله والله قبل أن أدفنك، أو يكون بأرض أتكلّف الشخوص إليه، فقال الحسن: يا أخي إنما هذه الدنيا ليال فانية، دعه حتى ألتقي أنا وهو عند الله»، وأبى أن يذكر اسم قاتله[2]، خشية الفتنة التي طالما فرّ منها، كان رضي الله عنه لا يريد أن يراق دمٌ بسببه، هكذا عاش، وهكذا أراد أن يموت رضي الله عنه .

ولما اشتدّ بالحسن الوجع، أصابه الجزع؛ فإنّ للموت سكرات، فدخل عليه أخوه الحسين فقال له: «يا أبا محمد، ما هذا الجزع؟ ما هو إلا أن تفارق روحُك جسدَك، فتقدم على أبويك علي وفاطمة، وعلى جديك النبي صلى الله عليه وسلم وخديجة، وعلى أعمامك حمزة وجعفر،

---

(1) البداية والنهاية (8/ 47).

(2) البداية والنهاية (8/ 48).

وعلى أخوالك القاسم والطيّب ومطهر وإبراهيم، وعلى خالاتك رقية وأم كلثوم وزينب» [تاريخ دمشق (13/ 286)] .

فما أن انتهى الحسين من كلامه حتى سُرّي عن الحسن، وبرقت أسارير وجهه، ثمّ أقبل بوجهه إلى أخيه الحسين، وقال له: «يا أخي، إني أدخل في أمرٍ من أمر الله،لم أدخل في مثله، وأرى خلقاً من خلق الله لم أر مثله قط»، فبكى الحسين رضي الله عنه [1]؛ لأنه أيقن بحلول الفراق، وتشتّت الأحباب.

ثمّ التفت الحسن إلى من حوله، قائلاً: «ادفنوني عند أبي – يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم – إلا أن تخافوا الدماء، فإن خفتم الدماء، فلا تهريقوا فيّ دماً، ادفنوني عند مقابر المسلمين» [تاريخ دمشق (13/ 288)] ، بعدها أرسل الحسن إلى أمّ المؤمنين عائشة يطلب منها أن يدفن مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأجابته إلى ذلك ووافقت، فقال الحسن لأخيه الحسين: « إني كنتُ طلبت إلى عائشة رضي الله عنها إذا أنا متُّ أن تأذن لي فأدفن في بيتها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلا أدري لعلَّ ذلك أن يكون كان منها حياءً مني، فإذا أنا متُّ فأتها فاطلب ذلك إليها، فإن طابت نفسها فادفنِّي فيه » [أخبار المدينة (1/ 74)] .

بعدها.. اشتدَّ بالحسنِ الألم، وازداد الوجع، وتقرّح الكبد، وتفطّر الفؤاد، وبدأ السمّ يسري في الأوصال، ويجري في الأركان، ويقطّع الأمعاء، بدأ الحسن يلفظ طائفةً من كبده، حينها أيقن أنّ الموت قد اقترب، لكن.. هذا لم يلهِهِ عن ذكرِ الله، والتأمّلِ في خلقه، فقال لمن حوله: «أخرجوا فراشي إلى صحن الدار، حتى أنظر في ملكوت السموات، فأخرجوا فراشه، فرفع رأسه إلى السّماء فنظر، ثم قال: اللهم إنّي أحتسب

---

(1) انظر البداية والنهاية (8/ 49).

نفسي عندك، فإنها أعزّ الأنفس علي»[1].

ثمّ أغمض الحسن عينيه، ليودّع الدّنيا غير فاتنٍ ولا مفتون، لقد مات الحسن، لقد مات سبطُ المصطفى، وريحانته الأولى، انهمري يا دموع، وتفجّر يا حَزَن، وتغلغل يا شَجَن، لقد مات الحسن.

قال مساورٌ السعديُّ: رأيت أبا هريرة قائماً على مسجد رسول الله ﷺ يوم مات الحسن، يبكي وينادي بأعلى صوته، ويقول: «أيها الناس، ماتَ اليومَ الحسنُ بن علي، حِبُّ رسولِ الله ﷺ فابكوا»[2].

لا إله إلا الله.. وكأنّ الأمة قد نسيت وصيّة نبيها ﷺ حينما قال: «هما رَيْحَانَتَايَ مِنْ الدُّنْيَا»، والريحانة تشمّ ولا تقطع، وتمسح ولا تُقلع، وتُسقى لتَحيا لا تُسقى لتموت، فتبًّا لمن وضع السمّ للريحانة الأولى، وسحقًا لمن اقتلع الريحانة الثانية.

فلما توفي الحسن، توجّه أخوه الحسين إلى عائشة، ليستأذنها في دفنه في بيتها مع النبي ﷺ ، فقالت عائشة: « نعم وكرامة »[3]، لكن مروان بن الحكم ومن معه رفضوا ذلك بقوّة السّلاح، وكادت أن تسيل الدماء لولا لطف الله، حيث تدخّل الصّحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه ، وخاطبهم قائلاً: «أرأيتم لو جيء بابن موسى، ليدفن مع أبيه فمُنع، أكانوا قد ظلموه؟ فقالوا نعم. قال: فهذا ابن نبي الله، قد جيء به ليُدفن مع أبيه» فأبوا، بحجّة أنه لا يصح أن يدُفن عثمان رضي الله عنه ببقيع الغرقد، ويدفن الحسن

---

(1) تاريخ دمشق (13/ 285)

(2) انظر سير أعلام النبلاء (3/ 278) والبداية والنهاية (8/ 49).

(3) أسد الغابة (2/ 19).

بجانب النبي ﷺ [1].

غضب الحسين رضي الله عنه لذلك وتسلّح، وجمع مواليه، فتقدّم إليه أبو هريرة ناصحًا، وذكّره بوصيّة أخيه الحسن، فقال: «أنشدك الله وصية أخيك، فإن القوم لن يدعوك حتى تكون بينكم دماء»[2] فامتثل الحسين رضي الله عنه، ودفن أخاه الحسن بالبقيع، قريباً من قبر فاطمة الزّهراء.

ولما أرادوا أن يصلوا عليه قدّم الحسينُ رضي الله عنه سعيدَ بن العاص، وكان والياً على المدينة لمعاوية رضي الله عنه، وقال: «لولا أنها سنةٌ ما قدمتك»[3]، وقد اجتمع الناس لجنازته، حتى ما كان البقيع يسع أحداً من الزّحام[4].

وقد توفي الحسن رضي الله عنه سنة إحدى وخمسين للهجرة، وعمره ثمان وأربعون سنة، فرضي الله عن أبي محمد الحسن بن علي، السيد الزاهد، والتّقي العابد، ورضي الله عن أبيه وأمه وأخيه، وصلى الله على جدّه المصطفى ﷺ .

وهكذا خرج الحسن رضي الله عنه، من الدنيا الفانية، شهيداً بأيدي الغدر والخيانة، بعد أن قدم عملاً جليلاً، ومشروعًا عظيمًا، ساهم في وحدة الأمة، وجمع الكلمة، وأعاد للأمة دورها الحضاري، في نشر دينها الإسلامي، وستظل الأمة الإسلامية مدينةً لهذا السيد الجليل، الذي حمل لواء الوحدة والألفة، وحَفظ الدماء، وساهم في الإصلاح، وقدّم بجهاده الرائع، وصبره الفائق، مثالاً يُقتدى، ونبراسًا يُحتذى على مر العصور،

---

(1)تاريخ مدينة دمشق (13/ 288) .

(2) تهذيب الكمال للمزي (6/ 254).

(3) الاستيعاب (1/ 116) أسد الغابة (1/ 262)، والبداية والنهاية (11/ 211).

(4) البداية والنهاية (11/ 211).

وتوالي الدّهور، إنّه بحقٍ.. سيد شباب أهل الجنّة .

حال الحسين بعد موت أخيه رضي الله عنهما :

نزلت بالحسين رضي الله عنه أكبر فاجعة حين فارقه أخوه، الذي كان ينعم عليه بعقله الواسع، وعبقريته الفذة، وسماحته، وطلاقة وجهه، وكان كل واحد منهما للآخر كالأب الحنون، فارق من تغشاه عطفه، وأسبغ عليه بشفقته، ولم يختزل بالأمر دونه، فارق من كان يسدل إليه النصح، ويثري عقله بالخبرة، تربيا جميعًا في حضن فاطمة، لعبا على ظهر جدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ترعرعا في كنف علي.

في رَوض فاطمة نـما غُصنان لم ... ينجبْهما في النَّيرات سواها

فأمير قافلة الجهادِ وقطْبُ دا ... ئرةِ الوئام والاتّحاد ابناها

بعد أن صعدت روح الحسن إلى الله، ودفنه الحسين رضي الله عنه وقف على قبره فقال هذه الكلمات بتوجع وتأوه، وحزن؛ لشدة ما نزل به: «رحمك الله أبا محمد، إن كنت لتناصر الحق مظانه، وتؤثر الله عند مداحض الباطل في مواطن التّقية بحسن الرَّوية، وتستشف جليل معاظم الدنيا بعين لها حاقرة، وتفيض عليها يدا طاهرة، وتردع بادرة أعدائك بأيسر المؤنة عليك، وأنت ابن سلالة النبوة، ورضيع لبان الحكمة، وإلى روح وريحان وجنة نعيم أعْظمَ الله لنا ولكم الأجر عليه، ووهب لنا ولكم السلوة وحسن الاتساء عليه»[1].

وبعد أن دُفن الحسن بن علي رضي الله عنهما ، وقف على قبره كذلك أخوه لأبيه محمد بن علي رضي الله عنهما فقال: «يرحمك الله يا أبا محمد، فإن عزّت حياتك لقد هزَّت وفاتك، ولنعم الروح روحٌ تضمنه بدنك، ولنعم البدن بدنٌ تضمنه كفنك، وكيف لا يكون

(1) مختصر تاريخ دمشق (صـ910).

هكذا، وأنت سليل الهدى، وحليف أهل التقى، وخامس أصحاب الكساء، غذّتك بالتقوى أكف الحق، وربيت في حجر الإسلام، ورضعت ثدي الإيمان، وطبت حياً وميتاً، وإن كانت أنفسنا غير طيبة بفراقك، فلا نشك في الخيرة لك يرحمك الله» ثم انصرف عن قبره[1].

وتمثل قائلاً:

أأدهُنُ رأسي أم تطيبُ مجالسي	**وخدكَ معفور وأنتَ سليبُ؟!**
أأشْرَب ماء المزن من غير مَائِه	**وقد ضمن الأحشاء منك لهيب؟**
سأبكِيكَ ما ناحَ الحمامُ بأيكةٍ	**وما اخضَرـ في أرضِ الحجازِ قضيبُ**
غريباً وأكنافُ الحجازِ تحوطُه	**ألا كُل ما تحتَ الترابِ غريبُ.**

وكان الحسين رضي الله عنه بعد موت أخيه يهتم بأولاده ويحوطهم ويرعاهم، ويعطف عليهم، فهو يرى نفسه كأبيهم، كما ذكر أن الحسن بن الحسن رضي الله عنه خطب من عمه الحسين، فقال له عمه: يا ابن أخي، قد انتظرت هذا منك انطلق معي، فخرج معه حتّى أدخله منزله ثمّ أخرج إليه ابنته فاطمة وسكينة، وقال له: اختر أيّهما شئت، فاختار فاطمة، فزوّجه إيّاها[2].

الحسين في خلافة معاوية رضي الله عنهما :

كما ذكرنا سابقًا بأنّ معاوية رضي الله عنه كان يبعث للحسن والحسين بالجوائز، إضافة

---

(1) انظر تهذيب الكمال (2/ 600-601) والبداية والنهاية (8/ 43-44) وانظر تاريخ دمشق(14/ 107-111)

(2) أخبار النساء لابن الجوزي (ص43).

إلى احترام معاوية وإجلاله لهما، فربما أجاز الحسن بأربعمائة ألف درهم، وراتبه في كل سنة مائة ألف، وبعد وفاة الإمام الحسن، لم يقطع الحسين رضي الله عنه تلك الزيارة، بل كان يفِد على معاوية رضي الله عنه في كل عامٍ فيعطيه ويكرمه[1]، ويقول له معاوية إذا لقيه: مرحباً بابن رسول الله وأهلاً، ويأمر له بثلاثمائة ألف[2]. وقد بقيَ الحسين رضي الله عنه موفيًا بعهده وبيعته لمعاوية رضي الله عنه، فلم ينزع يدًا من طاعة .

ولما قصد معاوية رضي الله عنه مكة من منطقة «مُر»، قال لصاحب حرسه: «لا تدع أحداً يسير معي إلا من حملته أنا»، فخرج يسير وحده، حتى إذا كان وسط الأراك، لقيه الحسين رضي الله عنه، فوقف وقال: «مرحبا وأهلاً بابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيد شباب المسلمين، دابة لأبي عبد الله يركبُها»، فأتي ببرذون فتحوَّل عليه[3].

وهكذا ظلّ معاوية رضي الله عنه محترماً للحسين ومُعظماً له بعد موت أخيه الحسن رضي الله عنهم أجمعين، ومشفقًا عليه لأنه يدرك مكانته، ويعلم منزلته من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومحبته في صدور الناس. وهذا ليس ببعيدٍ على معاوية رضي الله عنه، الذي كان يقدّم بني هاشم ويجلّهم في كل الأمور، عملاً بالشرط الذي شرطه الحسن عليه لما تنازل له عن الخلافة[4] .

ولم يرَ الحسين طول حياة معاوية منه سوءًا في نفسه ولا مكروها، ولا قطع عنه شيئا مما كان شرط له، ولا تغيّر له عن برٍّ[5]، فقد عاش الحسين رضي الله عنه في ظلّ خلافة

(1) البداية والنهاية (8/ 161)، وانظر كذلك: جلاء العيون للمجلسي والكافي في الفروع.

(2) الشريعة للآجري (5/ 171)

(3) تاريخ الإسلام للذهبي (1/ 519)

(4) الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري (ص 218)

(5) الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري، (ص225)

معاوية رضي الله عنه ما يقارب العشرين عامًا، فكانت العلاقة بينهما، يسودها التقدير والاحترام، إلا ما كان في أواخر خلافة معاوية من تولية ابنه يزيد، والذي سنذكر تفصيله قريبًا.

مكاتبة أهل الكوفة للحسين رضي الله عنه :

عندما علم أهل الكوفة بوفاة الإمام الحسن رضي الله عنه، بدؤوا بمراسلة الحسين رضي الله عنه، يطلبون منه خلع بيعة معاوية رضي الله عنه، والخروج عليه! إلا أنّ الحسين رضي الله عنه لم يستجب لهم إلى ما دعوه إليه، وكتب لهم بذلك[1]، فلمّا وصل خبر أهل الكوفة إلى معاوية بن أبي سفيان، كتب إلى الحسين يستعتبه، فكتب إليه الحسين: «أتاني كتابك، وأنا بغير الذي بلغك عني جدير، والحسنات لا يَهدي لها إلا الله، وما أردتُ لك محاربة ولا عليك خلافًا» فقال معاوية: «إن أثرنا بأبي عبد الله إلا أسداً»[2].

نعم.. كيف لأبي عبد الله رضي الله عنه أن يخالف سنّة جدّه صلى الله عليه وآله وسلم ؟ الذي قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني»[3]، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾[4]. فالحسين رضي الله عنه يعلم يقينًا وجوب طاعة الخليفة في المعروف ; لأنه بهذه الطاعة تستقيم أمور الأمة، ويحصل الأمن والاستقرار، ويأمن الناس من الفتنة، وكيف للحسين أن يخون أخاه الحسن رضي الله عنه ؟ المخطّط للمشروع

---

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد (1/ 349).

(2) الطبقات الكبرى لابن سعد، الطبقة الخامسة (1/ 440)

(3) البخاري (6718) مسلم (1835).

(4) [النساء:59].

الإصلاحيّ العظيم، الذي به وحّد الأمة، بعد سنين من القتال والخلاف والشقاق، فهل يتوقّع من الحسين أنّه بمجرّد وفاة أخيه الحسن ﷺ، تشرئبّ عنقه للخلافة، ولا يبالي بدماء المسلمين، فيشقّ عصا الطاعة، ويخلع بيعته؟ أبدًا، قال رَسُولِ اللهَّ ﷺ: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم. قيل: يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة وإذا رأيتم من ولاتكم شيئًا تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يدًا من طاعة»[1].

اشتغال الحسين بتدريس العلم الشّرعيّ في مسجد رسول الله ﷺ:

أخُو العِلْم حُي خالدٌ بعد مَوْته — وأوصالُه تحتَ التُّرابِ رمِيمُ

وذُو الجهل مَيْتٌ وهو ماشٍ على — يُظنُّ من الأحْياء وهو عَديمُ

من الأعمال التي قام بها الحسين ﷺ بعد صلح الحسن ﷺ، أنه كان يدرس ميراث رسول الله ﷺ في مسجد المدينة، فعن أبي سعيد الكلبي قال: «قال معاوية لرجلٍ من قريش: إذا دخلت مسجد رسول الله ﷺ ، فرأيت حلقة فيها قومٌ كأنّ على رؤوسهم الطير، فتلك حلقة أبي عبد الله ﷺ، مؤتزرًا على أنصاف ساقيه، ليس فيها من الهُزّيلا[2] شيء»[3]

أي يلبس الإزار حتى أنصاف ساقيه، وفيه إشارةٌ إلى شدّة حرصه على سنّة جدّه رسول الله ﷺ.

---

(1) مسلم (1855).

(2) يعني: ليس فيها من المزاح والهذيان، وعمل اللعابين.

(3) تاريخ دمشق (14/ 179)

وكان الحسين رضي الله عنه يعلّم النَّاس أمور دينهم من الصلاة والحج والصيام، وغيرها من أمور الدين، ولم يختزل شيئا علمه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد أثرت عنه بعض الفتاوى ، تدلُّ على سعة علمه وفقهه، إذ كان الحسين رضي الله عنه يعد من مراجع الفتيا في زمنه، فقد كان يرجع إليه بعض علماء الصحابة في بعض المسائل الشرعية، وكان ممن سأله عبد الله بن الزبير، فسأله عن فِكاك الأسير؟ فقال: «على القوم الذين أعانهم، وسأله عن الشرب قائما؟ فدعا بلقْحةٍ له فحلبَ وشرب قائماً، وناوله»[1].

وكان من تمام فقهه رضي الله عنه ورجاحة عقله، يصلي خلف مروان ـ مع خلافه معه ـ، ولا يعيدها، ويعتدّ بها[2].

ومن أعظم ما يدل على سمو أخلاق الحسين، وعلو قدره، واتباعه لهدي جدّه صلى الله عليه وآله وسلم ، وفضله وعلمه، أنه لما تُوفيَ أخوه الحسن ، دفع الحسينُ سعيدَ بن العاص والي المدينة ليصليَ عليه وقال: «تقدَّم، فلولا أنها السنة ما قدمتك»[3].

هكذا كان الحسين رضي الله عنه الغصن المثمر، والسبط المزهر، يُعلِّم ويتَعلَّم، وينشر هدي جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بحلمٍ وحكمة، وعلمٍ وفهم، وفقهٍ ومعرفة، ف رضي الله عنه وأرضاه، وأعلى الله في الآخرة مثواه، سليل الأشراف، وسيد الأفاضل، وابن الزهراء، بنت صاحب الحوض واللواء، محمد صلى الله عليه وآله وسلم سيد الأنبياء.

---

(1) الاستيعاب لابن عبد البر (ص:118).

(2) البداية والنهاية (8/ 285)

(3) رواه الطبراني في الكبير(3/ 163) والحاكم في المستدرك (3/ 187) وقال الحاكم: «حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (3/ 48): «رجاله موثقون».

غزو القسطنطينية :

لم يقعد الحسين رضي الله عنه بعد فراق أخيه ، بقدر ما شدَّ مئزره ، وشمَّر عن ساعد الجدّ ، وبدأ يحلِّق في الآفاق مجاهدًا .. ولضرب أعداء الإسلام مساندًا .. فعندما نادى معاوية رضي الله عنه بغزو القسطنطينية ، ما كان من الحسين رضي الله عنه إلا تلبية ذلك النداء ، شارك الحسين رضي الله عنه في هذه الغزوة بروحه وجسمه ، لإعلاء كلمة لا إله إلا الله، معه جمعٌ من كبار الصحابة رضي الله عنهم . **فما قصّة هذه الغزوة ؟**

كان معاوية رضي الله عنه يدرك بأنّ أعداء الإسلام لن يقفوا مكتوفي الأيدي ، بل سيسعون إلى القضاء على الدولة الإسلاميّة ومحاربتها ، خاصة بعد سلسلة من الفتوحات والانتصارات في عهد الخلفاء الراشدين ، وكان معاوية يرى أنَّ « الدولة البيزنطيَّة » هي الخطر الأكبر على المسلمين ، فعاصمتها قويّة ، وإمكانياتها كبيرة، وقدرتها على المقاومة هائلة، وهي لم تكف بعد عن مناوأة المسلمين ! وباختصار فهي العدو الرئيسي والخطر الأكبر الماثل أمام المسلمين !

أولاً : التخطيط للاستيلاء على القسطنطينية:

بما أنّ « القسطنطينية » هي التي تمد جزر شرق البحر المتوسط بالقوات والعتاد ، وتشجِّع أهلها على شن الغارات على ساحل مصر والشام، فقد حرص معاوية رضي الله عنه على وضع خطة للاستيلاء عليها من خلال :

1. الاهتمام بدور صناعة السفن في مصر والشام .
2. تقوية الثغور البحرية في مصر والشام ، وتطوير الأسطول البحري ليكون قادراً على دك معاقل القسطنطينية عاصمة الروم .
3. الاستيلاء على الجزر الواقعة شرقي البحر المتوسط .

4. تحصين أطراف الشام الشمالية، التي تشكل مناطق الحدود بين الدولتين الإسلامية والبيزنطية .

كان هذا التخطيط الاستراتيجيّ المتقن ، بمثابة محاولةٍ للضغط على الدولة البيزنطية من خلال الضغط على عاصمتها القسطنطينية تمهيداً للاستيلاء عليها ، فهذه العاصمة العتيدة هي مركز أعصاب الدولة ومستقر الأموال والرجال، وفيها العقول المفكِّرة، فإذا سقطت في يد المسلمين ، فإن هذا سيؤدي إلى شللٍ كاملٍ في الدَّولة كلها .

ثانياً : الحصار الأول للقسطنطينية :

بعث معاوية ﷺ سنتي 47 ـ 48هـ سرايا من قواته لتغير على الأراضي البيزنطية ، لتمهد الطريق في سبيل الوصول إلى القسطنطينية [1]، كما وصل الأسطول الإسلامي إلى خلقيدونية ـ ضاحية من ضواحي القسطنطينية على البر الآسيوي ـ وحاصرها ، توطئة لاقتحامها ، ولكن انتشار مرض الجدري وفتكه بكثير من جند المسلمين ، علاوةً على حلول الشتاء القارص ، جعل ظروف الجيش المحاصر صعبة للغاية، واشتد الأمر على المسلمين ! فما كان من قائد الجيش البري : (فضالة بن عبيد الليثي) ، إلا أن استنجد بمعاوية طالباً منه أن يمدَّه بقواتٍ إضافية .

هنا .. أرسل معاوية ﷺ مدَداً من الجيش بقيادة ولده يزيد عام 49 هـ ، وانضمّ لهذا الجيش جمعٌ من عظماء الصحابة، أمثال: عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبو أيوب الأنصاري، وعبد الله بن عباس، وأبو شيبة الخُدري .. ﷺ ، ومعهم الحسين ﷺ [2] !

---

(1) تاريخ الطبري (6/ 145) .

(2) تاريخ الطبري (6/ 148) ، (5/ 232)، تاريخ دمشق (14/ 111) ، تاريخ الإسلام للذهبي (5/ 104) ، البداية والنهاية لابن كثير(8/ 161) .

لماذا حرص الصَّحابة ﷺ على المشاركة في هذه الغزوة ؟

كان هذا الجيش الإسلاميّ أول جيشٍ يغزو بلاد الرّوم 49هـ [1] ، ويدقُّ أبواب القسطنطينية عاصمتهم ، وقد ثبت في الصحيح من قول الرسول ﷺ : (أول جيشٍ من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفورٌ لهم) [2] ، فكان غزو القسطنطينية يعدّ من دلائل النبوّة ، لذا شارك فيها كثيرٌ من الصّحابة طلبًا للمغفرة التي بشّر بها رسول الله ﷺ .

ثالثاً : مجريات الحصار والقتال :

خرج الصحابة ومن معهم من المدينة المنورة ، مارّين بـ «**دمشق**» ، ثمّ اجتازوا مدينة «**حلب**» [3]، حتى وصلوا إلى «**خلقيدونية**» ، مجاهدين مقاتلين ، وانضموا إلى الجيش المرابط هناك، وزحفوا جميعهم نحو «**القسطنطينية**» ، وعسكروا خلف أسوارها ضاربين عليها الحصار حوالي ستة أشهر ـ من الربيع إلى الصيف ـ ، وكان يتخلل هذا الحصار اشتباكات بين قوات الجيشين ، وأبلى الجيش الإسلاميّ في هذا الحصار بلاءً حسناً وأظهر صورًا من الشجاعة والإقدام .

وكادت القوات الإسلامية أن تحرز انتصاراً ، لولا أنها واجهت صعوبات جمة منها :

1. الشتاء الشديد الذي صاحبه البرد القارص والمطر الغزير !
2. نقص الطعام والأغذية .

---

(1) تاريخ الطبري (5/ 232) . وقيل سنة 51 هـ ، انظر : البداية والنهاية (8/ 161) .

(2) أخرجه البخاري (2766) .

(3) بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ص21.

3. تفشي الأمراض بين أفراد الجيش ، بسبب الظروف السابقة .

4. مناعة أسوار مدينة القسطنطينية الشاهقة والمنيعة ، التي حالت بينهم وبين دخولها ، حيث أنّ لها سبعة أسوار ، وسمك سورها الكبير أحد وعشرون ذراعًا ! وفيه مائة باب !

5. إضافة إلى النار التي فتحها الروم المتحصنون بأسوار القسطنطينيّة على جيش المسلمين ، فقد أحرقت النار كثيراً من سفن المسلمين [1].

فهذه الصُّعوبات كان لها أثرها الكبير في تراجع المسلمين، وإجبارِهم على العودة إلى بلاد الشام [2].

رابعاً : ما أنجزه المسلمون في هذه الغزوة :

كان من الطبيعيّ أن يعود جيش المسلمين إلى بلاد الشام ، بعد أن خسروا كثيرًا من الجند والسّفن ، لكنّهم حقّقوا هدفًا بعيدًا وهو : زرع الخوف في قلوب الرّوم ! إضافةً إلى أنّهم استطاعوا إيصال رسالةٍ إلى الرّوم ، بأنّ عاصمتهم «القسطنطينية» صارت هدفًا للمسلمين إن آجلاً أم عاجلاً [3].

---

(1) الأمويون ، محمد سيد الوكيل (1/ 59) بتصرف .

(2) الكامل في التاريخ (6/ 480) ، خلافة معاوية للعقيلي صـ110 .

(3) ولم يمنع فشل الحملة الأولى معاوية بن أبي سفيان عن المضي قدمًا في محاولاته لفتح القسطنطينية ، وأدرك أهمية السيطرة على الجزر القريبة منها كعامل مساعد ، فبعد جزيرتي : قبرص وكوس ، فتح المسلمون جزيرة رودس عام 52 هـ ، وجزيرة خيوس ، وكما سيطروا على أزمير وليكيا وقليقيا ، وبذلك استطاع معاوية أن يحكم الحصار البحري على العاصمة البيزنطية . ثمّ في عام 54 هـ بدأ الحصار الثاني للقسطنطينية ! الخلافة الأموية لعبد المنعم الهاشمي ص 41 .

* وفاة أبي أيوب الأنصاري[1] في حصار القسطنطينية :

كان أبو أيوب رضي الله عنه عندما خرج في غزوة القسطنطينية قد تقدمت به السن وأصبح شيخاً كبير ، وكان يقول : قال الله تعالى : (**انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا** ...) (التوبة:41) لأجدني إلا خفيفاً أو ثقيلاً [2].

وكان أبو أيوب رضي الله عنه في هذه العزوة يعلّم الناس الفهم الصحيح للآيات القرآنيّة ، فعندما التقى جيش المسلمين بجيش الرّوم ، وحمي الوطيس ، حمل أحد المسلمين على العدو ، وألقى بنفسه بينهم ، يضرب هذا ، ويصرعُ ذاك ، فقال الناس : مه مه ، لا إله إلا الله، يلقي بيديه إلى التهلكة ! فقال أبو أيوب: إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما نصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأظهر الإسلام ، قلنا : هلمَّ نقيم في أموالنا ونصلحها، فأنزل الله تعالى : (**وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**) (البقرة : 195) فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد[3]. فبذلُ النّفس والنفيس في سبيل الله ليس من التهلكة في شيء ، إنّما الهلاك الحقيقي هو هلاك الآخرة ! بسبب التهاون في واجبات الإسلام .

---

(1) هو خالد بن زيد بن كليب، أبو أيوب الأنصاري الخزرجي، شهد بدراً والعقبة والمشاهد كلها، وشهد مع علي رضي الله عنه قتال الخوارج ، وهو مضيف رسول الله ، ففي داره كان نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين قدم المدينة مهاجراً من مكة ، فأقام عنده شهراً حتى بنى المسجد ومساكنه حوله، ثم تحوَّل إليها ، وقد وفد أبو أيوب على عبد الله بن عباس لما كان والياً على البصرة في عهد علي، فبالغ في إكرامهِ، وقال لأجزينَّك على إنزالك النبي صلى الله عليه وسلم عندك، فوصله بكل ما في المنزل فبلغ ذلك أربعين ألفاً، وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبي أيوب ومصعب بن عمير رضي الله عنهما . وكانت وفاته ببلاد الروم قريباً من سور قسطنطينية .

(2) سكب العبرات للموت والقبر والسكرات (1/ 175) .

(3) سنن أبي داود رقم 2512 ، سنن الترمذي رقم 2972 .

وهكذا ظلّ أبو أيوب يجاهد في سبيل الله على أسوار القسطنطينيّة ، حتى نزل به المرض ، فأقعده ، وأوصى بأنّه إن مات يدفن في أقصى نقطة من أرض العدو ! قائلاً : (إذا متُّ فاحملوني، فإذا صافقتم العدوَّ، فارموني تحت أقدامكم . أما إني سأحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ يقول : من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة) [1]. وهذه الوصيّة تعدُّ صورة رائعة تدل على تعلق هذا الصحابيّ بالجهاد، فيكون بين صفوف المجاهدين حتى وهو في نعشه ، محمولاً على أعناقهم ، متوغلاً في أرض العدو حياً وميتاً، وكأنما لم يكفِهِ ما حقَّق في حياته من إنجازات ، فتمنّى المزيد بعد مماته، وهذا ما لا غاية بعده ! [2].

ولمّا مات أبو أيوب رضي الله عنه ، دفنه المسلمون عند سور القسطنطينية، وقالت الروم لمن دفنه : يا معشر العرب قد كان لكم الليلة شأن . قالوا: مات رجل من أكابر أصحاب نبينا ، والله لئن نُبش، لا ضُرِبَ بناقوسٍ في بلاد العرب ! [3]. فما تعرّض لقبره أحدٌ بعدها إلى الآن !

وصف معاوية رضي الله عنه لبعض مكارم الحسين رضي الله عنه :

كان الحسين رضي الله عنه يتخلق بأخلاق جده رسول الله ﷺ متبعا لهدي القرآن، ولقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى

---

(1) سير أعلام النبلاء (2/ 412) إسناده قوي .

(2) الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري ، حسين المصري صـ68 ، بتصرف .

(3) سير أعلام النبلاء (2/ 412) ، وفي رواية أنّ يزيد بن معاوية لّما بلغه عن صاحب الرّوم من عزمه على نبش قبر أبي أيوب رضي الله عنه ورميه للكلاب ، قال : « إن فعل ذلك ما نترك قبرًا من قبور النصارى في بلادنا إلا نبشناه ، ولا كنيسةً إلا خرّبناها » فعند ذلك خاف صاحب الرّوم ! انظر : آثار البلاد وأخبار العباد ص 606 .

﴿ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾[1]، فكان يعطف على أيتام المسلمين، ويخص أيتام من مات مع أبيه رضي الله عنه، ويهتم بشؤونهم، فشهد له معاوية رضي الله عنه بهذه المكرمة، ومدحه على هذا الخلق، ففي خبر طريف يتحفنا به ابن قتيبة قال: «لما قدم معاوية المدينة منصرفاً من مكة بعث إلى الحسن والحسين، وعبد اللهّ بن جعفر، وعبد اللهّ بن عمر، وعبد اللهّ بن الزّبير، وعبد اللهّ بن صفوان بن أميّة، بهدايا من كسىً وطيبٍ وصِلاتٍ من المال، ثم قال لرسله: ليحفظ كلّ رجلٍ منكم ما يرى ويسمع من الردّ، فلما خرج الرسل من عنده، قال لمن حضر: إن شئتم أنبأناكم بما يكون من القوم. قالوا: أخبرنا يا أمير المؤمنين، قال: أمّا الحسن فلعله ينيل نساءه شيئاً من الطّيب، ويهب ما بقي من حضره ولا ينتظر غائباً، وأما الحسين فيبدأ بأيتام من قتل مع أبيه بصفّين، فإن بقي شيء نحر به الجزر، وسقى به اللبن ... وقال معاوية عن الآخرين أقوالاً تتوافق مع أحوالهم، ولما رجع رسل معاوية من عندهم، قالوا بنحوٍ مما قال معاوية رضي الله عنه»[2].

(1) [البقرة:177].

(2) عيون الأخبار لابن قتيبة (ص293).

الباب الثالث عشر:

الحسين رضي الله عنه في عهد يزيد بن معاوية

ذكرنا سابقًا أنّ الحسين رضي الله عنه لم يرَ طول حياة معاوية منه سوءًا في نفسه ولا مكروهًا، ولا قطع معاوية عنه شيئًا ممّا كان شرط له، ولا تغيّر له عن برٍّ[1]، فقد عاش الحسين في ظلّ خلافة معاوية ما يقارب العشرين عامًا، فكانت العلاقة بينهما يسودها التقدير والاحترام، إلا ما كان في أواخر خلافة معاوية، عندما دعا معاوية الناس إلى بيعة ابنه يزيد خليفةً من بعده، سنة 56 هـ[2].

أسباب ترشيح معاوية لابنه يزيد:

1- **ظنّه بأنّه أهلٌ للخلافة**: قال ابن كثير: « لما مات الحسن قوي أمر يزيد عند معاوية، ورأى أنه لذلك أهلٌ، وذاك من شدة محبة الوالد لولده، ولما كان يتوسّم فيه من النجابة الدنيوية، وسيما أولاد الملوك، ومعرفتهم بالحروب وترتيب الملك والقيام بأبهته، وكان ظن أن لا يقوم أحد من أبناء الصحابة في هذا المعنى»[3].

ومع ما ظهر على يد يزيد بعد ذلك في خلافته من الظلم والأخطاء الجليّة الواضحة، إلا أنّ يزيد كان يتّصف ببعض الصفات التي شجّعت معاوية على جعله ولياً للعهد، قال الذهبي في ترجمة يزيد: «كان قوياً شجاعاً، ذا رأي وحزم، وفطنة

---

(1) الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري، (ص225)

(2) كما صرّح بذلك الطبري (6/ 219)، وابن الجوزي في المنتظم (5/ 285)، وابن الأثير الكامل في التاريخ (2/ 508)، وابن كثير في البداية والنهاية (11/ 305)، إلا أنّ خليفة بن خياط ذكر في تاريخه (ص:213)، والذهبي في تاريخ الإسلام أنّه كان في سنة 51هـ.

(3) البداية والنهاية (8/ 80).

وفصاحة»[1]، وقال ابن كثير: «وكان يزيد فيه خصال محمودة: من الكرم والحلم، والفصاحة والشعر، والشجاعة وحسن الرأي في الملك»[2]، ولا شك أنّ الصحابة وأبناءهم أفضل من يزيد وأصلح، لكن ربما ظنّ معاوية أنّ هذه الصفات كافية ليكون يزيد صالحاً للخلافة، وأنّ في ولده يزيد مقدرة ليست عند غيره في قيادة الأمة، بسبب عيشته المتواصلة مع أبيه، ومناصرة أهل الشام وولائهم الشديد له، ثم اطلاعه عن قرب على معطيات ومجريات السياسة في عصره.

2 – محاولته الحفاظ على وحدة الأمة:

من خلال استعراض الخطوات التي سلكها معاوية ﷺ لترشيح ابنه يزيد، وخاصةً أثناء رحلته الأخيرة للحجّ، يظهر أنّه كان حريصًا على الإسراع في أخذ البيعة ليزيد؛ بسبب خوفه من الاختلاف[3] الذي قد يطرأ على الأمة بعد موته، وربما ينخرط المسلمون في قتالٍ جديدٍ لا يعلم سعته ومداه إلا الله ﷻ، حيث صرّح بذلك معاوية ﷺ عندما خاطب ابن عمر ﷺ قائلاً: «إني أرهب أن أدع أمة محمدٍ ﷺ بعدي كالضأن لا راعي لها»[4]، ولذلك عمل على اختيار من يخلُفه، واستقرّ أمره على اختيار ابنه يزيد، لأنه رأى أنّه المرشح الذي سيحظى بتأييد أهل الشام، الذين يمثّلون العامل الأقوى في استقرار الدولة. وعلى كل حالٍ فمعاوية ﷺ اجتهد، إلا أنّه لم يكن مصيباً في تولية يزيد لولاية العهد!

---

(1) سير أعلام النبلاء (4/ 37).

(2) البداية والنهاية (11/ 646).

(3) دراسات في النظم (صـ41). د. توفيق اليوزكي.

(4) تاريخ الطبري (6/ 222).

الخطوات التي اتبعها معاوية لبيعة يزيد:

1 ـ **المشاورات**: لقد شاور معاوية رضي الله عنه في أمر تولية ابنه يزيد أحد أقرب الناس إليه، وهو: زياد بن أبيه والي العراق، فنصحه بالتؤدة وألا يعجل، فقبل ذلك معاوية رضي الله عنه[1]. وهذا يؤكد أنّ معاوية رضي الله عنه كان يدرك أنه يُقدم على أمر خطير لم يسبق إليه، ولهذا اصطفى زياداً للاستشارة، وزياد هو الذي قال عنه الأصمعي: «الدهاة أربعة: معاوية للروية، وعمرو بن العاص للبديهة، والمغيرة بن شعبة للمعضلة، وزياد لكل صغيرة وكبيرة»، وقد أشار عليه زياد بالتؤدة فقبل، ولهذا لم يُقدم معاوية على هذا الأمر الخطير إلا بعد وفاة زياد، قال الطبري: «لما مات زياد، دعا معاوية بكتابٍ فقرأه على الناس باستخلاف يزيد، إن حَدَثَ به حَدَثُ الموت، فيزيدُ ولي عهدٍ، فاستوثق له الناس على البيعة ليزيد[2]، غير خمسة»[3].

2 – **الحملات الإعلامية:**

ومن التمهيدات الإعلامية التي قدمها معاوية رضي الله عنه لابنه يزيد: توليته أميراً على الجيش الذي وجهه إلى غزو القسطنطينية، وبعد أن رجع من الغزو ولاه إمارة الحج.

3 – **أخذ بيعة أهل الشام ليزيد:**

لم يكن أهل الشام يستغربون فكرة توريث الخلافة، كما كان يستغربها أهل الحجاز، فقد عهدوها من قبل إبان حكم البيزنطيين لهم، فاستجاب أهل الشام لرغبة معاوية في تولية يزيد ولياً لعهده من بعده، وكان ذلك بعد رجوع يزيد من غزوة

---

(1) تاريخ الطبري (6/ 221).

(2) استوثق له الناس: اجتمعوا على رأيه.

(3) تاريخ الطبري (6/ 221).

القسطنطينية، وقد أدى طرح هذه الفكرة إلى قبول وإجماع من أهل الشام بالموافقة على بيعة يزيد، ولم يكن هناك أي معارض[1]، وقد أسهم أهل الشام فيما بعد في أخذ البيعة ليزيد من الأمصار الأخرى مثل الحجاز[2].

4 - بيعة الوفود:

عقد معاوية رضي الله عنه اجتماعاً موسعاً في دمشق، بعد ما جاءت الوفود من مختلف الأقاليم: من بلاد الشام، والبصرة، والمدينة المنورة، وغيرها، وكانت هذه الوفود تضم مختلف رجالات القبائل العربية، وعرض عليهم تولية ابنه يزيد، فتكلم كل زعيم من هؤلاء الزعماء ورحبوا بالفكرة وأثنوا عليها، وأكدوا أن هذه هي الطريقة الأصوب لحقن الدماء والحفاظ على الألفة والجماعة[3]، فحصلت المبايعة ليزيد بولاية العهد، إلا أنّ أهل المدينة لم يوافقوا على البيعة، وعارضوها بشدة، وأرسلوا عمرو بن حزم الأنصاري ممثّلاً عنهم، ولكن معاوية تقبّل الانتقاد وأجزل له العطاء[4].

5 - طلب البيعة من أهل المدينة:

مثلما أرسل معاوية رضي الله عنه إلى الأقاليم يطلب منهم البيعة ليزيد أرسل إلى المدينة يطلب من أميرها مروان بن الحكم أخذ البيعة ليزيد[5]، وقد جاء في كتاب معاوية إلى مروان: «.. إني قد كبرت سنّي، وخشيت الاختلاف على الأمة بعدي، وقد رأيتُ أن

---

(1) تاريخ خليفة (صـ211)، مواقف المعارضة في خلافة يزيد (صـ89).

(2) تاريخ فلسطين، هاني أبو الرب (ص:319، 320)، البيان والتبيين (1/ 392).

(3) مواقف المعارضة في خلافة يزيد (صـ90).

(4) مجمع الزوائد (7/ 248، 249) صحيح الإسناد.

(5) العقد الفريد (4/ 370، 372) مواقف المعارضة (صـ98).

أتخيّر لهـم مـن يقـومُ بـالأمر بعـدي، وكرهـتُ أن أقطـع أمـراً دون مشـورة مـن عنـدك، فاعرض عليهم ذلك، وأعلمني بالذي يردّون عليك» فقام مروان في الناس فـأخبرهم بما أراد معاوية، فقال الناس: «أصـاب معاويـة ووفّـق، وقـد أحببنـا أن يتخـيّر لنـا، فـلا يألوا»[1]، ولكن عندما ذكر في المرة التالية اسم يزيد امتنع أهل المدينة عن بيعته في بداية الأمر، فقام مروان فيهم خطيباً، فحضّ الناس على الطاعة وحـذرهم الفتنـة، ودعـاهم إلى بيعة يزيد، وقال مروان: «سُنَّة أبي بكر الراشدة المهديّة»، واستدل على ذلـك بولايـة العهد من أبي بكر لعمر، فردّ عليه عبد الـرحمن بـن أبي بكـر رضي الله عنه[2]، ونفـى أن تكـون هناك مشابهة بين هذه البيعة وبيعة أبي بكر وقال: «فقد ترك أبو بكر الأهـل والعشـيرة، وعمد إلى رجل من بني عدي بن كعب، إذ رأى أنه لذلك أهل فبايعه» ثم قـال: «هـذه البيعة شبيهة بيعة هرقل وكسرى». ثم حدث بينه وبين مروان نزاع[3].

ومما سبق نلاحظ أنّ مـروان بـن الحكـم لم يوفـق في المهمـة التـي كلفـه بهـا معاويـة رضي الله عنه، وعند ذلك قرر معاوية المجيء بنفسه إلى الحجاز ومعرفة موقف الصـحابة مـن هذه القضية المهمة، فجاء رضي الله عنه معتمراً في شهر رجب من سنة 56هـ[4]، فلما علم عبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير بقدوم معاوية خرجوا من المدينة، واتجهوا من المدينة إلى مكة[5]، فلما قدم معاوية المدينة خطـب النـاس وحـثهم عـلى البيعـة، وبـيّن أن

---

(1) المدينة في العصر الأموي (صـ88) نقلاً عن الكامل في التاريخ.

(2) مواقف المعارضة (صـ99)، مجمع الفوائد (5/ 241) إسناده حسن.

(3) مجمع الفوائد (5/ 241) إسناده حسن.

(4) البداية والنهاية (11/ 305).

(5) التاريخ الصغير للبخاري (1/ 103) إسناد حسن.

يزيد هو أحق الناس بالخلافة[1]، ثم قال: قد بايعنا يزيد فبايعوه[2]. وهكذا لم يبقَ ممّن امتنع عن بيعة يزيد إلا أربعة: عبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن الزبير، والحسين بن علي بن أبي طالب.

وبعد أن أخذ معاوية البيعة من أهل المدينة، توجّه إلى مكة لأداء العمرة، ولقاء هؤلاء المعارضين، فماذا حصل هناك؟

عبد الله بن عمر رضي الله عنه في مجلس معاوية رضي الله عنه :

لما قدم معاوية مكة، وقضى نسكه بعث إلى ابن عمر رضي الله عنه ، فقدم عليه، فتشهد معاوية وقال: «أما بعد يا ابن عمر، فإنّك قد كنت تحدّثني أنك لا تحبّ أن تبيت ليلةً سوداء وليس عليك أمير، وإني أحذرك أن تشقَّ عصا المسلمين، وأن تسعى على فساد ذات بينهم»، فردَّ ابن عمر على معاوية، وبيّن له كيف كانت طريقة بيعة الخلفاء الراشدين، وذكر له كيف أنّ لهم أبناء خير من يزيد، فلم يروا في أبنائهم ما يرى معاوية في يزيد، ثم بين له أيضاً أنه لا يريد أن يشقّ عصا المسلمين، وأنّه موافق على ما تجتمع عليه أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فأثلج هذا القول صدر معاوية رضي الله عنه وقال: «يرحمك الله»[3]. ويتضّح لنا أن ابن عمر رضي الله عنه اشترط حدوث الإجماع على بيعة يزيد حتى يعطيه البيعة.

عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما :

وخرج ابن عمر من مجلس معاوية، واستدعى معاوية رضي الله عنه عبدَ الرحمن بن أبي

---

(1) تاريخ خليفة (ص:213، 214) إسناده حسن.

(2) الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير (1/ 262) حسن مشهور.

(3) تاريخ خليفة (ص:214، 215) بسند صحيح.

بكر الصديق رضي الله عنه، فأخذ معاوية في الكلام، فقاطعه عبد الرحمن وردّ عليه بلهجةٍ شديدة، وذكر أنه يمانع بيعة يزيد، وطلب أن يكون الأمر شورى، وتوعّده بالحرب[1].

ثم قام، فقال معاوية: «اللهم اكفنيه بم شئت»[2].

عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما:

ثم استدعى معاوية ابنَ الزبير، وجرى الكلام بينهما حول تولية يزيد، فطلب ابن الزبير من معاوية أن يتنحى عن الإمارة إن كان ملّها، كما طلب من معاوية أن يضع يزيد خليفة بدلاً منه فيبايعه، ثم استدل على عدم موافقته على المبايعة، بما استنبطه من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم من أنه لا يجوز مبايعة اثنين في آن واحد[3]، ثم قال: «وأنت يا معاوية أخبرتني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا كان في الأرض خليفتان فاقتلوا أحدهما»[4].

الحسين بن علي رضي الله عنهما:

ومن الملاحظ أن الرواية السابقة لم تذكر الحسين بن علي، ضمن من استشارهم معاوية في بيعة يزيد، ولعل السبب يعود إلى أن معاوية أدرك العلاقة بين أهل العراق وبين الحسين، وأنهم كانوا يكتبون له ويمنّونه بالخلافة من بعد معاوية.

أسباب امتناع المعارضين عن بيعة يزيد:

ويتبين لنا من خلال الحوار الذي دار بين معاوية وبين المعارضين، كعبد الله بن

---

(1) تاريخ خليفة (ص:213، 214) بسند صحيح، مواقف المعارضة (ص:103).

(2) تاريخ خليفة (ص:214)، تاريخ أبي زرعة (1/ 229) بإسناد صحيح.

(3) تاريخ خليفة (ص:214) بإسناد حسن، حلية الأولياء (1/ 330، 331).

(4) المعجم الكبير للطبراني (19/ 314) مجمع الزوائد (5/ 198) قال الهيثمي: «ورجاله ثقات».

عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم، أنهم يمانعون البيعة لأسباب:

1. اعتراضهم على تولية يزيد، للعلاقة بين الأب والابن، بمعنى توريث الأبِ الخلافةَ لابنه ! وأنَّ هذه لم تكن طريقة الخلفاء الراشدين.

2. أنّ المجتمع الإسلامي يومَئذٍ كان فيه من هو أحقّ وأولى بالخلافة والبيعة من يزيد، في سابقته وعِلمه وعَمله ومكانته وصحبته، كعبدِ الله بن عمر، وابنِ عباس، وابنِ الزبير، والحسينِ، وعبدِ الرحمن بن أبي بكر الصديق، وغيرِهم، فأين الثرى من الثريا؟

3. مخالفة هذه البيعة للنصّ الصريح الذي ورد في الحديث النبوي، والذي لا يجيز البيعة لشخصين في آن واحد.

والملاحظ هنا: هو أنّ المعارضين لم يذكروا قدحاً في يزيد، وإلا كيف يمكن أن يتجاهلوا صفات يزيد التي اتهمّ بها فيما بعد: كفعل الفواحش، وشرب الخمور، وتضييع الصلوات .. الخ، وخاصةً في ذلك الموقف الذي يتطلَّبُ حشدَ أي دليلٍ في مقابل الخصم، ولما رأى معاوية رضي الله عنه أنّ أوجه الانتقادات لا تمسّ يزيد شخصياً، بل هي وجهات نظرٍ ارتآها المعارضون، ورأى معاوية خلافها، مضى لما أراد، خاصة وقد أتته بيعة الأقاليم كلّها.

ما الذي كان ينبغي لمعاوية رضي الله عنه فعله؟

هذا ما أدّى إليه اجتهاد معاوية رضي الله عنه .. فهل أصاب في اجتهاده ؟ أقول : كان بوسع معاوية رضي الله عنه أن يَطمئنَّ في حياته على اجتماع كلمة المسلمين في أمر الخلافة من

بعده ، فكان الأولى به رضي الله عنه أن يشكّل مجلسًا يضمّ رجالاً من أفاضل المجتمع الإسلامي وأعيانه في الشام والعراق وبلاد الحجاز وغيرها ، لا يكونون موضع ريبةٍ أو مطعن، يجعلهم موضع شورى، وتكون مهمّتهم اختيار رجلٍ من قريش يكون أهلاً للخلافة، يشهدُ له الناس بحسن السيرة والسياسة ، ككبار الصحابة الموجودين في تلك الفترة، وكان فيهم كفاءات لو أسند إليهم الأمر، فقد كان : الحسينُ بن علي، وعبدُ الله بن الزبير، وعبدُ الرحمن بن أبي بكر، وعبدُ الله بن عمر، وعبدُ الله بن عباس رضي الله عنهم موجودين في هذا الوقت ، إلا أنّ ذلك لم يحدث، بل أصبحت الحكومةُ مَلَكيةً بعد أن كانت خلافةً راشدة !

كما كان على معاوية رضي الله عنه الابتعاد عن ترشيح ابنه يزيد، لأن اختيار يزيد لم يكن أماناً من الاختلاف، ولذا وقع المحظور بعد وفاة معاوية رضي الله عنه ، فحصل القتال والشقاق، وسُفكت الدماء، ولا شك بأنّ الذي وقع إنّما وقع بسبب شخصية يزيد، واتباع الوراثة بديلاً من الشورى في اختيار الخليفة.

وعلى كل تقدير، فإنّا لا ننزّه معاوية رضي الله عنه ولا من هو أفضل منه من الذنوب، فضلاً عن تنزيهه عن الخطأ في الاجتهاد، بل نقول: إنّ للذنوب أسبابًا تدفع عقوبتها من التوبة، والاستغفار، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، وغير ذلك، وهذا أمر يعمُّ الصحابة وغيرهم [1]، ومعاوية رضي الله عنه من خيار الملوك الذين غلب عدلهم على ظلمهم، وما هو ببريءٍ من الأخطاء والهنات، والله يعفو عنه[2]، والذي يجب أن نعتقده في معاوية رضي الله عنه أنّ قلوبنا لا تنطوي على غلٍّ لأحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ،

---

(1) منهاج السنة (4/ 385) .

(2) سير أعلام النبلاء (3/ 156).

بـــل نقـــول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾[1] ونقـول بأن معاوية اجتهد للأمة خوفاً عليها من الانقسام والفتن ، ولا يمكن أن يحمل تبعات كل أخطاء الملوك والأمراء الذين جاؤوا من بعده !

وإذا كـان معاويـة رضي الله عنه قـد حـوّل الخلافـة مـن الشـورى إلى الملـك، فـإنّ حفيـدَه معاويةَ بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان – ثالثَ خلفـاءِ الأمـويين – قـد أعـاد الخلافـة من الملك إلى الشورى الكاملة[2]. وإنّ الإنصـاف يُلزمنـا أن نصـوغ القضـيةَ عـلى هـذا النحو، بدلاً من التركيز على الشق الأول الخاص بتوريث الخلافة فقط .

ومع ما وقع من انحرافٍ في تغيير النموذج الأعلى لنظام الحكم الإسلامي، الـذي تتمثـل فيـه روح الإسـلام كاملـة، وهـو الخلافـة، واسـتبدالها بالمُلـك، إلا أن الطـابع الإسـلامي كـان هـو الصـفة الغالبـة عـلى مظهـر الدولـة الأمويّـة وتصرـفات الحكـام، فالصلاة تؤدى في أوقاتها، والزكاة تحصَّل من أربابهـا، والصـوم فريضـةٌ لا يُعـارض في أدائها، وإقامةُ الحدود باقيـةٌ لم يقـف شيء دون تنفيـذها، والجهـاد في سـبيل الله فريضـة ماضيةٌ بين رجالها [3].

اللحظات الأخيرة في حياة معاوية رضي الله عنه :

وصية معاوية رضي الله عنه ليزيد:

---

(1) [الحشر:10].

(2) سير أعلام النبلاء (7/ 152) .

(3) الأمويون بين المشرق والمغرب (1/ 94 ، 95) .

لما حضر معاوية رضي الله عنه الموت وذلك سنة 60هـ وكان يزيد غائباً، دعا بالضحاك بن قيس الفهري - وكان صاحب شرطته - ومسلم بن عقبة المري، فأوصى إليهما فقال: «بلّغا يزيد وصيتي: انظر أهل الحجاز فإنهم أصلك، فأكرم من قدم عليك منهم، وتعهّد من غاب، وانظر أهل العراق، فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل، فإنَّ عزل عاملٍ أحبّ إليّ من أن تُشهِر عليك مائة ألف سيف، وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك، فإن نابك شيءٌ من عدوك فانتصر بهم، وإني لست أخاف من قريش إلا ثلاثة: حسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، فأما ابن عمر فرجل قد وقذه الدين، فليس ملتمساً قِبَلك، وأما الحسين بن علي فإنّ له رحماً ماسّة، وحقاً عظيماً، وقرابة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يُخرجوه، فإن قدرت عليه فاصفح عنه، فإني لو أني صاحبه عفوت عنه، وأما ابن الزبير فإنه خَبٌّ ضَبٌّ، فإذا شَخَص لك فالبد له، إلا أن يلتمس منك صلحاً، فإن فعل فاقبل، واحقِن دماء قومك ما استطعت»[1].

وتظهر في هذه الوصية فطنة معاوية رضي الله عنه ودهائه السياسي، من خلال تشخيصه لأهمية الأمصار، ومدى تأثيرها المستقبلي على أوضاع الدولة الأموية، كما كان معاوية رضي الله عنه مصيباً في رأيه بعبد الله بن عمر من أنه رجلٌ قد وقذه الدِّين، وهو أهل عبادةٍ وزهد، مترفّعٍ عن الإمارة والخلافة، كما كان معاوية رضي الله عنه مصيباً في حدسه من أهل العراق، من أنّهم لن يتركوا الحسين بن علي رضي الله عنه حتى يخرجوه، ويبدو أنه كان متأكداً من وقوع الاصطدام بين الحسين وبين يزيد، لذلك طلب من يزيد أن يعفوا عنه إذا تمكّن منه، أما الخطر الحقيقي والذي يتطلب الحزم والشدة فإنه يأتي من عبد الله بن

---

(1) تاريخ الطبري (6/ 241).

الزبير رضي الله عنه الذي كان يتمتع على ما يبدو بتأييد واسع النطاق بين معظم المعارضين للحكم الأموي، ولأنه كان رجل سياسة وحرب من الطراز الأول.

وكذلك وصية معاوية تعكس سياسته ودهاءه في تصريف الأمور، فنراه من خلال الوصية يتعامل مع الأحداث التي تتطلب الشدة بحزم، وفيما عدا ذلك فهو يستخدم خبرته وتجربته السياسية الطويلة في مواجهة الأحداث، وقد وصف معاوية نفسه مشيراً إلى هذه السياسة بقوله: «إني لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت أبداً. فقيل له وكيف ذلك؟ قال: إذا مدوها أرخيتها، وإذا أرخوها مددتها»[1]، وكان على الدوام يوصي يزيد بهذه السياسة فيقول له: «عليك بالحلم والاحتمال،حتى تمكنك الفرصة فإذا أمكنك فعليك بالصفح، فإنه يدفع عنك معضلات الأمور، ويقيك مصارع المحذور»[2].

اشتداد مرضه ووفاته:

عن عبد الأعلى بن ميمون عن أبيه: أن معاوية قال في مرضه الذي مات فيه: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كساني قميصاً فرفعته وقلَّم أظفاره يوماً فأخذت قلامته فجعلتها في قارورة فإذا متُّ فألبسوني ذلك القميص وقطِّعوا تلك القلامة واسحقوها وذُرُّوها في عيني وفي فيّ[3] فعسى الله أن يرحمنى ببركتها»[4]. قال الحسن البصري: «دُخل على

(1) نهاية الإرب (6/ 44) العقد الفريد (1/ 25).

(2) نهاية الإرب (1/ 256).

(3) فيّ: الفم.

(4) تاريخ الطبري (6/ 245).

معاوية وهو بالموت، فبكى، فقيل: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي على الموت أن حلّ بي، ولا على دنيا أخلفها، ولكن هما قبضتان: قبضة في الجنة، وقبضة في النار، فلا أدري في أي القبضتين أنا؟»[1]، وكان يقول لما نزل به الموت: «يا ليتني كنت رجلاً من قريش بذى طوى، ولم أَلِ من هذا الأمر شيئاً»[2].

وكان به النقابة[3]، فمات من يومه ذلك[4]، وجعل معاوية رضي الله عنه لما احتضر يضع خده على الأرض، ثم يُقلِّب وجهه، ويضع الخد الآخر ويبكي، ويقول: «اللهم إنك قلت في كتابك: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[5] اللهم اجعلني ممَّن تشاء أن تغفر له»، ومن دعائه في ذلك اليوم: «اللهم أقل العثرة، واعف عن الزلة، وتجاوز بحلمك عن جهل من لم يَرْجُ غيرك، فإنك واسع المغفرة، ليس لذي خطيئةٍ من خطيئته مهربٌ إلا إليك» ثم مات[6]. وجاء في رواية: «اللهم إني قد أحببتُ لقاءك فأحبب لقائي»[7]، رحم الله معاوية ورضي عنه.

سنة وفاة معاوية رضي الله عنه :

قال ابن حجر: مات معاوية في رجب سنة ستين على الصحيح[8]، وهو ابن ثمان

---

(1) كتاب المحتضرين (ص199)، سكب العبرات (1/ 190).

(2) البداية والنهاية (11/ 456).

(3) النقابة: قرحة تخرج في الجنب وتهجم الجوف.

(4) البداية والنهاية (11/ 456).

(5) [النساء:48].

(6) المصدر نفسه (11/ 457).

(7) تاريخ ابن خلدون (3/ 21).

(8) الإصابة (6/ 155).

وسبعين سنة، وكانت ولايته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوماً[1]، وصلى على معاوية: الضحاك بن قيس الفهري، وبعث البريد إلى يزيد بوجع معاوية. وقد اختلف المؤرخون هل حضر يزيد وفاة أبيه أم لا؟ والصحيح أن يزيد لم يدرك والده حياً، وإنما جاء بعد موته[2].

قال عامر بن مسعود الجهني: «مرّ بنا نعيُ معاوية ونحن في المسجد فأتينا ابن عباس فوجدناه جالساً وقد وضع خوانه[3] وعنده نفر ولم يوضع الطعام فقلنا: يا ابن عباس أما علمت بهذا الخبر؟ فقال: وما هو؟ قلنا: هلك معاوية. فقال: ارفع خوانك يا غلام وسكت ساعة هاجما[4] ثم قال: جبل تزعزع ثم زال بجمعه في البحر»[5].

بيعة يزيد بن معاوية :

كان يزيد غائباً حين توفّي معاوية رضي الله عنه، فلما حضر يزيد كان معاوية قد دُفِن، فتوجّه إلى الموضع الذي دُفن فيه، فصلّى عليه[6]، ثم دخل البلد، وأمر فنودي في الناس: إن الصلاة جامعة، فخطب في الناس أول خطبة له، وكان ممّا قاله لأهل الشام في هذه الخطبة: «.. إنّ معاوية كان يغزيكم في البحر، وإني لست حاملاً أحداً من المسلمين في البحر، وإن معاوية كان يشتيكم بأرض الروم، ولست مشتياً أحداً بأرض الروم، وإن معاوية كان يخرج لكم العطاء أثلاثاً، وأنا أجمعه لكم كله» فافترق الناس،

---

(1) المصدر السابق (6/ 243).

(2) تاريخ الطبري (6/ 246).

(3) الخوان: ما يوضع عليه الطعام عند الأكل.

(4) هاجماً: الهاجم: الساكن المطرق.

(5) تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان (ص113).

(6) البداية والنهاية (11/ 459).

وهم لا يفضّلون عليه أحدًا[1].

وفي هذه الخطبة شرح يزيد سياسته في قيادة الأمة، وبها استطاع أن يكسب قلوب أهل الشام، ولم يظهر له في الساحة حينها معارضٌ إلا الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما[2]، وكان لكلٍ منهما مع يزيد شأن، أما بقية الصحابة فقد بايعوا يزيد، رغبةً في جمع الكلمة، وحفظاً لوحدة الأمة، وخوف الفتنة، مثل عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن الحنفية[3]، أما أهل الشام والعراق وغيرها من الأقاليم فقد بايعوا، وكانت المعارضة ليزيد في أهل الحجاز، يتزعّمها الحسين بن علي وابن الزبير.

تولى يزيد الأمر بعد أبيه في رجب سنة 60هـ، فأقرّ عمال أبيه على ولاياتهم، فكان على المدينة: الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وأمير مكة: عمرو بن سعيد بن العاص، وأمير الكوفة: النعمان بن بشير، وأمير البصرة: عبد الله بن زياد[4].

وكان شغلُ يزيدَ الشاغل أوّل ما تولّى الخلافة: أخذ البيعة من الذين عارضوا بيعته في حياة أبيه، وكان أهمهم عنده: الحسين بن علي، فكتب يزيد إلى أمير المدينة الوليد بن عتبة كتاباً يخبره فيه بوفاة معاوية رضي الله عنه، إلا أنّ الوليد بن عتبة بن أبي سفيان تساهل في أخذ البيعة من الحسين وابن الزبير، لأنه كان رجلاً رفيقاً كريماً يحبّ العافية[5]، كما أنه كان يخشى عذاب الله وعقابه إن أجبر الحسين على بيعة يزيد، أو

(1) البداية والنهاية (11/ 460).

(2) البداية والنهاية (11/ 467) العالم الإسلامي في العصر الأموي (صـ130).

(3) العالم الإسلامي في العصر الأموي (صـ130).

(4) البداية والنهاية (11/ 467).

(5) الأخبار الطول (صـ228)، تاريخ خليفة (صـ233)، يزيد بن معاوية (صـ28).

عاقبه إن امتنع عنها، حتى قال: «والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مالِ الدنيا وملكِها، وأني قَتَلتُ حسيناً، سبحان الله! أقتل حسيناً أن قال: لا أبايع؟ والله إني لا أظن امرءًا يُحاسب بدم الحسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة، فقال مروان: فإذا كان هذا رأيك فقد أصبت فيما صنعت»[1].

كان إصرار يزيد على طلب البيعة من الحسين وابن الزبير رضي الله عنهما غلطة عظيمة من يزيد، بدأ بها حياته، وظلّت تلاحقه حتى مماته، ولم يستطع التخلص منها، وبدأت سلسلة الأخطاء تتوالى في حياة الخليفة يزيد، وكلما ادلهمت الأمور من حوله، عظمت الأخطاء، وتضخَّمَت المشكلات، وكلما أراد حلَّ مشكلة، وقع في مشكلة أخطر منها وأفظع، فمن الإصرار على عدم البيعة، إلى تكوين جبهة معارضة تستعد للقتال، ومنها إلى معركة كربلاء، ثم تتمخض هذه المعركة عن قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتؤدي إلى غضب المسلمين، وإعلان ابن الزبير الخروج على الخليفة، وتستمر العداوة والبغضاء حتى تكون وقعة الحرة، وتتشوّه صورة الخليفة في أعين المسلمين، ثم يتوفى بعد ذلك بقليل.

إنّ القارئ لخلافة يزيد يتعجّب ويتساءل: أين غاب حلم معاوية عن ولي عهده يزيد؟ وأغلب الظن أن الذي ورّط يزيد في هذه الأخطاء الشنيعة هو: حداثة سنه وقلة خبرته، وغياب المستشارين الحكماء عن مجلسه، كما أن يزيد كان تنقصه قوة الإرادة في الحلول السلمية، فوقع في عهده عدد من الكوارث الكبرى: كمقتل الحسين رضي الله عنه، ووقعة الحرّة بالمدينة، وحصار مكة، لقد وصم يزيد عهده بوصمةٍ لن يمحوها ماء

(1) تاريخ الطبري (6/ 259).

البحار، ولن تزيل مرارتها عذوبة الأنهار[1].

وكان إصرار يزيد على طلب البيعة من الحسين وابن الزبير رضي الله عنهما هو الشرارة الأولى في الفتنة التي اندلعت بين المسلمين، فقد شَعَر كلٌّ منهما بأنه مطلوبٌ، وأنه إذا لم يبايع فسيكون ضحية طيش يزيد، وأن سُيوفَ أعوانِ الخليفةِ الجديد أصبحت مسلولةً عليهم، فتركا المدينة في جنح الليل، وتوجّها إلى البيت الحرام، ولجآ إلى مكة المكرمة يطلبان فيها الأمان، وأدركا بأنهما لن يجدا الأمان والسلام إلا في تجييش أنصارهما، وحشدهم في مكان يصعب على يزيدَ وأعوانِه أن يقتحموه، وكان ذلك في مكة المكرمة في جوار بيت الله الحرام، الذي قال فيه: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾[2].

أهل الكوفة يراسلون الحسين رضي الله عنه :

لما بلغ أهل الكوفة امتناع الحسين عن بيعة يزيد، وخروجه من المدينة إلى مكة، بدؤوا بمكاتبة الحسين رضي الله عنه، فجاءت رُسُل أهل الكوفة إليه، وهم يحملون ديوانًا فيه أسماء مائة ألف يبايعونه[3]. قال ابن كثير رحمه الله: «وقد كثر ورود الكتب عليه ـ أي الحسين ـ من بلاد العراق يدعونه إليهم، وذلك حين بلغهم موت معاوية وولاية يزيد، ومصير الحسين إلى مكة فراراً من بيعة يزيد، وجاء آخرون ومعهم نحو من مائة وخمسين كتابا إلى الحسين، فاجتمعت الرُّسل كلها بكتبها عند الحسين، وجعلوا يستحثُّونه ويستقدمونه عليهم ليبايعوه عوضًا عن يزيد بن معاوية، ويذكرون في كتبهم أنهم فرحوا بموت معاوية، وينالون منه، ويتكلمون في دولته، **وأنّهم لما يبايعوا أحدًا إلى**

(1) الأمويون بين الشرق والغرب (1/ 199) بتصرف كبير.

(2) [آل عمران:97].

(3) سير أعلام النبلاء للذهبي (3/ 299)

الآن، وأنهم ينتظرون قدومك إليهم، ليقدِّموك عليهم»[1]، وهكذا أرسل أهل الكوفة رسالة واضحةً إلى الحسين بن علي رضي الله عنه، بأنّهم لم يدخلوا في بيعة يزيد، بل يرغبون في مبايعته أميرًا عليهم، **فماذا فعل الحسين رضي الله عنه حيال هذا الأمر؟**

عند ذلك بعث مسلمَ بن عقيل إلى العراق، ليكشف له الحقيقة ! فلما وصل مسلم إلى الكوفة قدم إليه أهلها ، فبايعه اثنا عشر ألف [2] على بيعة الحسين وذلك في دار هانئ بن عروة ، ولما تيقّن مسلم بأنّ الناس يريدون الحسين، كتب مسلم إلى الحسين ليقدم فقد تمّت له البيعة ، قال في كتابه : « أما بعد، فإن الرائد لا يكذب أهله إنَّ جميع أهل الكوفة معك فأقبل حين تنظر في كتابي » [3] ، وهنا تأكد للحسين رضي الله عنه صدق نوايا أهل الكوفة ! فتجهَّز رضي الله عنه خارجاً من مكة قاصداً الكوفة ، وفاءً بما قطع لهم من عهد .

موقف والي الكوفة من أحداث الكوفة :

وفي تلك الأثناء ، ومع تسارع الأحداث في ساحة الكوفة ، انتشر الخبرُ بين الناس وفشا ، فأحسّ والي الكوفة النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنه بخطورة الوضع ، فماذا فعل ؟ قام فخطب في الناس ، وممّا قاله : « اتقوا الله عباد الله ، ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة ، فإن فيها يهلك الرجال وتسفك الدماء وتغصب الأموال » ، وقال : « إني لم أقتل من لم يقاتلني ، ولا أثبُ على من لا يثب عليَّ، ولا آخذُ بالقرف ولا الظنة والتُّهمة، ولكن إن

---

(1) البداية والنهاية (8/ 151).

(2) تهذيب الكمال (2/ 301) مواقف المعلرضة صـ232 .

(3) أنساب الأشراف (3/ 167) .

نكثتم بيعتكم، وخالفتم إمامكم، فوالله الذي لا إله غيره لأضربنَّكم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ، أما إني أرجو أن يكون من يعرِف الحقَّ منكم أكثر ممن يرديه الباطل » [1].

لكن هذه السياسة من قِبل والي الكوفة النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنه لم تُعجب الموالين للدولة الأمويّة ! فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي وقال له : « إنَّ هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوِّك رأي المستضعفين » ، فردَّ عليه النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنه بقوله : « أن أكونَ من المستضعفين في طاعةِ الله ، أحبّ إليَّ من أن أكون من الأعزين في معصية الله » [2].

فلـمّا وصـل الخـبرُ إلى يزيـد بـن معاويـة في الشّـام ، قـام بعـزل الـنعمان بـن بشـير الأنصاري رضي الله عنه من ولاية الكوفة ! وعيَّن بدله عبيد الله بن زياد !

وعبيد الله بن زياد كان والي البصرة ، فضـمّ إليـه يزيـدُ ولايـة الكوفـة، وأمـره بـأن يمنع أهل الكوفة من بيعة الحسين رضي الله عنه .

دخول عبيد الله بن زياد الكوفة :

دخل عبيد الله بن زياد إلى الكوفة متلثمًا ، والناس قد بلغهم إقبال الحسين إليهم، فهم ينتظرون مقدمه عليهم ، فظنوا حين قدم عبيد الله أنّه الحسين رضي الله عنه ، فأخذ لا يمرُّ على جماعة من الناس إلا سلموا عليه وقالوا : « مرحباً بك يا ابـن رسـول الله، قـدمتَ خـير مقدم »، فلما أكثروا عليه صاح فيهم مسلم بن عمرو وقال : « تأخَّروا هذا الأمير عبيـد الله بن زياد » ! فلما نزل في القصر نودي الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فخـرج إلـيهم ابن زيادٍ ثم خطبهم ووعد من أطاع مـنهم خـيراً ، وتوعَّـد مـن خـالف وحـاول الفتنـة

---

(1) تاريخ الطبري (6/ 277).

(2) المصدر نفسه .

منهم شراً ! [1].

أيقن عبيد الله بن زياد خطورة الموقف ، فحرص على جمع المعلومات بواسطة جواسيسه على الفئات المعارضة ، واستطاع أن يخترق أتباع مسلم بن عقيل ! وعلم نزول مسلمٍ في دار هاني بن عروة [2]. فأمر ابن زيادٍ بإحضار هانئ في مجلسه ، فلمّا تمثّل بين يديه قال له ابن زياد : « والله لا تفارقني حتى تأتيني به ـ أي بمسلم بن عقيل ـ ، فقال هانيء : أوَ يجمل بي أن أسلِّم ضيفي وجاري للقتل! والله لا أفعل ذلك أبداً . فاعترضه ابن زياد بالخيزرانة، فضرب وجهه، وهشم أنفهُ، وكسر حاجبهُ، وأمر به فحُبس [3].

المواجهة بين ابن زياد وابن عقيل :

لما بلغ مسلمَ بن عقيل خبرُ ضربِ وجه هانيء بن عروة، أمر أن ينادى في أصحابه الذين بايعوه، واستخدم كلمة السِّر وهي: « يا منصور أمِتْ »، فتنادى أهل الكوفة فاجتمعوا إليه ، وكان عددهم أربعة آلاف رجل [4] .

توجّه مسلم بن عقيل ومن معه إلى قصر ابن زياد فحاصره، ودخل ابن زياد القصر وتمنّع به وأغلق عليه الأبواب، وكان ابن زياد على قدرٍ كبيرٍ من الدهاء والمكر والخداع، حيث أنه بمجرد دخوله القصر جمع وجوه الكوفة وأشرافهم واحتفظ بهم عنده ، حتى يكونوا وسيلة ضغطٍ مهمةٍ عنده ستثمر عن نتائج إيجابية جداً لصالح ابن

---

(1) المصدر نفسه (6/ 280) .

(2) الأخبار الطوال ص 218 ، تاريخ الطبري (6/ 284) .

(3) الأخبار الطوال صـ219 ، تاريخ الطبري (6/ 288) .

(4) تاريخ الطبري (6/ 289) .

زياد [1].

فكان من كيده أن أمر أشراف الكوفة وأمراء القبائل بتخذيل الناس عن مسلم بن عقيل، وتخويفهم بقرب أهل الشام ، فصار هؤلاء الأمراء والزعماء يثبّطون الناس، ويذكرونهم بالسلامة والأمن، وأنهم إن لم ينصرفوا سيُحرمون من العطاء ! وسيُساقون إلى الثغور وسينالهم العقاب الشديد [2].

وهذا .. خاض ابن زيادٍ بمكره حربًا نفسية شديدة ، سرعان ما آتت أكلها ، فكانت المرأة تأتي إلى ابنها وأخيها وتقول له : « انصرف، الناس يكفونك » ، ويجيء الرجل إلى ابنه وأخيه ويقول له : « غداً يأتيك أهلُ الشام ، فما تصنع بالحرب والشرّ ، انصرف » . فأخذ هذا التهويل والتخويف يعمل عمله بين صفوف الناس، فبدأوا ينصرفون عن مسلم بن عقيل ، وأخذ العدد يتضاءل سريعاً حتى أنه لما قرب المساء لم يبقَ مع مسلم بن عقيل إلا عدداً يسيراً يتراوح بين الثلاثمائة والخمسمائة رجل ! وأخذ هذا العدد يتضاءل حتى وصل إلى ستين رجلاً ! ولما أمسى المساء تفرَّق الناس، وبقي مسلم بن عقيل وحيداً في طرقات الكوفة [3].

فذهب على وجهه واختلط عليه الظلام، يتردد في الطريق لا يدري أين يذهب، فقُبض عليه، وأمر المجرم عبيد الله بن زياد بقتله، وهنا أرسل مسلم بن عقيل رسالة إلى الحسين: « ارجع بأهلك ولا يغرَّنك أهل الكوفة، فإنهم أصحابُ أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل، إنَّ أهل الكوفة قد كَذَبوك وكذبوني، وليس لكاذب

---

(1) مواقف المعارضة ص 255 .

(2) تاريخ الطبري (6/ 293) .

(3) المصدر نفسه .

رأي »[1]. ثم أمر عبيد الله بقتل مسلم بن عقيل فقتل رضي الله عنه، في يوم عرفة !

كما أمر بهانيء بن عروة فأخرج إلى السوق وقُتل ، وظل هانيء يصيح لقبيلته مذحج ولكن لم ينصره أحد ، ثم صُلب هانيء ومسلم في سوقٍ أمام الناس !

ولا شكّ بأنّ هذه الإجراءات الصَّارمة التي اتخذها عبيد الله بن زياد زلزلت قناعات أتباع الحسين في الكوفة ، وأرجفت قلوبهم ! فهم يرون أنَّ من كان له علاقة بالحسين فإن مصيره القتل وعلى أبشع صورة ! فأصبح من يفكِّر في نصرة الحسين فإنَّ عليه أن يتصوَّر نهايته على ذلك النَّحو المؤلم !

يزيد بن معاوية يراسل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما :

عندما تأكّد يزيد بن معاوية من خروج الحسين إلى الكوفة ، تلبيةً لدعوة أهلها ، كتب إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ـ لأنه شيخ بني هاشم في عصره وعالم المسلمين ـ يذكر له خروج الحسين، ويقول : « ونحسب أنَّ رجالاً أتوه من المشرق فمنّوه الخلافة، فإنهم عندك منهم خَبَرَهُ ، فإن كان فعل فقد قطع القرابة والرَّحم، وأنت كبيرُ أهل بيتك والمنظور إليه، فاكففه عن السَّعي في الفرقة » ، فردّ عليه ابن عباس رضي الله عنهما قائلاً : « إني لأرجو أن لا يكون خروجُه لأمرٍ تكرهُ، ولستُ أدع النصيحة له »[2].

الطريق إلى كربلاء !

خرج الحسين من مكة قاصداً أرض العراق ولم يعلم بمقتل ابن عمه مسلم بن

---

(1) البداية والنهاية (11/ 488) ، تاريخ الطبري (6/ 297) .

(2) سير أعلام النبلاء (3/ 304) .

عقيل، وذلك في الثامن من ذي الحجة من سنة 60 للهجرة [1]، وحاول منعه كثير من الصحابة رضي الله عنهم ونصحوه بعدم الخروج مثل: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم .. وغيرهم .

كان من نصح الإمام الحسن رضي الله عنه لأخيه الحسين ألا يصدق أهل الكوفة، ولا يركن إلى قولهم، ولا يطيعهم؛ لما يعلم فيهم من الغدر والخيانة، إلا أن الحسين اجتهد الرأي، وأحسن الظنَّ بهم فخرج إليهم .

معارضة الصحابة رضي الله عنهم لخروج الحسين رضي الله عنه :

1) **عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما : عندما وصل إلى ابن عباسٍ خبرُ خروج الحسين رضي الله عنه إلى العراق ، أقبل إليه وقال له : «أين تريد يا ابن فاطمة؟ قال: العراق وشيعتي. قال: إني كارهٌ لوجهك هذا، تخرج إلى قوم قتلوا أباك، لولا أن يزري بي وبك الناس لشبَّثت يدي في رأسك، فلم أتركك تذهب، ثم بكى ابن عباس، فقال الحسين: لأن أُقتل في مكان كذا وكذا أحب إلي من أن أُقتل بمكة».

فلما كان من العشي جاء ابن عباس إلى الحسين مرة أخرى، فقال له: «يا ابن عم، إني أتصبَّر ولا أصبر، إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك، إن أهل العراق قوم غَدرٍ فلا تغتر بهم، أقم في هذا البلد فإنك سيِّد أهل الحجاز ، فإنْ كان أهل العراق يريدونك كما زعموا : فاكتب إليهم فلينَفُوا عاملهم وعدوهم ! ثم اقدم عليهم . فإن أبيتَ إلا أن تخرج فسِرْ إلي اليمن ، فإن بها حُصونًا وشعابا ، وهي أرض عريضة طويلة ، ولأبيك بها شيعة ، وأنت عن الناس في عزلة ، فتكتبَ إلى الناس وترسل وتبث دعاتك ، فإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية ، فقال الحسين: يا ابن عم، والله إني

---

(1) تاريخ الطبري (6/ 304) البداية والنهاية (11/ 494).

لأعلم أنك ناصح شفيق، ولكني قد أزمعتُ المسير ! فقال له ابن عباس : فإن كنت سائرًا فلا تسر بنسائك وصبيتك ، فإني لخائفٌ أن تُقتل كما قُتِل عثمان ، ونساؤه وولده ينظرون إليه ! » [1].

2) **عبد الله بن عمر بن الخطاب** رضي الله عنهما : أما ابن عمر فقد كان بمكة ـ وقيل المدينة ـ فبلغه أن الحسين قد توجَّه إلى العراق فلحقه على مسيرة ثلاث ليال، فقال له: «أين تريد؟ قال: العراق، وهذه كتبهم ورسائلهم وبيعتهم، فقال ابن عمر: لا تأتهم، فأبى، فقال له: إني محدثك حديثاً، إنَّ جبريل أتى النبي ﷺ فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا، وإنك بضعة من رسول الله ﷺ ، والله ما يليها أحد منكم أبداً، وما صرفها الله عنكم إلا للذي هو خير لكم، فأبى أن يرجع، فاعتنقه ابن عمر ـ وقبّله بين عينيه ـ وبكى ، وقال: أستودعك الله من قتيلٍ ! »[2].

3) **عبد الله بن الزّبير** رضي الله عنهما : نصح الحسين قائلاً : « أين تذهب ؟ إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك » ، فقال له الحسين : « لأن أقتل بمكان كذا وكذا ، أحبّ إليَّ من أن تستحل بي ـ يعني مكة ـ » [3].

4) **عبد الله بن جعفر بن أبي طالبٍ** رضي الله عنهما : كتب كتابًا إلى الحسين وأرسله مع ابنيه محمد وعون ، جاء فيه : « أما بعد، فإني أسألك بالله لما انصرفت حين تنظرُ في

(1) البداية والنهاية (8/ 173) ، تاريخ الطبري (3/ 295) ، الكامل في التاريخ (3/ 400)، ومن كتب الشيعة : بحار الأنوار للمجلسي (45/ 96).

(2) سير أعلام النبلاء (3/ 292) ، تاريخ مدينة دمشق (14/ 201ـ202)، البداية والنهاية (8/ 160) ، ومن كتب الشيعة : بحار الأنوار (45/ 96)، مناقب أمير المؤمنين لمحمد الكوفي (2/ 261).

(3) مصنف ابن أبي شيبة (15/ 95) بسند حسن .

كتابي، فإني مشفقٌ عليك من الوجه التي توجهت له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك » [1]، ولكن الحسين رفض الرجوع ، وهنا ظنَّ عبد الله بن جعفر أن سبب خروج الحسين هو خوفه من الوالي عمرو بن سعيد بن العاص، فذهب إلى عمرو بن سعيد بن العاص وطلب منه أن يكتب كتاباً إلى الحسين يؤمِّنه فيه ويعده بالخير، وكان ردُّ عمرو بن سعيد أن قال لعبد الله بن جعفر: اكتب ما شئت وائت به أختمه .

فكتب عبد الله بن جعفر : « بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن علي، أما بعد : فإني أسأل الله أن يصرفك عما يبوقك، وأن يهديك لما يرشدك، بلغني أنك قد توجَّهت إلى العراق، وإني أعيذك بالله من الشقاق، فإني أخاف عليك فيه الهلاك، وقد بعثت إليك عبد الله بن جعفر، ويحي بن سعيد، فأقبل إليّ معهما، فإن لك عندي الأمان والبر والصلة وحسن الجوار لك، والله بذلك شهيدٌ وكفيلٌ، ومراعٍ ووكيلٌ، والسلام عليك » [2] . ولكن الحسين رضي الله عنه رفض هذا الرجاء أيضاً وواصل مسيره .

5) **محمَّد بن الحنفية رحمه الله** : أما أخوه محمّد بن الحنفيّة لما رأى خروج الحسين رضي الله عنه بأهل بيته إلى العراق ، تبعهم ابن الحنفية فأدرك حسينًا بمكة، وأعلمه أن

---

(1) من الملاحظ أنّ كل من نصح الحسين رضي الله عنه تخوّف من خروجه إلى العراق وشكّك في نوايا أهلها وعدم الثقة بوعودهم ! إضافةً إلى توقعهم لمقتل الحسين رضي الله عنه خلال هذا الخروج ! كما يبدو ذلك من أسفهم عليه وكلمات التوديع له. وما ذلك إلا دليل على معرفة أولئك الناصحين بالأوضاع المحيطة ، ووعيهم لما سبق من أحداث جرت إبان الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، عرفوا من خلالها الدوافع والأهواء التي تدفع ببعض الأقوام للاستفادة من إثارة الإحن ودوام الفتن ! نسأل الله السلامة.

(2) تاريخ الطبري (6/ 311) .

الخروج ليس له برأي يومه هذا، فأبى الحسين أن يقبل، فحبس محمد بن علي ولده فلم يبعث معه أحداً منهم، حتى وجد حسين في نفسه على محمد، وقال : « ترغب بولدك عن موضع أُصابُ فيه، فقال محمد: وما حاجتي أن تُصاب ويصابون معك، وإن كانت مصيبتك أعظمُ عندنا منهم» [1].

* وأبى على كل من أشار عليه إلا المسير إلى العراق، وسار نحو العراق، فلكأنّي أنظر إلى تلك الزمرة، ولكأنّي أنظر إلى ذلك الجمع المبارك، الذي فيه أطهرُ من ولدتهم أمهاتهم، وعلى رأسهم الحسين رضي الله عنه !

أبرز الذين خرجوا مع الحسين من مكة من أهل بيته وغيرهم :

ذكر أهل التاريخ أن الحسين رضي الله عنه لما خرج من المدينة خرج مع أهله وبنيه، معه أختاه: أم كلثوم، وزينب، وولد أخيه، وإخوته أبو بكر، وجعفر، والعباس، وعامة من كان بالمدينة من أهل بيته إلا أخاه محمد بن الحنفية، فإنه أقام[2]. وقال ابن سعد : وبعث حسين إلى المدينة فقدم عليه من خفَّ معه من بني عبد المطلب، وهم تسعة عشر رجلاً ونساء وصبيان، من إخوانه وبناته ونسائهم [3].

وكان معه جلّ ولده وولد أخيه الحسن، وكل إخوته، عدا محمد بن الحنفية، وخرج معه من أولاد عمه : عون ومحمد ابني عبد الله بن جعفر، وعبد الرحمن وجعفر

(1) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (1/ 447)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (14/ 211-212)، وإسناد الأثر حسن.

(2) الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري (ص128).

(3) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (1/ 447) .

وعبد الله من أولاد عقيل، وقد كان مسلم في الكوفة، وغيرهم من الموالي[1].

أسماء أبرز الذين التحقوا به في الطريق وهو متّجه إلى الكوفة:

ذكر المؤرخون أن الحسين رضي الله عنه كان لا يمر بماء من مياه العرب إلا تبعه أهلها، حتى سمعوا بمقتل مسلم بن عقيل وغيره فبدؤوا يتراجعون عنه!

قال ابن جرير: «كان الحسين رضي الله عنه لا يمر بماء إلا اتبعه من عليه، حتى انتهى إلى زبالة، فلقيه مقتل قيس بن مسهر الأسدي الذي ألقاه ابن زياد من أعلى القصر، فأعلم الناس الذين معه بذلك، وقال: قد خَذلتنا شيعتُنا، فمن أحبَّ فلينصرف، وقصده أن يوطنهم على ما يقدمون، فافترقوا عنه! ولم يبق معه إلا أصحابه الذين خرجوا معه من المدينة، وإنما فعل ذلك لأنه ظن أنما اتبعه الأعراب لأنهم ظنوا أنه يأتي بلدًا قد استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون على ما يقدمون، وقد علم أنهم إذا بين لهم لم يصحبه إلا من يريد مواساته والموت معه»[2].

وقال الدينوري: «وقد كان صحبه قوم من منازل الطريق، فلما سمعوا خبر مسلم – وقد كانوا ظنوا أنه يقدم على أنصار وعضد – تفرَّقوا عنه، ولم يبق معه إلا خاصته»[3].

ومن الذين لحقوا به في الطريق: زهير بن القين، وكان حاجًا أقبل من مكة يريد الكوفة، فأرسل إليه الحسين، أن القني أكلمك فأبى أن يلقاه، وكان مع زهير زوجته، فقالت له: سبحان الله! يبعث إليك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تجيبه، فقام يمشي إلى

---

(1) نهاية الأرب في فنون الأدب (5/ 450).

(2) تاريخ الطبري (3/ 303) والبداية والنهاية لابن كثير (8/ 182) والسند ضعيف فيه أبو مخنف.

(3) الأخبار الطوال (ص 248).

الحسين عليه السلام، فلم يلبث أن انصرف، وقد أشرق وجهه، ثم قال لامرأته: أنت طالق، فتقدمي مع أخيك حتى تصلي إلى منزلك، فإني قد وطنت نفسي على الموت مع الحسين عليه السلام، ثم قال لمن كان معه من أصحابه: من أحب منكم الشهادة فليقم، ومن كرهها فليتقدم[1].

ومن جملة من لحق بالحسين رضي الله عنه: الصحابي أنس بن الحارث رضي الله عنه، وقتل مع الحسين في كربلاء[2].

وكان في سلسلة من لحق بالحسين رضي الله عنه: عبد الله بن عمير الكلبي، وامرأته، وذلك لما رأى القوم بالنخيلة[3] يعرضون ليسرحوا إلى الحسين، قال فسأل عنهم؟ فقيل له: يسرحون إلى حسين بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فقال: «والله لو قد كنت على جهاد أهل الشرك حريصًا، وإني لأرجو أن لا يكون جهاد هؤلاء الذين يغزون ابن بنت نبيهم أيسر ثوابا عند الله من ثوابه إياي في جهاد المشركين» فدخل إلى امرأته فأخبرها بما سمع، وأعلمها بما يريد، فقالت: أصبت أصاب الله بك أرشد أمورك، افعل، وأخرجني معك[4].

ومن لحق بالحسين رضي الله عنه: الحر بن يزيد؛ فإنه لما رأى تعنت جيش الكوفة على الحسين، وعدم قبولهم الشروط التي عرضها عليهم، عدل إلى الحسين، وقاتل معه [5].

---

(1) المصدر السابق (ص246-247).

(2) الإصابة في تمييز الصحابة (1/ 121) وانظر: جامع الحديث للسيوطي(7/ 119).

(3) موضع قرب الكوفة على سمت الشام، معجم البلدان (4/ 222).

(4) تاريخ الطبري (3/ 321)، والبداية والنهاية (8/ 181)

(5) انظر: تاريخ الطبري، والأخبار الطوال للدينوري (ص256)، والبداية والنهاية (8/ 180).

ويُروى أنه تحول من جيش الكوفة إلى الحسين مع الحر بن يزيد ثلاثون فارساً[1].

ولحق به في عذيب الهجنات أربعة نفر أقبلوا من الكوفة، ودليلهم الطرماح بن عدي، منهم مجمع بن عبد الله العائذي، الذي أخبره بخبر أهل الكوفة الذين راسلوه أنهم قد نكثوا، وأنهم مقاتلوه لا محالة[2].

كان هؤلاء جملة من وقفت عليهم أنهم لحقوا بالحسين رضي الله عنه يوم خروجه إلى الكوفة.

أما كثير من أصحاب الكتب التي أرسلوا بها إلى الحسين ليطلعوه على مدى تشغُّفهم لقدومه، وتطلُّعهم لمجيئه ووصوله، فقد أخفروا ذممهم وباعوه بثمنٍ من الدنيا قليل، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون !

المناطق التي مرّ بها الحسين وما وقع له أثناء مسيره إلى الكوفة :

خرج الحسين رضي الله عنه يريد الكوفة، فلابس خروج الحسين رضي الله عنه حوادث كثيرة وهو في طريقه إلى تلك البلاد .

فمن هذه الأحداث : أنه قبل وصوله إلى التنعيم اعترضه رسل عمرو بن سعيد بن العاص، وهو أمير على الحجاز ليزيد بن معاوية مع أخيه يحيى، يمنعونه، فأبى عليهم ومضى، وتضاربوا بالسياط، وامتنع الحسين وأصحابه امتناعاً قوياً[3].

التنعيم : ركِن الحسين رضي الله عنه إلى كتب أهل الكوفة، وما كتبه إليه مسلم بن عقيل،

---

(1) تاريخ دمشق (14/ 219-220) وبغية الطلب لابن العديم (3/ 30)

(2) تاريخ الطبري(3/ 307-308) والكامل لابن الأثير (4/ 409).

(3) الكامل في التاريخ لابن الأثير (3/ 401)

فعزم على الخروج إليهم، فتوجه تلقاء الكوفة يوم الثامن من ذي الحجة وهو يوم التروية، فمروا بالتنعيم[1][2].

الصَّفَاح : ثم سار رضي الله عنه حتى وصل إلى الصفاح وهو موضع بين حنين وأنصاب الحرم يسيره الداخل إلى مكة، وصفاح نعمان جبال بين مكة والطائف[3] ولقيه في هذا المكان الفرزدق، وقيل: إنه لقيه في الشُّقوق[4]. فسأل الفرزدقُ أصحابَه: «ما هذا؟ قالوا: الحسين بن علي رضي الله عنهما يريد العراق قال: فسيَّبت راحلتي، ثم مشيت إليه حتى أخذت بالخطام، أو قال: بالزمام، فقلت: أبو عبد الله؟ قال: أبو عبد الله، فما وراءك؟ قال: أنت أحب الناس إلى الناس، والسيوف مع بني أمية، والقضاء من السماء»[5]. وفي خبرٍ آخر أنّ الحسين سأله : « بيِّن لنا نبأ الناس خلفك ، فقال له الفرزدق : مِن الخبير سألت ، قلوبُ الناس معك ، وسيوفهم مع بني أمية » [6].

بطن الرُّمة : ثم مضى الحسين رضي الله عنه حتى إذا صار ببطن الرمة[7] كتب إلى أهل الكوفة، يخبرهم أنه قد وافى بطن الرُّمَّة، وأنه قادمٌ عليهم، وأرسل بالرسالة إليهم مع

---

(1) التنعيم موضع بمكة في الحل، بين مكة وسرف، تاريخ البلدان للحموي1/ 482.

(2) الكامل في التاريخ لابن الأثير (3/ 401).

(3) الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري (ص 145)، الهامش منه، والكامل في التاريخ، لابن الأثير (3/ 401)

(4) تاريخ دمشق لابن عساكر (14/ 212).

(5) بغية الطلب لابن العديم (3/ 28) وتاريخ خليفة بن خياط (1/ 57).

(6) تاريخ الطبري (3/ 296) .

(7) بطن الرمة: واد معروف بعالية نجد، وقال ابن دريد: الرمة قاع عظيم بنجد تنصب إليه أودية، بطن الرمة: منزل لأهل البصرة إذا أرادوا المدينة، بها يجتمع أهل البصرة والكوفة. انظر: معجم البلدان للحموي (1/ 194، و3/ 72) .

قيس بن مسهر الصّيداوي [1]. ولكن الحصين بن تميم قَبَضَ على قيس بن مسهر مبعوث الحسين حين وصوله إلى القادسية ، ثم بعث به إلى ابن زياد فقتله مباشرة ! [2].

زَرُود : ثم سار بعدها حتى أناخ رحله في زَرُود[3][4].ولما رحل الحسين ﵁ من زرود، وكتب قبل ذلك إلى أهل الكوفة بقدومه إليهم، تلقَّاه رجل من بني أسد، فسأله عن الخبر؟ فقال:«لم أخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم بن عقيل، وهانئ بن عروة، ورأيت الصبيان يجرُّون بأرجلهم ! فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، عند الله نحتسب أنفسنا، فقال له: أنشدك الله يا ابن رسول الله في نفسك، وأنفس أهل بيتك هؤلاء الذين نراهم معك، انصرف إلى موضعك، ودع المسير إلى الكوفة، فو الله ما لك بها ناصرٌ، فقال بنو عقيل - وكانوا معه -: ما لنا في العيش بعد أخينا مسلم حاجةٌ، ولسنا براجعين حتى نموت، فقال الحسين: فما خير في العيش بعد هؤلاء» وسار[5].

وكان لهذه الأخبار المفجعة ، القادمة من الكوفة ، وقعها المؤلم على الحسين ﵁ ، فهؤلاء أقرب الناس إليه قد قتلوا ، وأمّا شيعته في الكوفة قد تخاذلوا عن نصرته !

حينها قال لمن معه : « من أحبَّ أن ينصرف ، فلينصرف » فتفرَّق الناس عنه يميناً وشمالاً [6]، ولم يبق معه إلا أصحابه الذين خرجوا معه من المدينة، وقال له بعض من ثبتوا معه : « ننشدك الله إلا ما رجعتَ من مكانك، فإنه ليس لك بالكوفة ناصرٌ ولا

---

(1) الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري. (ص225).

(2) الطبقات (5/ 376) ، أنساب الأشراف (3/ 167) .

(3) رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج إلى مكة. معجم البلدان للحموي(2/ 394)

(4) الأخبار الطوال (ص246).

(5) المصدر السابق (ص247). وبغية الطلب لابن العديم(3/ 33)

(6) تاريخ الطبري (6/ 323) .

شيعةٌ، بل نتخوَّف أن يكونوا عليك » فوثب بنو عقيل ـ إخوة مسلم ـ وقالوا : « والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا ، أو نذوق كما ذاق مسلمٌ » [1] .

الثَّعلبية : ثم غادر الحسين ﷺ زرود حتى وصل وانتهى إلى الثَّعلبية[2] .

زُبـــالَة : ثم وافى بعد ذلك زُبالَـة[3]، فأتـاه رسـول عمـر بـن سـعد وابـن الأشـعث برسالة مسلم بن عقيل، وخذلان أهل الكوفة إيَّاه[4]. فبات تلك الليلة هناك، فلما كان السَّحر أمر فتيانه فاستقوا الماء وأكثروا [5] .

بطن العقبة : ثم سار حتى مر ببطن العقبة[6]، وقيل بطن العَقِيق فنزل بها[7].

شَرَاف : ثم مضى بعد ذلك الحسين ﷺ حتى نـزل بشر ـاة[8]أو شَرَاف[9]، وكـان

---

(1) تاريخ الطبري (6/ 322) .

(2) من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق. معجم البلدان للحموي (1/ 450)

(3) منزل معروف بطريق مكة من الكوفة وهي قرية عامرة، سميت بـذلك لزبلهـا المـاء أي بضـبطها له، انظر: معجم البلدان(2/ 387)

(4) البداية والنهاية لابن كثير (8/ 169)

(5) انظر: تاريخ الطـبري (3/ 303) الكامـل في التـاريخ لابـن الأثـير (3/ 304) والبدايـة والنهايـة لابن كثير (8/ 169)

(6) المصدر نفسه .

(7) الأخبار الطوال، للدينوري، (ص248).

(8) المصدر السابق (ص248).

(9) شرَاف بين واقصة والقرعاء، على ثمانية أميـال مـن الأحسـاءِ التـي لبنـي وهـب، ومـن شراف إلى واقصة ميلان. معجم البلدان للحموي (3/ 37)

ذلك في أول يوم من محرم من العام إحدى وستين[1]. ذكر الطبري أنه بعد وصول الحسين ﵁ إلى شراف سار، فلما انتصف النهار كبَّر رجلٌ من أصحابه، فقال له: ممَّ كبرتَ؟ قال: رأيتُ النَّخل. فقال رجلان من بني أسد: ما بهذه الأرض نخلةٌ قط! فقال الحسين: فما هو؟ فقالا: إنما رأى طوالع خيل ابن زياد [2].

ذو حُسَم : لمّا رأى طوالع خيل ابن زياد في شَراف ، أخذ ذات الشمال حتى نزل بذي حسم[3]. وكان ابن زياد قد بعث إليه الحرَّ بن يزيد، ووضع أمامه المسالح بين القُطْقُطانة[4] إلى خَفان[5][6].

طريق العُذَيب والقادسية : ثم إن الحسين ﵁ أراد الانصراف من ذلك المكان، فحال الحر بن يزيد بينه وبين الانصراف، فتياسر عن طريق العُذَيب[7] والقادسية[8]، وبينه وبين العذيب ثمانية وثلاثون ميلاً، ثم إنَّ الحسين سار في أصحابه والحرُّ يسايره،

---

(1) تاريخ الطبري (3/ 305) والمنتظم لابن الجوزي (2/ 196) والكامل لابن الأثير (3/ 407)

(2) تاريخ الطبري(3/ 305) .

(3) المصدر نفسه .

(4) موضع قرب الكوفة من جهة البَرِّيَّة بالطف، معجم البلدان للحموي (3/ 416)

(5) خفان موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحياناً وهو مأسدة، قيل: هو فوق القادسية. معجم البلدان (2/ 172)

(6) تاريخ الطبري(3/ 305-306).

(7) ماء لبني تميم على مرحلة من الكوفة، سمي بذلك لأنه طرف أرض العرب، انظر: معجم البلدان (3/ 205)

(8) قرية قرب الكوفة من جهة البرية، بينها وبين العذيب أربعة أميال، وعندها كانت الواقعة الكبرى بين المسلمين والفرس، وقد فتحت بلادهم على المسلمين. الأخبار الطوال الهامش (ص 246).

حتى خطبهم بالبيضة[1]، فلما سَمِع الحرُّ من الحسين خطبته وأنه لا يخاف من الموت، تنحَّى عنه، وجعل يسير بأصحابه ناحية عنه .

عذيب الهجانات : فانتهوا إلى عذيب الهجانات[2] .

قصر بني مقاتل : ثم سار الحسين حتى بلغ قصر بني مقاتل، قال الإمام الذهبي رحمه الله : «وروى ابن سعد بأسانيده قالوا: وأخذ الحسين طريق العذيب حتى نزل قصر أبي مقاتل، فخفق خفقةً ثم استرجع، وقال: رأيت كأن فارسًا يسايرنا ويقول: القومُ يسيرون ، والمنايا تسري إليهم ! »[3] .

ولما كان في آخر الليل أمر بالرحيل[4]. وسار الحسين رضي الله عنه من قصر بني مقاتل، ومعه الحرُّ بن يزيد، كلما أراد أن يميل نحو البادية منَعَه .

كربلاء : لمّا مُنع الحسين من الميل إلى البادية ، انتهى إلى المكان الذي يسمى كربلاء[5]، فقال الحسين لأصحابه : ما اسمُ هذه الأرض ؟ قالوا : كربلاء ، قال : كربٌ وبلاء [6]! فمال قليلاً متيامناً ، فحطَّ رحاله هناك ،فوافى كتاب ابن زياد للحرِّ بن يزيد

---

(1) تاريخ الطبري(3/ 306).

(2) تاريخ الطبري (3/ 307) والبداية والنهاية (8/ 173)

(3) سير أعلام النبلاء (3/ 298) والبداية والنهاية (8/ 174) وأخرجه الطبري في تاريخه من طريق أبي مخنف (3/ 309)

(4) تاريخ الطبري (3/ 308-309)

(5) ناحية بسواد الكوفة، وقيل: قرية قبالة الموصل، معجم البلدان (4/ 272) ويعرف الموضع أيضاً بالطّف .

(6) تاريخ الإسلام للذّهبي : (5/ 13) ، البداية والنهاية : (8 / 170) .

أن يجعجع بالحسين، فتقدَّم الحسين رضي الله عنه وأصحابه إلى **قرية الغَاضِرِية**[1].

وقال له الطرماح لما وصل كربلاء أو قاربها: «ما أرى معك كثير أحد، ولو لم يقاتلك إلا هؤلاء الذين مع الحر، لكانوا أكثر من كفْئِك، فكيف بمن سار إليك من الكوفة، فلم تر عيناي جمعاً أكثر منهم، فأنشدك اللهّ أن لا تتقدم إليهم شبراً، وإن أردت، فسر معي، انزل جبلنا أَجَأ[2]، فقد امتنعنا به واللهّ من ملوك غسان وحمير والنعمان، ومن الأبيض والأحمر، وتجتمع إليك طيئ في عشرين ألفاً لا يوصل إليك وفيهم عينٌ تطرف . فجزاه خيراً، وقال: قد عاهدنا هؤلاء القوم الذين معنا، فلا بدَّ من الوفاء لهم» فودعه الطرماح وانصرف[3].

ومن الأحداث التي وقعت له رضي الله عنه أثناء مسيره إلى الكوفة ما ذكره يزيد الرشك قال: «حدثني من شافَهَ الحسين قال: رأيت أبنيةً مضروبةً بالفلاة للحسين، فأتيته، فإذا شيخٌ يقرأ القرآن والدُّموعُ تسيل على خديه، فقلت: بأبي وأمي يا ابن بنت رسول الله، ما أنزلك هذه البلاد والفلاة التي ليس بها أحد؟ قال: هذه كتب أهل الكوفة إليّ، ولا أراهم إلا قاتليّ، فإذا فعلوا ذلك لم يدعوا لله حرمة إلا انتهكوها، فيسلط الله عليهم من يذلُّهم»[4].

الحسين رضي الله عنه وطلائع جيش الكوفة:

---

(1) تاريخ الطبري(3/ 310) والغاضرية هي قرية من نواحي الكوفة قريبة من كربلاء، معجم البلدان للحموي (3/ 73)

(2) أحد جبلي طيىءٍ وهو غربي فيد، وبينهما مسيرة ليلتين، وفيه قرى كثيرة، سمي باسم رجل. معجم البلدان (1/ 56)

(3) تاريخ الطبري (3/ 108).

(4) تاريخ الإسلام للذهبي (5/ 11-12).

كما ذكرنا سابقًا ، بأنّ الحسين رضي الله عنه التقى بجيش الكوفة، في أول المحرم من عام إحدى وستين، وذلك أنه أقبل حتى نزل شراف، فبينما هم كذلك إذ طلعت عليهم الخيل، فنزل الحسين رضي الله عنه ، وأمر بأبنيته فضُربت، وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي[1]، وكان ذلك يوم الأربعاء غرة المحرم[2] .

فلمَّا التقى الحسين رضي الله عنه بالحرِّ أخبره بأمر الكوفة ، وأنّهم كتبوا إليه أنهم ليس لهم إمامٌ ، وإن أقدم عليهم بايعوه وقاتلوا معه ، وقام الحسين رضي الله عنه وأخرج خرجين مملوءة بالكتب التي تطلب منه القدوم إلى الكوفة ، فأنكر الحر والذين معه أي علاقة لهم بهذه الكتب ! وقال له :

« لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك فى شيء ، وقد أمرنا إذا نحن لقيناك ألا نفارقك حتى نقدمك على عبيد الله بن زياد ، فقال الحسين : الموتُ أدنى من ذلك ، ثم قال الحسين لأصحابه : اركبوا ، فركبوا النساء ، فلما أراد الانصراف حال القوم بينه وبين الانصراف ، فقال الحسين للحرِّ : **ثكلتك أمُّك ! ماذا تريد ؟**

فقال له الحرُّ : أما والله لو غيرُك يقولها لي من العرب ، وهو على مثل الحال التي أنت عليها ، لأقتصنَّ منه ولما تركتُ أمَّه ! ولكن لا سبيلٌ إلى ذكر أمِّك إلا بأحسن ما نقدر عليه ، وتقاول القوم وتراجعوا ، فقال له الحر : إنى لم أومر بقتالك ، وإنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة على ابن زياد ، فإذا أبيتَ فخذ طريقًا لا يقدمك الكوفة ، ولا تردك إلى المدينة ، واكتب أنت إلى يزيد واكتب انا إلى ابن زياد إن شئت ،

---

(1) المنتظم لابن الجوزي (2/ 196).

(2) الأخبار الطوال (ص:253).

فلعل الله أن يأتي بأمرٍ يرزقني فيه العافية من أن أبتلى بشيءٍ من أمرك »[1] .

وبالفعل تياسر الحسين عن طريق العذيب والقادسية ، واتجه شمالاً على طريق الشام . وأخذ الحرُّ يساير الحسين رضي الله عنه وينصحه بعدم المقاتلة ويذكّره بالله، وبيّن له أنه إذا قاتل فسوف يقتل، وكان الحسين يصلي بالفريقين إذا حضرت الصلاة[2] .

فلما كان اليوم الثاني من نزوله كربلاء جاءت رسالة عبيد الله بن زياد للحرِّ أن يجعجع بالحسين رضي الله عنه[3] ، وقبّح الله ابن زياد، فأَنزل الحسين رضي الله عنه في غير قريةٍ، وعلى غير ماء[4].

الحسين رضي الله عنه وجيش الكوفة وجهًا لوجه :

لما كان يوم الجمعة – وهي اليوم الثالث من نزول الحسين كربلاء – جاءت مؤخرة الجيش، وكان عددهم أربعةُ آلاف بقيادة عمر بن سعد . وكان وِجهة هذا الجيش في الأصل إلى « الرَّي » لجهاد الديلم، فطَلَب عبيد الله بن زياد من عمر بن سعدٍ أن يتوجّه بهذا الجيش لمقاتلة الحسين رضي الله عنه ، رفض عمر بن سعد هذا الطلب ابتداءً ، ولكن ابن زياد هدَّده إن لم ينفذ أمرهُ بالعزل وهدم داره وقتلهِ، وأمام هذا الخيار رضي بالموافقة[5] !

---

(1) البداية والنهاية : (8 / 173) .

(2) المصدر نفسه .

(3) المنتظم لابن الجوزي (2/ 196)

(4) المصدر السابق (2/ 196).

(5) تاريخ الطبري (6/ 335) .

ولما رأى الحسين ﷺ هذا الجيش العظيم ـ خمسة آلافِ مقاتل ـ علم أنه لا طاقة له بهم، وكان عدد الذين معه اثنين وسبعين فارسًا ! فبدأ بالتَّفاوض مع عمر بن سعد .

المفاوضات بين الحسين ﷺ وعمر بن سعد :

وقد أرسل إليه عمرُ رسولاً يسأله عمّا أقدمه وماذا يطلب ، فبيّن الحسين ﷺ له أنه لم يأت إلى الكوفة إلا بطلبٍ من أهلها ، وقال له : « كتبَ إليَّ أهل الكوفة أن أقدمَ عليهم ، فإذْ قد كرهوني فأنا راجعٌ إلى مكة وأذركُم » ، فلمّا بلغ عمر ذلك قال : « أرجو أن يعافينى الله من حربه » [1] .

وكتب عمر بن سعد لابن زياد بما سمعه من الحسين ﷺ وقال: « بسم الله الرحمن الرحيم . أمَّا بعد : فإني حيث نزلتُ بالحسين بعثتُ إليه رسولي، فسألتُه عما أقدمه وماذا يطلب ويسأل، فقال : كتبَ إليَّ أهلُ هذه البلاد وأتتني رسلُهُم، فسألوني القدوم ففعلتُ، فأما إذْ كرهوني، فبدا لهم غير ما أتتني به رسلهم فأنا منصرفٌ عنهم ».

فلما وصل الكتابُ إلى عبيد الله بن زياد وقرئ عليه ، تمثَّل قول الشاعر:

الآن إذْ علقَت مخالبُنا به * يرجُو النجاةَ ولاة حينَ مناصِ !

فردَّ على كتاب عمر بن سعد : « بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فقد بلغني كتابُك ، وفهمتُ ما ذكرتَ ، فاعرض على الحسين أن يُبايع ليزيد بن معاوية ! هو وجميع أصحابه ، فإذا فعل ذلك رأينا رأينا والسلام » ، فلما أتى عمرَ بن سعد الكتابُ ، ساءه ما يحمله من

---

(1) البداية والنهاية : (8/ 175) .

الجواب ! وقال : « قد حسبتُ ألا يقبل ابن زياد العافية ! » [1]. أمّا الحسين رضي الله عنه فقد رفض هذا العرض !

كما أمر ابنُ زياد عمرَ بن سعدٍ أن يمنعَ الحسين رضي الله عنه ومن معه الماء ! فأرسل عمرُ بن سعد عمرَو بن الحجاج على خمسمائة فارس، فنزلوا على شريعةِ ماءٍ وحالوا بين الحسين وبين الماء ، وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة أيام، ونادي عبد الله بن أبي الحصين الأزدي : بجيلة يا حسين أما تنظرُ إلى الماء ؟ والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشًا ! فقال الحسين رضي الله عنه : اللهم اقتُله عطشًا [2]!

فلما اشتدَّ العطش على الحسين رضي الله عنه وأصحابه ، أمر أخاه العباس بن عليٍّ فسار في عشرين راجلاً يحملون القِرَب وثلاثين فارسًا، فدنوا من الماء فقاتلوا عليه وملؤوا القِرَب ماءً وعادوا [3].

ثم لما رأى الحسين رضي الله عنه جهامة الموقف وخطورته ، طلبَ من عمر بن سعد مقابلته [4]. وأثناء المقابلة عرض الحسين رضي الله عنه على عمر بن سعد عرضًا فيه التخييرُ بين ثلاثة أمور ، فقال الحسين رضي الله عنه : « اختاروا واحدةً من ثلاث :

1. إما أن تدعوني فألحقَ بالثُّغور .
2. وإما أن أذهبَ إلى يزيد .
3. أو أَرُدَّ إلى المدينة » [1].

---

(1) تاريخ الطبري : (6/ 337) .

(2) وفعلاً مات هذا المجرم عطشًا، كما سيأتي .

(3) الكامل في التاريخ لابن الأثير : (3/ 413) .

(4) المحن لأبي العرب ص 154 .

وقد سُرَّ عمر بن سعدٍ بهذه المرونة التي أظهرها الحسين رضي الله عنه في هذا الموقف المتأزِّم ، فكتب إلى ابن زياد بكتابٍ يذكر فيه ما سمعه من الحسين رضي الله عنه من الخيارات الثلاث ، ظانًّا أنَّ الموقف قد أوشك على السلامة ! وفعلاً .. رأى عبيد الله بن زياد ذلك أيضًا ، ووافق ابتداءً على ما عرضه الحسين رضي الله عنه وقال : « نعم، قد قبلتُ » ، إلا أنّ المجرم المنتكس الشمر بن ذى الجوشن ـ وكان حاضرًا مجلس عبيد الله بن زياد ـ قام فقال : « لا والله ، حتى ينزلَ على حكمك هو وأصحابه » ، ثم قال : « والله لقد بلغنى أنَّ حسينًا وابن سعدٍ يجلسان بين العسكرين فيتحدَّثان عامَّة الليل » ، فتأثَّر ابن زياد بمقترح شمر بن ذي الجوشن وأُعجب به ، فقال : « فنِعمَ ما رأيتَ » [2] .

فكتبَ ابن زيادٍ إلى قائد جيش الكوفة عمر بن سعد ، رافضًا عرض الحسين : « لا ولا كرامة ! حتى يضعَ يده في يدي » [3] ، آمرًا إيَّاه أن يُنزل الحسينَ على حكمه [4]، ولما بلغ الحسين رضي الله عنه ما قاله عبيد الله، قال: « لا والله، لا أنزل على حكم عبيد الله بن زياد أبدًا » . وبهذا الموقف الصَّارم من الإمام الحسين رضي الله عنه رجع الأمر إلى التأزّم ، فقد أغلق ابن زيادٍ كل بابٍ فتحه الحسين رضي الله عنه أو أمرٍ اقترحه، فلم يبقَ أمام الحسين رضي الله عنه

---

(1) سير أعلام النبلاء : (3/ 308) ، ومن كتب الشيعة : معالم المدرستين للسيد مرتضى العسكري (3/ 86)، ومقتل الحسين لأبي مخنف الأزدي (ص 100)، وقد جاء فيه: «قال أبو مخنف: وأما ما حدثنا به المجالد بن سعيد والصقعب بن زهير الأزدي وغيرهما من المحدثين فهو ما عليه جماعة المحدثين، قالوا: إنه قال: اختاروا منى خصالاً ثلاثاً: إما أن أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه، وإما أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية فيرى فيما بيني وبينه رأيه، وإما أن تسيروني إلى أي ثغر من ثغور المسلمين شئتم ، فأكون رجلا من أهله لي مالهم وعليَّ ما عليهم».

(2) البداية والنهاية : (8/ 175) .

(3) سير أعلام النبلاء : (3/ 308) .

(4) أي يأتي إلى عبيد الله بن زياد في الكوفة، وهو يسيّره إلى الشام أو الثغور أو يرجعه إلى المدينة .

إلا مواجهة جيش الكوفة !

الباب الرابع عشر :

فاجعة كربلاء !

كان من أعظم حوادث الإسلام وقعاً في النفوس، وتفريقًا للصفوف، وإذهابًا للوحدة، وإظهارًا للشتات والفرقة : « **يوم كربلاء** » ، يوم مقتل الحسين سبطِ رسول الله ﷺ وريحانته، على أيدي تلك الأيادي الفاجرة ، والسيوف الغاشمة ، فنبتت على إثر ذلك اليوم الفتن، وكثر بعدها الهرج، وتلبس بما جرى للحسين كل متلبس، ودخل من هذه البَّوابة كل من أراد أن يثْلَمَ في الإسلام ويكْلمَه.

أيخلو قلبُ ذي وَرَع ودِينٍ ... مِنَ الأحزانِ والألمِ الطويل

وقد شَرِقَتْ رِماحُ بني زيادِ ... بِرِيّ من دماء بني الرسول

بتربة كَرْبلاءَ لهم دِيارٌ ... نيامُ الأهل دارِسَةُ الطُّلُولِ

أيها المسلمون، سنعيش معكم الآن وقائع كارثة كربلاء، فيا قلبُ معذرةً، ويا ضمير معذرةً، ويا أيها المسلمون الغيارى معذرةً، لو كانت مندوحةً من ذكر هذه الكارثة ، التي ينحني لها رأس كلِ مسلمٍ، ويندى لها جبين كلِ مؤمن، لطويتُ عنها كشحًا، وضربت عنها صفحًا، لكن التاريخ الذي يساير الأحداث، مرغمٌ على ذكر هذه الكارثة، تسجيلاً للواقع، وإتمامًا للحديث .

الحسين رضي الله عنه يستعدُّ للقاء الله تعالى :

وفي يوم الخميس التاسع من شهر الله المحرم صلى الحسين الظهر والعصر على أرض كربلاء، فلما قرب وقت المغرب تقدّم أهل الكوفة بخيولهم نحو الحسين، وكان

الحسين محتبيًا بسيفه، فلما رآهم وكان قد نام قليلاً قال: ما هذا؟ قالوا: إنهم تقدَّموا، ويقولون: إما ينزل على حكم عبيد الله بن زياد وإما أن يقاتل، فقال الحسين: «قولوا لهم: أمهلونا هذه الليلة، وغداً نخبركم، حتى أصلي لربي، فإني أحبّ أن أصلي لربي تبارك وتعالى» .

وقال لأخيه العباس: «ارجع، فإن استطعت أن تؤخِّرهم إلى غدوة لعلنا نصلي لربنا هذه الليلة وندعوه، ونستغفره، فهو يعلم أني كنت أحب الصلاة له، وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار»[1]، فلما أمسوا قاموا الليل كلَّه يصلون ويستغفرون ويتضرَّعون ويدعون، وخيولُ حرس عدوِّهم تدور حولهم[2].

الحسين رضي الله عنه يأذن لأصحابه بالانصراف :

ثم قام وخطب في أصحابه أول الليل، فحمد الله وأثنى عليه، وقال لأصحابه: «من أحبَّ أن ينصرف إلى أهله في ليلته هذه فقد أذنتُ له، فإن القوم إنما يريدونني، فاذهبوا حتى يفرِّج الله عز وجل .

فقال أخوه العبّاس : لمَ نفعل ؟ لنبقى بعدك ! لا أرانا الله ذلك أبدًا . وقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه: لا بقاء لنا بعدك، ولا أرانا الله فيك ما نكره ، فقال الحسين: يا بني عقيل، حسبُكم بمسلم أخيكم، اذهبوا فقد أذنتُ لكم ، قالوا: فما تقول الناس؟ أنّا تركنا شيخنا وسيِّدنا وبني عمومتِنا خيرِ الأعمام، لم نَرمِ معهم بسهم، ولم نَطعنْ معهم برمح، ولم نَضربْ معهم بسيف! ولا ندرى ما صنعوا! لا والله لا نفعل، ولكن نفديكَ بأنفسِنا وأموالِنا وأهلِينا، ونقاتل معك حتى نرد موردَك، فقبَّح الله العيشَ

---

(1) البداية والنهاية (8/ 176).

(2) تاريخ الطبري (3/ 315) الكامل في التاريخ لابن الأثير (3/ 417) عن طريق أبي مخنف.

بعدك»[1].

وبات الحسينُ رضي الله عنه وأصحابُه طول ليلهم يصلّون ويستغفرون ويدعون ويتضرَّعون، وخيول حرس عدوهم تدور من ورائهم:

نحن الذين إذا دُعوا لصلاتهم والحربُ تسقي الأرض جاماً أحمراً

جعلوا الوجوه إلى الحجاز فكبّروا في مسمع الروح الأمين

بين الحسين رضي الله عنه وأخته زينب رضي الله عنها :

وكانت زينب مع أخيها الحسين، مصطحبةً معها بعض أولادها، وفي أرض كربلاء اقتربت زينب رضي الله عنها من خيمة أخيها الحسين رضي الله عنه ، فسمعتهُ يرتجز:

يا دهرُ أفٍ لك من خليلِ كم لك بالإشراقِ والأصيلِ

من صاحبٍ أو طالبٍ قتيلِ والدهرُ لا يَقنعُ بالبديلِ

وإنما الأمرُ إلى الجليلِ وكل حيٍّ سالكُ السبيلِ

قال الحسين هذه الأبيات، ثمّ أعادها مرتين أو ثلاثاً، فلم تملك زينب رضي الله عنها نفسها، فوثبت تجرّ ثوبها، حتى انتهت إلى الحسين رضي الله عنه ، وقد توقعت حدثاً جللاً، فنادت رضي الله عنها : «واثكلاه، ليت الموتُ أعدمني الحياة اليوم، ماتت فاطمةُ أمي، وعليٌّ أبي، والحسنُ أخي، يا خليفةَ الماضي وثمال الباقي، فالتفت إليها الحسين قائلاً: يا أخية، لا يذهبنّ بحلمك الشيطان، فقالت زينب: بأبي أنت وأمي، نفسي لنفسك الفداء،

---

(1) انظر : تاريخ الطبري (3/ 315) ، الكامل في التاريخ (3/ 416) ، البداية والنهاية (8/ 177) .

فردّد الحسين غصّته، وترقرقت عيناه، ثم قال: لو تُرِك القَطَا[1] ليلاً لنام»، فخرّت مغشياً عليها؛ لأنها ﵍ شَعرت بأنّه موقف الفراق، وبأنّها لن ترى أخاها الحسين بعد هذا اليوم.

فقام إليها الحسين فصبّ الماء على وجهها، وقال: «اتقي الله، وتعزّي بعزاء الله، واعلمي أنّ أهلَ الأرض يموتون، وأهلَ السماء لا يَبقُون، وأن كل شيء هالكٌ إلا وجهَ الله، أبي خير مني، وأمي خير مني، وأخي خير مني، وليْ ولهم ولكلِّ مسلم برسول الله أسوةٌ» فعزّاها الحسين بهذا، ثمّ أوصاها قائلاً: «يا أختاه إني أقسم عليك، فأبرّي قسمي، ألا تشقّي عليّ جيباً، ولا تخمشي عليّ وجهاً، ولا تَدْعِي عليّ بالويل والثبور، إن أنا هلكتُ»[2].

أسماء أبرز الذين كانوا مع جيش الكوفة من رؤساء القبائل وغيرهم:

عمر بن سعد بن أبي وقاص: كان من أبرز الذي خرجوا لقتال الحسين ﵁،

---

(1) القطا: جمع قطاة، وهي طائر في حجم الحمام صوته: قطاقطا، وهذا مثل، قال الميداني: نزل عمرو بن مامة على قوم من مراد، فطرقوه ليلاً، فأثاروا القطا من أماكنها، فرأتها امرأته طائرة، فنبهت المرأة زوجها، فقال الرجل: إنما هي القطا، فقالت: لو ترك القطا ليلاً لنام. يضرب لمن حمل على مكروه من غير إرادته، وقيل غير ذلك. راجع مجمع الأمثال (2/ 174).

(2) الكامل (4/ 58-59) بتصرف. وتاريخ الطبري (3/ 316)، وهذه الوصيّة الأخيرة للحسين لأخته زينب وردت في المصادر الشيعية: فقد جاء في مستدرك الوسائل عن علي بن الحسين ﵁ قال: إنَّ الحسين قال لأخته زينب: «يَا أُخْتَاهْ إِنِّي أَقْسَمْتُ عَلَيْكِ فَأَبِرِّي قَسَمِي، لَا تَشُقِّي عَلَيَّ جَيْباً، وَلَا تَخْمِشِي عَلَيَّ وَجْهاً، وَ لَا تَدْعِي عَلَيَّ بِالْوَيْلِ والثُّبُورِ إِذَا أَنَا هَلَكْتُ» مستدرك الوسائل (2/ 451).

وكان عبيد الله بن زيادٍ قد ولاه إمارة الرَّي، ثم أمره أن يخرج إلى الحسين رضي الله عنه[1]، وإنما نسب قتل الحسين إلى عمر بن سعد؛ لأنه كان الأمير على الخيل التي أخرجها عبيد الله بن زياد لقتال الحسين، وأمَّر عليهم عمر بن سعد، ووعده أن يوليه الرَّي إن ظفر بالحسين[2].

الحرُّ بن يزيد التميمي : وكان مع جيش الكوفة ، وكان على ربع تميم وهمدان، ثم رجع إلى الحسين، وقاتل معه[3].

وشمر بن ذي الجوشن : بعد أن كان في مجلس عبيد الله بن زياد بقصره، قد انضمَّ إلى الجيش، فكان على ميسرة جيش الكوفة، وقيل إنَّه هو الذي قتل الحسين رضي الله عنه .

وعمرو بن الحجاج الزبيدي : وكان على ميمنة جيش أهل الكوفة.

وقيس بن الأشعث بن قيس : وكان على ربع ربيعة وكندة.

وعبد الله بن زهير الأزدي : وكان على ربع أهل المدينة.

وعبد الرحمن بن أبي سبرة الجعف : على ربع مذحج وتميم.

وعروة بن قيس الأحمسي : وكان على الخيل.

وشبث بن ربعي اليربوعي : وكان على الرجال.

ودريد : وكانت معه الراية .

وهانئ بن ثبيت الحضرمي : وهو الذي قتل عبد الله بن علي .

---

(1) الإصابة لابن حجر (1/ 228).

(2) الاستيعاب في معرفة الأصحاب؛ لابن عبد البر، (1/ 117).

(3) البداية والنهاية (8/ 170).

وبكير بن حيي التميمي، والحصين بن نمير .

ومرة بن منقذ العبدي : وهو الذي قتل علي الأكبر بن الحسين .

وعمرو بن صبيح الصدائي : الذي قتل عبد الله بن مسلم بن جعفر .

وعبد الله بن قطبة الطائي : قاتل عون بن عبد الله بن جعفر .

وعثمان بن خالد بن أسير الجهني، وبشر بن سوت الهمداني : قتلا عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب .

وزرعة بن شريك التميمي : وهو الذي ضرب الحسين رضي الله عنه .

وسنان بن أنس بن عمرو النخعي : وهو الذي طعن الحسين رضي الله عنه، وحزّ رأسه، وأخذ سلبه.

وخولي بن يزيد الأصبحي : وهو الذي دفع إليه رأس الحسين بعد قتله وحزِّهِ.

ومالك بن النسِّير : وهو الذي حمل على الحسين فضرب بالسيف على رأسه، فقطع البرنس الذي كان على رأسه وأدماه .

وغيرهم ، أمثال : مسروق بن وائل الحضرمي، ورضي بن منقذ العبدي، وكعب بن جابر الأزدي، ومزاحم بن حريث، ويزيد بن سفيان، ومسلم بن عبد الله الضبابي، وعبد الرحمن بن أبي حشكارة ، وعبد الله بن عروة الخثعمي، وعمرو بن سعد بن نفيل الأسدي، وعبد الله بن عقبة الغنوي، وأبو حرب عبد الله بن شهر ، عمرو بن خالد الطهوي[1]. **قبّحهم الله** .

---

(1) انظر: تاريخ الطبري (3/ 310)، وما بعدها، والكامل في التاريخ؛ لابن الأثير (3/ 407)، وما بعدها، وبغية الطلب لابن العديم (3/ 35)، وما بعدها، والأخبار الطوال لأبي حنيفة

اليوم الأخير في حياة الحسين (وقعة الطفّ 61 هـ):

إنَّ الأقلام لتجمد، والعقول تحار، واللسان يتلعثم، حين نذكر واقعة الطف، وعندما نقرأ ما جرى على الحسين في كربلاء، إنها مأساة وكارثة بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

لما أذَّن الصبح يوم العاشر من محرم صلى الحسين رضي الله عنه بأصحابه، وكانوا اثنين وثلاثين فارساً، وأربعين راجلاً، وفيهم خيرة شباب أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما على وجه الأرض يومئذٍ لهم شبه[1]، ثمَّ عدل الحسين رضي الله عنه إلى خيمة قد نُصبت، فاغتسل فيها، وانطلى بالنورة، وتطيَّب بمسكٍ كثير[2]. ثم ركب فرسَه، وأخذ مصحفاً، ووضعه بين يديه، ثم استقبل القوم رافعاً يديه يدعو: «اللهمَّ أنتَ ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدَّة، وأنت فيما نزل بي ثقة، وأنت وليُّ كل نعمة، وصاحبُ كل حسنةٍ»[3].

وإذا العنايةُ لاحظتكَ عيونُها * نَم فالحوادثُ كلهنَّ أمانُ

وبدأ الحسين رضي الله عنه بتعبئة الجيش، وتوزيع المهام، ليبدأ القتال[4]: فجعل زهير بن القين في ميمنته، وحبيب بن مظاهر في الميسرة، وأعطى رايته أخاه العباس بن علي،

الدينوري (ص249)، وسمط النجوم للعصامي 2/ 83، وما بعدها، وأسد الغابة لابن الأثير (1/ 265)، ومقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني (ص21) وما بعدها، والبداية والنهاية لابن كثير (8/ 176) وما بعدها، والبدء والتاريخ لابن المطهر (ص331)، والمنتظم لابن الجوزي (2/ 198).

(1) الاستيعاب لابن عبد البر (1/ 396)

(2) البداية والنهاية: (8/ 178).

(3) سير أعلام النبلاء: (3/ 275، ومن كتب الشيعة: تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي (3/ 94).

(4) انظر: تاريخ الطبري (3/ 381)، البداية والنهاية (8/ 178).

وجعل الخيام التي فيها النساء والذُّرية وراء ظهورهم ، وأمر الحسين رضي الله عنه بحطبٍ وقصبٍ فجعله من وراء الخيام، وأشعل فيه النَّار ! مخافة أن يأتوهم من خلفهم[1] فيخلص أحد إلى بيوتهم من ورائها .

ثم أقبل جيش الكوفة نحو الحسين رضي الله عنه ، فنظروا إلى النار تضطرم في الحطب والقصب، فقال شمر بن ذي الجوشن: «يا حسين، استعجلتَ النار في الدنيا قبل يوم القيامة ! فقال له الحسين: أنت أولى بها صلياً »[2] .

الحسين رضي الله عنه يخطب في جيش الكوفة :

ولما تواقف الفريقان .. خطبهم الحسين رضي الله عنه قبل نشوب الحرب، وذكَّرهم بفضله، ومنزلته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحرمة سفك دمه، فقال : « أيُّها الناس اسمعوا منى نصيحةً أقولها لكم، فأنصتَ الناسُ كلهم، فقال ـ بعد حمد الله والثناء عليه ـ : « أيها الناس إن قبلتم منى وأنصفتمونى كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليَّ سبيل، وإن لم تقبلوا مني فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غُمَّة ثم اقضوا إليَّ ولا تنظرون ، إنَّ وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولَّى الصَّالحين .

فلما سمع ذلك أخواته وبناته ارتفت أصواتهنَّ بالبكاء ! فقال عند ذلك : لا يبعد الله ابن عباس ! يعنى حين أشار عليه ألا يخرج بالنساء معه ويدعهنَّ بمكة إلى أن ينتظم الأمر . ثمَّ بعث أخاه العباس فسكتهنَّ .

ثمَّ قال : راجعوا أنفسكم وحاسبُوها ، هل يصلح لكم قتالُ مثلي ؟ وأنا ابنُ بنت نبيكم ، وليس على وجهِ الأرض ابنُ بنت نبيٍّ غيري، وعليٌّ أبي ، وجعفرُ ذو الجناحين

---

(1) تاريخ الطبري (6/ 349) .

(2) انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (3/ 418) ونهاية الأرب للنويري (5/ 443) وتاريخ الطبري (3/ 318)

عمِّي ، وحمزةُ سيد الشهداءِ عـمُّ أبي، وقـال لي رسـول الله ﷺ ولأخـي : هـذان سـيدا شباب أهل الجنة ! فإن صدَّقتموني بـما أقـول فهـو الحـقّ، فـوالله مـا تعمَّـدت كذبـةً منـذ علمت أن الله يمقت على الكذب، وإلا فاسألوا أصحاب رسول الله ﷺ عـن ذلـك : جابر بن عبد الله ، وأبا سعيد ، وسـهل بـن سـعد ، وزيـد بـن أرقـم ، وأنـس بـن مالـك يخبرونكم بذلك ، ويحكم أما تتَّقون الله ، أما فى هذا حاجزٌ لكم عن سفكِ دمي ؟

فقال عند ذلك شمر بن ذى الجوشن : هو يعبدُ الله على حرفٍ ! إن كان يدري مـا يقول، فقال له حبيب بن مطهر ـ من أصحاب الحسين ـ : والله يا شمر ، إنَّك لتعبـد الله على سبعين حرفًا، وأمَّا نحن فوالله إنا لندرى ما يقول، وإنه قد طُبِع على قلبك .

ثم قال الحسين رضي الله عنه : أيَّها الناس ذروني أرجع إلى مأمنى من الأرض ... ثم أناخَ راحلته وأمر عقبة بن سمعان فعقلها، ثم قال : أخبرونى أتطلبوني بقتيلٍ لكم قتلتُه، أو مالٍ لكم أكلتُه، أو بقصاصةٍ من جراحه ؟ قال فأخذوا لا يكلِّمونه ! [1].

ولقد تفاجأ الحسين رضي الله عنه وهو يخاطبهم، عندما شاهد زعـماء أهـل الكوفـة ، ممّـن راسلوه بالبيعة ، وهم الآن واقفون أمامه يريدون قتله ! فصرـخ بهـم ، ينـاديهم واحـدًا واحدًا : « يا شبث بن ربعي، ويا حجَّار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيـد بـن الحارث، ألم تكتبوا إليّ أنه قد أينعت الثمار، واخضرَّ الجناب، وإنما تُقدِم على جندٍ لـك مجنَّدة ، فأقبِل ! قالوا: لم نفعل ! فقال الحسين رضي الله عنه : سبحان الله ، بلى والله لقد فعلتم . ثم قال : أيُّها النـاس إذا كرهتمـوني ، فـدعوني أنصرـفُ عـنكم إلى مـأمني » [2] . تخيّلـوا معي أيّها الإخوة القرّاء حجم هذه الخيانة ، أهل الكوفة هؤلاء لم يكتفوا بالتخاذل عـن نصرة الحسين رضي الله عنه ، بل انضمّوا بكلّ وقاحةٍ في صفوف المقاتلين !

---

(1) تاريخ الطبري (3/ 318-319) ، البداية والنهاية (8/ 178) .

(2) المصدر نفسه .

وصار الحسين رضي الله عنه يحثّهم على الانضمام إليه، فانضمَّ للحسين منهم ثلاثون، فيهم الحرُّ بن يزيد التميمي ـ الذي كان قائد مقدمة جيش عبيد الله بن زياد ـ ، فقيل للحر: أنت جئت معنا أمير المقدمة والآن تذهبُ إلى الحسين! فقال : « إني والله أخيِّر نفسي بين الجنة والنار، ووالله لا أختار على الجنَّة شيئًا ولو قطِّعتُ وحرِّقت » ثم ضرب فرسه فلحق بالحسين [1] .

فلمَّا أقبل الحرُّ على الحسين رضي الله عنه ، قال له : «جعلني الله فداك يا ابن رسول الله، أنا صاحبُك الذي حبستك عن الرُّجوع وسايرتك في الطريق، وجعجعتُ بك في هذا المكان، والله الذي لا إله إلا هو ما ظننتُ أنَّ القوم يردُّون عليك ما عرضتَ عليهم أبدًا، ولا يبلغون منك هذه المنزلة ! .. وإني قد جئتك تائبًا مما كان منِّي إلى ربي ومواسيًا لك بنفسي حتى أموت بين يديك، أفترى ذلك لي توبة ؟ قال الحسين رضي الله عنه : نعم يتوبُ الله عليك ويغفرُ لك، ما اسمك ؟ قال : أنا الحرُّ بن يزيد ، قال : أنتَ الحرُّ كما سمَّتك أمُّك ، أنت الحرُّ إن شاء الله في الدُّنيا والآخرة » [2] .

ثمَّ استقدم الحرُّ أمام أصحابه ، ونادى أهل الكوفة : « يا أهل الكوفة لأمّكم الهبل والعبر ! إذ دعوتموه حتى إذا أتاكم أسلمتموه ! وزعمتم أنَّكم قاتلو أنفسكم دونه، ثم عدوتُم عليه لتقتلوه، أمسكتُم بنفسه وأخذتُم بكظمه وأحطتُم به من كل جانبٍ فمنعتموه التوجُّه في بلاد الله العريضة، حتى يأمَنَ ويأمَنَ أهلُ بيته، وأصبح في أيديكم كالأسيرِ لا يملك لنفسهِ نفعًا ولا يدفع ضرًا ، ومنعتموهُ ونساءه وصبيته وأصحابه عن

---

(1) تاريخ الطبري (3/ 320) .

(2) تاريخ الطبري (3/ 320) ، الكامل في التاريخ (3/ 421)،والأخبار الطوال للدينوري (ص256)، والبداية والنهاية (8/ 180).

ماء الفرات الجاري، الذي يشربه اليهوديُّ والمجوسيُّ والنصرانيُّ، وتمرغ فيه خنازير السَّواد وكلابه، بئسما خلفتم محمدًا في ذرِّيته ، لا سقاكم الله يوم الظمإ إن لم تتوبوا وتنزعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا في ساعتكم هذه » فحملت عليه رجالة لهم ترميه بالنَّبْل، فأقبل حتى وقف أمام الحسين رضي الله عنه [1] .

وهنا دعا الحسين رضي الله عنه على أهل الكوفة قائلاً: «اللهم إن متَّعتهم إلى حين، ففرِّقهم فِرقاً، واجعلهم طرائق قدداً، و لا تُرض الوُلاة عنهم أبداً، فإنهم دعونا لينصرونا، ثم عدوا علينا فقتلونا»[2].

هيهات منّا الذلة !!

وبدأت المعركة سريعةً، وكانت مبارزة في أوَّل الأمر، فخرج يسار مولى زياد وسالم مولى عبيدالله بن زياد، فقالا : من يبارز ؟ ليخرج إلينا بعضكم، فخرج لهما عبدالله بن عمير الكلبي ، فتقاتلوا .. فشدَّ سالمٌ على الكلبيِّ وهوى بسيفه عليه، فأتَّقاه الكلبي بيده اليسرى فأطار أصابع كفِّه اليسرى ثم مال عليه الكلبي فضربه حتى قتله! وأقبل الكلبي مرتجزًا وهو يقول وقد قتلهما جميعا :

إني امرؤٌ ذو مرة وعصب * ولستُ بالخوار عند النكب[3]

لقد جُوبِه جيش عمر بن سعد بمقاومةٍ شديدةٍ من قبل أصحاب الحسين ! وقاتلوا قتالاً شديدًا، فكانوا لا يحملون على جانب من جيش الكوفة إلا كشفوه .

---

(1) تاريخ الطبري (3/ 321) ، الكامل في التاريخ (3/ 421) .

(2) من كتب الشيعة : الإرشاد للمفيد (ص:241)، إعلام الورى للطبرسي (ص:949)، كشف الغمة (2/ 18 ـ 38) .

(3) تاريخ الطبري(3/ 321) .

ودخل عليهم وقتُ صلاة الظهر، فقال أبو ثمامة الصائدي للحسين : « نفسي لنفسك الفداء، أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، والله لا تُقتل حتى أُقتلَ دونك، وأحبُّ أن ألقي ربي وقد صليتُ هذه الصلاة التي قد دنا وقتها، فرفع الحسين رضي الله عنه رأسه وقال : ذكرتَ الصلاة، جعلك الله من المصلين الذَّاكرين، نعم هذا أول وقتها، ثم قال : « مروهم فليكفُّوا عن القتال، حتى نصلِّي . فقال الحصين بن نمير : إنَّها لا تقبل منكم ! فقال له حبيب بن مطهر : ويحك ! زعمت أنَّ الصلاة لا تقبلُ من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقبلُ منك يا حمار [1]! وفي تلك اللحظات، والرؤوسُ تبرمُ عن كواهلها، صلَّى الحسين الظهر صلاة الخوف، ثم اشتدَّ القتالُ بعد الصلاة [2]!

ودافع عن الحسين رضي الله عنه صناديدُ أصحابه وقاتلوا بين يديه قتالاً عظيمًا ، وقاتل حبيبٌ قتالا شديدًا حتى قَتَل رجلاً يقال له بديل بن صريم ، وجعل يقول :

أنا حبيبٌ وأبي مطهرُ * فارس هيجاء وحَرب مسعّرُ

أنتم أوفر عدة وأكثرُ * ونحنُ أوفى منكم وأصبرُ

ونحن أعلى حجةً وأظهرُ * حقًّا وأبقى منكم وأطهرُ

ثم حمل على حبيب هذا رجلٌ من بنى تميم، فطعنه فوقع ثم ذهبَ ليقوم فضربَهُ الحصين بن نمير على رأسه بالسيف فوقع، ونزل إليه التميمى فاحتزَّ رأسه وحمله إلى ابن زياد [3]. وكان الرجل من أصحاب الحسين رضي الله عنه إذا قُتل بان فيهم الخلل، وإذا قُتل من أصحاب ابن زياد الجماعة الكثيرة لم يتبيَّن ذلك فيهم لكثرتهم [4] !

---

(1) تاريخ الطبري(3/ 326)، الكامل في التاريخ (3/ 425)، البداية والنهاية : (8/ 183) .

(2) البداية والنهاية : (8/ 184) .

(3) تاريخ الطبري(3/ 326) ، البداية والنهاية : (8/ 183) .

(4) البداية والنهاية : (8/ 183) .

ولما قُتل حبيبٌ بن مظهر هدَّ ذلك حسينًا وقال عند ذلك : « أحتسبُ نفسي وحماة أصحابي » ! فأخذ الحرُّ يرتجز ويقول :

آليــتُ لا أقتــل حتــى أُقتــلا * ولــن أُصــاب اليــوم إلا مقــبِلا

أضرُبهـم بالسـيفِ ضربًـا مقصـلا * لا نــاكلاً عــنهم ولا مهلــلا[1]

ترامى الناس بالنِّبال، وأخذ الحرُّ بن يزيد التميمي بالكرّ على أصحاب ابن زياد فقاتلهم، فقتَل منهم رجلين ثم قُتل رحمة الله عليه[2] .

وقام **عليُّ بن الحسين** يلوح بسيفه وينشد بيتا :

أنا عليُّ بن الحسين بنِ علي * نحنُ وربِّ البيتِ أولى بالنبي

تــالله لا يَحْكُــمُ فِينَــا ابــن الــدَّعِي

ففعل ذلك مرارًا ، فحمل عليه مرة بن منقذ العبدي فطعنه فصُرِع رحمه الله! وقطَّعه الناس بسيوفهم، فلما رآه الحسين قال : « قتل الله قومًا قتلوك يا بنيّ، ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حُرمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، عليَّ الدنيا بعدك العفاء » وأقبل الحسين إليه ومعه فتيانه فقال : « احملوا أخاكم » فحملوه حتى وضعوه بين يدي الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه .

ورَمَى عمرُو بن صبيح الصدائي عبدَ الله بن مسلم بن عقيل بسهمٍ فوضع كفَّه علي جبهته ! فلم يستطع أن يحرِّكها ثم رماه بسهمٍ آخر فقتله رحمه الله!

وحمل جيش الكوفة على الحسين رضي الله عنه وأصحابه من كل جانب، فحمل عبد الله بن قطبة الطائي على عون بن عبد الله بن جعفر فقتله رحمه الله!

---

(1) تاريخ الطبري (3/ 327) . البداية والنهاية : (8/ 183) .

(2) تاريخ الطبري (3/ 299) بإسناد حسن.

وحمل عثمان بن خالد الجهني وبشر بن سوت الهمداني على عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب فقتلاه رَحِمَهُ اللَّهُ!

ورمى عبد الله بن عروة الخثعمي جعفر بن عقيل فقتله رَحِمَهُ اللَّهُ [1]!

ويجئ سهمٌ، فيقع بابن للحسين صغير، معه في حِجره، فجعل يمسح الدمّ عنه، ويقول: «اللهم احكم بيننا وبين قومٍ دعونا لينصرونا، فقتلونا ! » [2] .

وبرز إلى الميدان **أبو بكر بن عليٍّ**، وهو يرتجز:

شيخي عليٌّ ذو الفقارِ الأطولِ * من هاشم الخير الكرام المفضَّلِ

هذا الحسين ابن النبيِّ المرسلِ * عنهُ نُحامي بالحسامِ المصقَّلِ

أَفديهِ نفسي عن أخٍ مبجَّلِ [3]

كانت الكفتان غيرَ متكافئتين، فرأى أصحاب الحسين، أنهم لا طاقة لهم بهذا الجيش، فصار همُّهم الوحيد الموت بين يدي الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فأصبحوا يموتون بين يديه، يتساقطون واحدًا تلو الآخر، تساقطتْ أجسادهم، لكن أرواحهم تسامت وتعالت، ونفوسهم زكت وشرفت إلى عنان السماء، وإلى جنات عدن، إلى مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر.

يأتي أبو بكر بن عليٍّ فيُقتل، ويأتي أبو بكر بن الحسنِ فيُقتل، ويأتي أبو بكر بن الحسينِ فيُقتل، ويأتي جعفر والعباس، فيقتلان، كلّ ذلك دفاعاً عن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لقد

---

(1) تاريخ الطبري (3/ 330)، الكامل في التاريخ (3/ 428) .

(2) تاريخ الطبري (3/ 298)، سير أعلام النبلاء (3/ 309) .

(3) المناقب : (2/ 107) ، وذكر هذه الأبيات الخوارزمي في مقتله (2/ 47) إلا أنّه ذكر بأنّ قائلها هو : أبو بكر بن الحسن بن عليّ .

صدقوا عندما بايعوا قائلين: «نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا، ونقاتل معك حتى نرد موردك، فقبَّح الله العيش بعدك» [1].

لقد اشتدّ القتال كثيرًا بين الطرفين، لكن أصحاب الحسين اتّسم قتالُهم بالفدائية، فلم يعد لهم أمل في الحياة، يتقدّم إخوة الحسين، وأبناؤه، وأبناء أخيه، وأبناء عقيل، وأبناء عبدِ الله بنِ جعفر .. يقاتلون بين يديه، ويحاولون الدِّفاع عنه، فيُقتلون واحدًا تلو الآخر رضي الله عنهم أجمعين، ولسان حالهم يقول:

إلى ديَّانِ يومِ الدينِ نمضي * وعند اللهِ يجتمعُ الخُصومُ

وأقبل إلى الحسين غلام من أهله، فأخذته زينب بنت علي لتحبسه، فأبى الغلام، وجاء يشتد حتى قام إلى جنب الحسين، وقد أهوى ابن كعب بن عبيد الله من بني تيم إلى الحسين بالسيف، فقال له الغلام: يا ابن الخبيثة أتقتل عمِّي؟! فضربه بالسيف فاتقاه الغلام بيده، فأطنها إلى الجلد، فنادى الغلام: يا أمتاه، فضمه الحسين إليه وقال: «يا ابن أخي اصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير، فإن الله يلحقك بآبائك الصالحين، برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلي حمزة وجعفر والحسن»[2].

قُتِلوا جميعاً ولم يبقَ منهم أحدٌ، إلا الحسينَ رضي الله عنه.

عطش الحسين رضي الله عنه فجاءه رجل بماء، فتناوله، فرماه حصين بن تميم بسهم، فوقع في فيه، فجعل يتلقى الدم بيده ويحمد الله، وتوجه نحو المسناة يريد الفرات،

---

(1) انظر: تاريخ الطبري (3/ 315)، الكامل في التاريخ (3/ 416)، البداية والنهاية (8/ 177).

(2) نهاية الأرب للنويري (5/ 449).

فحالوا بينه وبين الماء، ورماه رجل بسهمٍ فأثبته في حنكه[1].

وبقي الحسين رضي الله عنه بعد ذلك نهاراً طويلاً لا يقدم عليه أحدٌ إلا رجَع، لا يريد أن يُبتلي بقتله رضي الله عنه ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا ولكن كان يتَّقي بعضهم ببعضٍ دمه! ويحبُّ هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء مؤنة قتله، والحسين رضي الله عنه يقول: « أعلى قتلي تحابون؟ »[2]، وخرجت أختُه زينب بنت فاطمة إليه، فجعلت تقول: « ليتَ السماء تقعُ على الأرضِ »[3].

واستمرَّ هذا الأمر حتى جاء شمر بن ذي الجوشن، فصاح بالناس: « ثكلتكم أمَّهاتكم! ماذا تنتظرون به؟ »[4]، فجاءوا وحاصروا الحسين بن علي، فصار الحسين رضي الله عنه يشدُّ عليهم ويجول فيهم بالسيف يمينًا وشمالاً، فيتنافرون عنه كتنافر المعزى عن السَّبُع، حتى قَتل منهم من قَتل، ولكن الكثرة تغلب الشجاعة!

قال عبد الله بن عمار: « رأيتُ الحسين حين اجتمعوا عليه يحمل على من على يمينه، حتى انذعروا عنه، فوالله ما رأيتُ مكثورًا قطُّ قد قُتِل أولادُهُ وأصحابُهُ أربط جأشًا منه، ولا أمضى جَنانًا منه، والله ما رأيتُ قبلَه ولا بعدَه مثله »[5].

فحملت الرِّجالُ من كل جانب على الحسين رضي الله عنه، فضربه زرعة بن شريك التميمي على كتفه اليسرى، ثمَّ ضربه على عاتقه، ثم انصرفوا عنه **وهو ينوءُ ويكبو**

---

(1) ذكره الذهبي في السير (3/ 302).

(2) البداية والنهاية (8/ 188).

(3) البداية والنهاية (8/ 187).

(4) تاريخ الإسلام للذَّهبي (5/ 13).

(5) البداية والنهاية (8/ 188).

رضي الله عنه[1]! ثم جاء إليه سنانُ بن أنس النَّخعي فطعنه بالرُّمح في ترقوتِهِ فوقع ، ثم انتزع الرُّمح وطعَن في بواني صدره ، فخَرَّ رضي الله عنه صريعاً[2]، ثم نزل **فذبَحَهُ ! وحزَّ رأسه**[3]!

أقول : ليت المجرمين اكتفوا بقتل الحسين رضي الله عنه ، بل قاموا بفصل رأسه عن جسده، أهكذا يُفعل مع الحسين رضي الله عنه ؟؟ أليس النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال عن الحسن والحسين: «هما ريحانتاي من الدنيا» أما علم هؤلاء القتلة أنّ الريحانة تشمُّ ولا تقطع، وتمسح ولا تُقلع!! وبمثل هذه المواقف المؤلمة حُقَّ للعيون أن تدمع، وللقلوبِ أن تحزن، لكن اللسان لا ينطق إلا: (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

ولم يفلت من أهل البيت سوى علي الأصغر الملقّب بزين العابدين ، والحسن بن الحسن ، لعدم مشاركتهما في القتال ، لمرضٍ ألمَّ بهما[4] .

وكان الحسينُ الصارمُ الحازم الذي * متى يُقصر الأبطالُ في الحرب يشددِ

شبيه رسول الله بالبأس والنَّدى * وخيرُ شهيد ذَاق طعمَ المهندِ

لمصرعه تبكي العيون وحقُّها * فلّله من جُرم وعظم تمردِ

وأُخِذ ثَقَل الحسين، وأخذ رجلٌ حليَّ فاطمة بنت الحسين وبكى ; فقالت: «لم تبكي؟ فقال: أأسلبُ بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا أبكي؟ قالت: فدعهُ، قال: أخاف أن

---

(1) البداية والنهاية (8/ 187) .

(2) تاريخ الإسلام للذَّهبي (5/ 13) .

(3) البداية والنهاية (8/ 187) ، وقيل إنَّ الذى قتله : شمر بن ذى الجوشن، وقيل رجلٌ من مذحج ، ورجّح ابن كثير : سنان بن أنس ، وقال هو الأشهر (8/ 188) . كما قيل بأنّ الذي حزّ رأسه هو : خولي الأصبحي . تاريخ الإسلام للذَّهبي (5/ 13) .

(4) البداية والنهاية (8/ 188) ، وقيل إنّ الحسن بن الحسن استصغر فلم يُقتل . تاريخ الطبري (3/ 343).

يأخذه غيري» [سير أعلام النبلاء (3/ 303)] .

رحمك الله يا حسين، رفع الله درجتك ياريحانة رسول الله، أعز الله عنده مقامك يا ابن رسول الله، فوالله إنَّ حبك لفي أعماق الفؤاد جذوره، وكراهية من قتلك لتأط منها أنفسنا، لك الفخر وأنت أهل المفاخر، لقد قُتِلتَ والله يعلم أنَّك لمظلوم، قال ابن تيمية: «وأما مقْتُل الحسين رضي الله عنه فلا ريب أنه قُتِل مظلوماً شهيداً كما قُتل أشباهُه من المظلومين الشُّهداء، وقَتْل الحسين معصيةٌ لله ورسوله مِمَّن قَتَله أو أعان على قتله، أو رضي بذلك، وهو مصيبةٌ أصيب بها المسلمون من أهله وغير أهله،وهو في حقه شهادةٌ له، ورفعة درجة، وعلو منزلة، فإنَّه وأخاه سبقت لهما من الله السعادة التي لا تنال إلا بنوعٍ من البلاء، ولم يكن لهما من السوابق ما لأهل بيتهما، فإنهما تربَّيا في حجر الإسلام، في عزٍّ وأمان، فمات هذا مسموماً، وهذا مقتولاً، لينالا بذلك منازل السعداء، وعيش الشهداء»[1].

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يرى الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم في المنام :

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: « رأيتُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام بنصف النهار أشعثَ أغبرَ معه قارورةٌ فيها دم يلتقطه ! قلت: يا رسول الله، ما هذا؟ قال : دمُ الحسينِ وأصحابِه ! لم أزل أتتبعه منذ اليوم ! قال عمار - راوي ذلك الحديث - : فحفظنا ذلك فوجدناه قُتِل ذلك اليوم » [2].

أسماء شباب أهل البيت الذين قُتلوا دفاعًا عن الحسين :

وبالجملة إليك أخي القارئ أسماء خيرة شباب أهل البيت، الذين قتلوا بجانب

---

(1) منهاج السنة لابن تيمية (4/ 550)

(2)فضائل الصحابة رقم 1380 ، وإسناده صحيح .

الحسين ﷺ في موقعة الطفّ:

1. أبو بكر بن علي بن أبي طالب.
2. عمر بن علي بن أبي طالب.
3. عثمان بن علي بن أبي طالب.
4. جعفر بن علي بن أبي طالب.
5. العباس بن علي بن أبي طالب.
6. أبو بكر بن الحسن بن علي.
7. عمر بن الحسن بن علي –وكان صغيرًا–
8. طلحة بن الحسن بن علي.
9. علي الأكبر بن الحسين بن علي.
10. عبد الله بن الحسين بن علي.
11. أبو بكر بن الحسين بن علي –وكان صغيرًا–
12. عمر بن الحسين بن علي.
13. جعفر بن عقيل.
14. عبد الله بن عقيل.
15. عبد الرحمن بن عقيل.
16. عبد الله بن مسلم بن عقيل.
17. عون بن عبد الله بن جعفر.
18. محمد بن عبد الله بن جعفر.

حال أهل بيته بعد مقتله:

كان من أخبث الناس جرماً على الحسين ﷺ وآل بيته: شمر بن ذي الجوشن، فلقد حمل أثناء المعركة حتى طعن فسطاط الحسين برمحه، ونادى: عليّ بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله، فصاحت النساء، فناداه الحسين: «أنت تريد أن تحرق بيتي

حرقك الله بالنار»[1]، ونهاه شبث بن ربعي فانتهى، وقال له أحدهم: «إن هذا لا يصلح لك، تعذّب بعذاب الله وتقتل الولدان والنساء، والله إن في قتل الرجال لما يرضى به أميرك»[2].

وانتهوا إلى علي بن الحسين وهو مريض، وأراد شمر قتله فمنعه حميد بن مسلم، وجاء عمر بن سعد وقال: لا يدخلن بيت النبوة أحد، ولا يعرض لهذا الغلام المريض، وليرد عليهم متاعهم، ولم ينج من القوم إلا اثنان[3]، وهنالك قال علي بن الحسين: «جزيت من رجل خيراً، فوالله لقد دفع الله عني بمقالتك شراً»[4].

طلعت شمس الحادي عشر من شهر محرّم على أرض كربلاء، وهي حزينةٌ كئيبةٌ، كيف لا؟ وهي تحتضن جثمان سيّد شباب أهل الجنة، وريحانة رسول الله ﷺ ، وجاء أعوان عبيد الله بن زياد بالإبل؛ ليحملوا عليها كرائم أهل البيت إلى الكوفة، فسار بهنّ الحادي على ساحة المعركة، حيثُ الأبدان المقطّعة، والأشلاء المتناثرة، والمشاهد المروِّعة، وألقت نساء أهل البيت ببصرهنّ، ووَدَّعنَ الحسين وهنّ على ظهر الناقة بعيونٍ عَبرى، وقلبٍ كئيب.

ثم ارتحل عمر بن سعد إلى الكوفة بعد مقتلهم بيومين، ومعه نساؤهم وصبيانهم وبناتهم، وعلي بن الحسين مريض، ومروا بالحسين وأصحابه صرعى، وحمل عمر بن سعد بحمل نساء الحسين وأخواته وبناته وجواريه وحشمه في المحامل المستورة على

---

(1) تاريخ الطبري (3/ 326)

(2) الكامل في التاريخ لابن الأثير (3/ 425).

(3) سمط النجوم للعصامي (3/ 180).

(4) تاريخ الطبري (3/ 335).

الإبل[1]، ووكل بهم عمر بن سعد من يحرسهم ويكلؤهم، ثم أركبوهم على الرواحل في الهوادج.

كيف كان قدوم أهل بيت الحسين على أهل الكوفة:

اتّجهت قافلةُ الحزن إلى الكوفة، وقد ضمّت كرائم أهل البيت، فيها زينب بنت عليّ، وسُكينة بنت الحسين، وفاطمة بن الحسين، إضافة إلى الحسن بن الحسن، وعلي زين العابدين بن الحسين، فكيف استقبل أهل الكوفة تلك القافلة؟ لقد استقبلها أهل الكوفة رجالاً ونساءً متفرّجين! وهنا ألقت فاطمة بنت الحسين تلك الكلمات الرّنانة، التي هزّت كيان أهل الكوفة، وممّا قالته:

«... يا أهل الكوفة، يا أهل المكر والغدر والخيلاء، فإنا أهل بيت ابتلانا الله بكم وابتلاكم بنا، فجعل بلاءنا حسناً، ألا لعنة الله على الظالمين، ويلكم! أتدرون أية يد طاعنتنا منكم، وأية نفس نزعت إلى قتالنا، أم بأية رجل مشيتم إلينا تبغون محاربتنا؟! والله قست قلوبكم، وغلظت أكبادكم، وطبع على أفئدتكم، وختم على سمعكم وبصركم، وسول لكم الشيطان وأملى لكم، وجعل على أبصاركم غشاوةً فأنتم لا تهتدون، فتباً لكم أهل الكوفة»[2]

فأخذ أهل الكوفة يبكون، ويبالغون في الصّراخ والنّحيب، بعد ما أدركوا حجم خيانتهم وغدرهم لسيّد شباب أهل الجنّة، ولكن بعد ماذا؟ فصاح بهم علي زين العابدين بن الحسين، قائلاً: « أتنوحون وتبكون من أجلنا ! فمن ذا الذي قتلنا ؟ » [من كتب الشيعة : لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين ص 199] .

---

(1) الأخبار الطوال؛ للدينوري (ص259).

(2) اللهوف (ص:65 –67).

ثم دخلوا الكوفة، فأكرمهم ابن زياد، وأجرى عليهم النفقات والكسوة وغيرها[1].

موقف النّوار بنت مالك: جاء في تاريخ الطبري أنّ خوليّ بن يزيد الذي بعثه عمر بن سعد برأس الحسين إلى عبيد الله بن زياد، لما بلغ خولي الكوفة قصد القصر، فوجد بابه مغلقاً، فتوجه بالرأس الشريف إلى بيته، فوضعه هناك تحت إجَانة - والإجانة إناء تغسل فيه الثياب - ثم دخل على زوجته **النّوار بنت مالك الحضرمية**، وآوى إلى فراشه، فقالت له زوجته: ما الخبر؟ ما عندك؟ قال: «جئتك بغنى الدهر، هذا رأس الحسين معك في الدار، فقالت: ويلك جاء الناس بالذهب والفضة، وجئت برأس ابن رسول الله ﷺ! لا والله لا يجمع رأسي ورأسك بيت أبداً»[2].

هذه امرأة انتظرت زوجها طويلاً، لقد كانت ترجو أن يعود إليها زوجها بأخبارٍ سارة تشرح صدرها، لقد كانت تنتظر أن يأتيها زوجها بالذهب والفضة اللذين غالبًا ما يعود بهما المحاربون، ولكن زوجها جاءها بما عكر عليها صفوها، حمل إليها رأس الحسين ابن رسول الله ﷺ! ثم إنها يبلغها الخبر بفرحةٍ تدل على رضاه وسروره، أفتفرح هي بذلك؟ أبدًا، لهذا غادرت النوّار فراش زوجها، وأقسمت ألا تجتمع معه في بيت أبداً.

حُمل رأس الحسين إلى عبيد الله بن زياد بالكوفة، وقال قائلهم:

أوقر ركابي فضةً وذهبا ... أنا قتلت الملك المحجَّبا

قتلت خير الناس أماً وأبا ... وخيرهم إذ ينسبون نسبا

فلما وصل الرأس إلى عبيد الله بن زياد جعل ينكت به (أي يضربه)، ومعه قضيب

(1) البداية والنهاية (8/ 193) .

(2) تاريخ الطبري (6/ 385).

يدخله في فم الحسين ويقول: إن كان لحسن الثغر، فكان أنس بن مالك ﵁ جالساً، فأخذ يبكي بكاءً شديدًا، فقال له عبيد الله بن زياد: مالك؟ فقام أنس بن مالك - وكان شيخًا كبيرًا - ثمّ قال: «والله لأسوأنّك، ارفع قضيبك، لقد رأيت رسول الله ﷺ يقبِّل موضع قضيبكَ من فيه »[1].

وعن زيد بن أرقم ﵁ قال: «كنت عند عبيد الله، فأتي برأس الحسين، فأخذ قضيبًا، فجعل يفتر به عن شفتيه، فلم أر ثغراً كان أحسن منه كأنه الدر، فلم أملك أن رفعت صوتي بالبكاء، فقال: ما يبكيك أيها الشيخ؟ قلت: يبكيني ما رأيت من رسول الله ﷺ ، رأيته يمصّ موضع هذا القضيب، ويلثمه، ويقول: اللهم إني أحبه فأحبه»[2].

قال إبراهيم النّخعي ﵀: « لو كنت فيمن قَتَل الحسين بن علي ، ثم غُفِر لي ، ثم أدخلتُ الجنةَ ، استحييتُ أن أمرَّ على النبيِّ ﷺ فينظر في وجهي » ! [3].

فجاءت الرواحل بالنساء والأطفال، وأُدخلوا على ابن زياد، فدخلت زينب بنت فاطمة فقال: «من هذه؟ فلم تكلمه، فقال بعض إِمائها: هذه زينب بنت فاطمة، فقال ابن زياد: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم، فقالت: بل الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد وطهرنا تطهيراً، لا كما تقول، وإنما يفتضح الفاسق ويكذِب الفاجر. قال: كيف رأيتِ صنع الله بأهل بيتكم؟ فقال: كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع

---

(1) المعجم الكبير (3/ 125) ، فتح الباري (7/ 96) . وفي رواية قال: «ارفع قضيبك فقد رأيت رسول الله ﷺ يلثم حيث تضع قضيبك، فانقبض» رواه البزار والطبراني، الفتح (7/ 96) .

(2) سير أعلام النبلاء(3/ 315).

(3) المعجم الكبير (3/ 112) .

الله بينك وبينهم فيحاجونك إلى الله».

ووجد بالحسين رضي الله عنه حين قُتل ثلاثة وثلاثين طعنةً ، وأربعة وثلاثين ضربةً ! [1].

أين رأس الحسين رضي الله عنه ؟

لقد انتشرت المشاهد الكثيرة في ديار المسلمين ، وكلها تدعي وجود رأس الحسين عندها ! فقيل إنّه في دمشق ، وقيل في كربلاء ، وقيل في الرِّقة ، وقيل في عسقلان ، وقيل في القاهرة .. الخ ، وكلّ ذلك لم يثبت بنقلٍ صحيح ، بل الصّحيح بأنّ رأس الحسين دفن المدينة النبوية ، فقد ذكر ابن سعد في طبقاته [(5/ 237)] : « أنّ يزيد بعث بالرأس إلى عمرو بن سعيد والي المدينة، فكفَّنه ودفنه بالبقيع إلى حيث قبر أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، وقال الحافظ أبو يعلى الهمداني: وهو أصحُّ ما قيل في ذلك[2]، وهو ما ذهب إليه علماء النسب مثل : الزبير بن بكار ومحمد بن الحسن المخزومي ، وكثيرٌ من العلماء أمثال : ابن أبي الدنيا ، وأبو المؤيد الخوارزمي، وابن سعد ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، وابن دحية ، وابن تيمية ، وقال ابن تيمية: « ثـمَّ إن دفنه بالبقيع هو الذي تشهد له عادة القوم ، فإنهم كانوا في الفتن، إذا قتل الرجل منهم - لم يكن منهم - سلَّموا رأسه وبدنه إلى أهله »[3].

ندم أهل الكوفة لخذلانهم للحسين رضي الله عنه :

القليل القليل من أهل الكوفة الذين أثر فيهم حدث مقتل الحسين رضي الله عنه وأهل بيته، مثل عبيد الله بن الحر، فإنه ندم على تركه إجابة الحسين حين دعاه بقصر بني

---

(1) سير أعلام النبلاء (3/ 302) ، البداية والنهاية (8/ 188).

التذكرة (295/2) .[2]

رأس الحسين صـ183 .[3]

مقاتل إلى نصرته، وقال:

فيالك حسرةً ما دمت حيا	تردّد بين حلقي والتراقي
حسين حين يطلب بذل نصري	على أهل العداوة والشقاقِ
فما أنسى غداة يقول حزنا	أتتركني وتزمع لانطلاق؟
فلو فلق التلهف قلب حي	لهم القلب مني بانفلاق
فقد فاز الأولى نصروا حسيناً	وخاب الآخرون أولو النفاق

ثم مضى نحو أرض الجبل مغاضبا لابن زياد، واتبعه أناس من الكوفة[1]، فبات عند أحمر بن يزيد بن الكبشم الطائي، ثم خرج من عنده فأتى المدائن، وقال يرثي الحسين عليه السلام:

يقول أميرٌ جائرٌ حقّ جائرٍ	ألا كنت قاتلت الشهيد ابن فاطمة
ونفسي على خذلانه واعتزاله	وبيعة هذا الناكث العهد سادمه
فيا ندمي ألاّ أكون نصرته	ألا كلّ نفسٍ لا تسدد نادمه
سقى اللهّ أرواح الذين تأزّروا	على نصره سقياً من اللهّ دائمه[2]

ومن جملة من كان في الكوفة وندم لقتل الحسين: أبو عثمان النهدي من ساكني الكوفة، ولم يكن له دار في النهد، فلما قتل الحسين بن علي تحول فنزل البصرة، وقال: «لا أسكن بلداً قتل فيه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[3].

---

(1) الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري (ص262)، وخزانة الأدب؛ لعبد القادر البغدادي(2/ 138).

(2) انظر: أنساب الأشراف (2/ 383)

(3) تاريخ دمشق (35/ 480)

أما نساء بعض أهل الكوفة فلقد كانت لهن مواقف حسنة لما قتل الحسين رضي الله عنه، فهذه أم ابن زياد قبحه الله قالت له حين قتل الحسين: ويحك ماذا صنعت وماذا ركبت؟ وعنَّفته تعنيفاً شديداً[1]، بل قالت له: «يا خبيث، قتلت ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لا ترى الجنة أبداً»[2].

وبعد مقتل الحسين رضي الله عنه قامت حركة تسمى بحركة التوابين، يقودها سليمان بن صرد، وكان قد كتب إلى الحسين بالخروج ثم تخلَّف عنه، ولم يقاتل معه، وكان كثير الشك[3]، فلما قتل الحسين ندم هو والمسيب بن نجبة، وعبد الله بن سعيد بن نوفل، وعبد الله بن وال التيمي، ورفاعة بن شداد البجلي[4]، وكل قد تخلف عنه ممن كتب له، وقالوا: ما لنا من توبةٍ مما فعلنا إلا أن نقتل أنفسنا في الطلب بدمه، فخرجوا فعسكروا بالنخيلة، عام خمسة وستين، ثم أخرج لهم ابن زياد جيشاً فاقتتلوا، فقُتل سليمان بن صرد بموضع يقال له عين الوردة[5] وقيل كان عددهم أربعة آلاف، فاتجهوا إلى الشام فلقيهم خيل الشام فاقتتلوا، فقتل الشاميون أكثر هذا الجيش، منهم قائدهم سليمان بن صرد[6].

الحسين رضي الله عنه ينال الشهادة.. تكميلاً لكرامته:

---

(1) البداية والنهاية (8/ 119)

(2) تاريخ دمشق (37/ 451)، تاريخ الإسلام للذهبي(5/ 15).

(3) الطبقات الكبرى؛ لابن سعد (4/ 292)

(4) الكامل في التاريخ لابن الأثير (3/ 486)

(5) الاستيعاب؛ لابن عبد البر(1/ 196)

(6) الطبقات الكبرى؛ لابن سعد(6/ 26).

وهكذا انتهت قصة الحسين رضي الله عنه، وفاضت الروح الطاهرة في يوم الجمعة[1]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والحسين رضي الله عنه أكرمه الله تعالى بالشهادة في هذا اليوم، وأهان بذلك من قتله أو أعان على قتله أو رضي بقتله، وله أسوة حسنة بمن سبقه من الشهداء، فإنه وأخوه سيدا شباب أهل الجنة، وكانا قد تربيا في عز الإسلام، ولم ينالا من الهجرة والجهاد والصبر على الأذى في الله ما ناله أهل بيته، فأكرمهما الله تعالى بالشهادة تكميلًا لكرامتهما ورفعًا لدرجاتهما، وقتله مصيبة عظيمة، والله سبحانه قد شرع الاِسْتِرْجَاعَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[2]»[3].

وقال أيضًا: «ولما كان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، كانا قد ولدا بعد الهجرة في عز الإسلام، ولم ينلهما من الأذى والبلاء ما نال سلفهما الطيب، فأكرمهما الله بما أكرمهما به من الابتلاء ليرفع درجاتهما، وذلك من كرامتهما عليه لا من هوانهما عنده، كما أكرم حمزة، وعليا، وجعفرًا، وعمر، وعثمان، وغيرهم بالشهادة»[4].

من المسئول الحقيقي عن مقتل الإمام الحسين رضي الله عنه ؟

على أرض كربلاء من بلاد العراق، قُتِل ريحانة النبي صلى الله عليه وسلم الحسين رضي الله عنه، مع جمعٍ كبير من شباب أهل البيت على أيدي أعوان عامل يزيد: عبيد الله بن زياد، عامله الله

(1) وللتفصيل انظر: البداية والنهاية لابن كثير، وسير أعلام النبلاء للذهبي، والإصابة لابن حجر.

(2) [البقرة:157].

(3) مجموع الفتاوى(4/ 511-512).

(4) مجموع الفتاوى (27/ 473-474).

بما يستحق، وذلك في مأساة هزّت المجتمع المسلم في وقتها، وألقت بظلالها عليه فيما بعد، والأطراف المسئولة عن استشهاد الإمام الحسين رضي الله عنه هي[1]:

1 - **أهل الكوفة**: الذين كاتبوا الحسين ومنّوه بالخروج إلى الكوفة، بالرغم من تحذيرات الصحابة له، ثمّ تأخروا عن نصرته وتأييده، بل وانخرطوا في الجيش الذي حاربه وقتله.[2]

2 - **والي الكوفة والبصرة عبيد الله بن زياد**: الذي كان والياً ظالماً، قبيح السريرة، شاتمًا للصّحابة، مبغضًا لأهل البيت، وهو الذي رفض كل عروض الحسين، وفرح بمقتله، وقد نكت برأس الحسين وضربه.

3 - **جيش الكوفة وقائده**: وقد كان في الجيش بعض زعماء أهل الكوفة الذين كاتبوا الحسين بالنصرة، ثمّ غدروا به وقاتلوه، أما عمر بن سعد فقد قاد جيش الكوفة

---

(1) الدولة الأموية للصلابي (1/ 484).

(2) قال السيد محسن الأمين: «بايع الحسين عشرون ألفاً من أهل العراق، غدروا به وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم، وقتلوه» أعيان الشيعة (1/ 34)، ويقول كاظم الإحسائي النجفي: «إن الجيش الذي خرج لحرب الإمام الحسين عليه السلام ثلاثمائة ألف، كلهم من أهل الكوفة، ليس فيهم شامي ولا حجازي ولا هندي ولا باكستاني ولا سوداني ولا مصري ولا أفريقي، بل كلهم من أهل الكوفة، قد تجمعوا من قبائل شتى"عاشوراء (ص:89)، وقال حسين كوراني: «أهل الكوفة لم يكتفوا بالتفرق عن الإمام الحسين، بل انتقلوا نتيجة تلون مواقفهم إلى موقف ثالث، وهو أنهم بدؤوا يسارعون بالخروج إلى كربلاء، وحرب الإمام الحسين عليه السلام، وفي كربلاء كانوا يتسابقون إلى تسجيل المواقف التي ترضي الشيطان، وتغضب الرحمن، مثلاً نجد أن عمرو بن الحجاج الذي برز بالأمس في الكوفة وكأنه حامي حمى أهل البيت، والمدافع عنهم، والذي يقود جيشاً لإنقاذ العظيم هانئ بن عروة، يبتلع كل موقفه الظاهري هذا، ليتهم الإمام الحسين بالخروج عن الدين"في رحاب كربلاء (ص:60-61).

إلى قتال الحسين طمعًا في إمارة الرّي.

4 – **القاتل المباشر**: قام سنان بن أنس النّخعي بطعن الحسين ﵁ واحتزّ رأسه، وقيل غيره، والذي تولى الإجهاز عليه: شمر بن ذي الجوشن، وحمل رأس الحسين إلى ابن زياد: خولي بن يزيد الأصبحي.

5 – **الحاكم الأموي يزيد**: حيث كان قادراً على توجيه أوامر صارمة لابن زياد بعدم قتل الحسين، لكنه لم يفعل، كما يؤخذ عليه تركه لقتلة الحسين، وسيظلّ مقتل الحسين وصمة عارٍ ونقطة سوداء في عهده.

ولا شكّ أنّ يزيد مسئولٌ عن كلّ هذه الدّماء التي أسيلت على أرض كربلاء، وأمّا ما رُوي من حُزن يزيد على استشهاد الحسين ﵁ – إن صحَّ الخبر –، فلا يَشفعُ له ذلك، فأين معاقبة المجرمين؟ وعلى رأسهم النّاصبي: عبيد الله بن زياد! قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولكنه مع ذلك –أي مع إظهار الحزن على الحسين– ما انتصرَ للحسينِ، ولا أمر بقتلِ قاتلِهِ، ولا أخذَ بثأرِهِ»[1]، وقال ابن كثير: «ولكنه لم يعزله –أي عبيد الله بن زياد– على ذلك، ولا عاقبه، ولا أرسل يعيب عليه ذلك، والله أعلم»[2]

وكان إنزال العقوبة على كلّ المتورطين في قتل الحسين ﵁ وأهل بيته، واجبًا على يزيد شرعًا، وتركُهُ لهذا الواجب كان من أعظم الأمور التي أثارت الفتن، قال ابن تيمية: «فإن قتل الحسين، وقتل عثمان قبله، كانا من أعظم أسباب الفتن في هذه الأمة، وقتلتهما من شرار الخلق عند الله. ولما قدم أهلهم ﵃ على يزيد بن معاوية أكرمهم وسيرهم إلى المدينة، وروي عنه أنه لعن ابن زياد على قتله. وقال: كنت أرضى من

---

(1) منهاج السنة (4/ 558)

(2) البداية والنهاية (9/ 204).

طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين، لكنه مع هذا لم يظهر منه إنكار قتله، والانتصار له، والأخذ بثأره، كان هو الواجب عليه، فصار أهل الحق يلومونه على تركه للواجب مضافًا إلى أمور أخرى، وأما خصومه فيزيدون عليه من الفرية أشياء»[1]

وهذا يُشير إلى أنّ استشهاد الحسين رضي الله عنه لم يسئ يزيد، قال ابن كثير: «وقع في زمانه -أي يزيد- من الحوادث الفظيعة، والأمور المستنكرة البشعة الشنيعة، فمن أنكرها: قتل الحسين بن علي بكربلاء، ولكن لم يكن ذلك من علم منه، **ولعلّه لم يرض به ولم يسؤه**، وذلك من الأمور المنكرة جدًا»[2]

انتقام الله تعالى من كل من شارك في قتل الحسين:

لقد انتقم الله سبحانه من كل من قتل أو شارك في قتل الحسين رضي الله عنه، كما رويَ عن الزهري رحمه الله أنه قال: «لم يبق ممن قتله إلا من عوقب في الدنيا إما بقتلٍ، أو عمى، أو سواد الوجه، أو زوال الملك في مدة يسيرة»[3].

قال رجاء العطاردي: «لا تسبوا أهل هذا البيت، أو أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه كان لنا جار من بلهجيم، قدم علينا من الكوفة، قال: ما ترون إلى هذا الفاسق بن الفاسق قتله الله- يعني: الحسين-، فرماه الله بكوكبين من السَّماء، فطُمس بصره، قال أبو رجاء: فأنا رأيته»[4].

---

(1) مجموع الفتاوى (3/ 412).

(2) البداية والنهاية (6/ 256).

(3) الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي (2/ 572)

(4) بغية الطلب لابن العديم (3/ 43) والشريعة للآجري (4/ 354) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: «رجاله رجال الصحيح».

ورَوَى عطاء بن مسلم عن ابن السدي عن أبيه قال: «كنا غِلمة نبيع البز في رُستاق كربلاء، فقال رجل من قتلة الحسين: ما أكذبكم يا أهل الكوفة! تزعمون أنه ما بقي أحد ممن شهد قتْلَةَ الحسين إلا وقد أماته الله ميْتة سوء، أو قتلة سوء، وإني لممن شهد قتلة الحسين، وما بها أكثر مالاً مني، قال: فنزعنا أيدينا عن الطعام، قال: وكان السراج يوقد، قال: فذهب ليطفئ السراج، قال: فذهب ليخرج الفتيلة بإصبعه، قال: فأخذت النار بإصبعه، قال: ومدها إلى فيه، فأخذت بلحيته، قال: فحضر ـ أو قال: فأحضر إلى الماء حتى ألقى نفسه فيه، قال: فرأيته يتوقّد فيه النار حتى صار حُممة»[1].

والأخبار في هذا الشأن كثيرة، وأغلبها صحيحة، قال ابن كثير: «وأما ما روي من الأحاديث والفتن التي أصابت من قتله ـ أي الحسين ـ فأكثرها صحيحٌ، فإنه قلّ من نجا من أولئك الذين قتلوه من آفة أو عاهة في الدنيا، فلم يخرج منها حتى أصيب بمرض، وأكثرهم أصابه الجنون»[2].

وروي عن الأعمش أنه قال: «بلغني أن رجلاً أحدث على قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما، فسلَّط الله تبارك وتعالى على أهل ذلك البيت الجنون، والجذام، والبرص، وكل داء وبلاء»[3].

سنان بن أنس: ذكروا أنّ الحجاج مرةً قال للنّاس: «من كان له بلاءٌ فليقم؟ فقام قوم فذكروا، وقام سنان بن أنس النّخعي فقال: أنا قاتل الحسين عليه السلام، فقال: بلاءٌ

---

(1) تاريخ دمشق؛ لابن عساكر (14/ 234) وفي إسناده ضعف.

(2) البداية والنهاية (8/ 202)

(3) تاريخ دمشق (14/ 244).

حسنٌ. ورجع إلى منزله فاعتقل لسانه، وذهب عقله، فكان يأكل ويحدث مكانه»[1] .

وروى أبو بكر بن عياش أن الكلبي قال: «رأيت سنان بن أوس الذي قتل الحسين عليه السلام يحدث في المسجد، شيخ كبير قد ذهب عقله»[2].

ملاحقة المختار لقتلة الحسين : وقد قام المختار بن أبي عبيد الثقفي، بتتبع بعض قتلة الحسين وأهل بيته ، فكانوا يأتون بهم حتى يوقفوا بين يديه، فيأمر بقتلهم على أنواع من القتلات، مما يناسب ما فعلوا[3].

فقتل شمر بن ذي الجوشن الضبابي، حيث فاجأه جمعٌ من رجال المختار، فبرز لهم شمر قبل أن يتمكَّن من لبس ثيابه وسلاحه، فطاعنهم قليلاً، ثم تمكّن منه أبو عمرة فقتله، وألقيت جثته للكلاب[4].

وقتل خولي بن يزيد الأصبحي، وأمر بحرقه، وهو الذي أخذ رأس الحسين[5].

وقُتل عمر بن سعد بن أبي وقاص، وقد كان أمير الجيش الذين قتلوا الحسين، وقُتل ابنه حفصاً .

وطلب كذلك سنان بن أنس الذي كان يدعي أنه قتل الحسين، فهدم داره.[6]

وقتل حكيم بن طفيل الطائي وكان رمى الحسين بسهم، وعمر بن صبح

---

(1) المنتخب من ذيل المذيل للطبري (1/ 25)، تاريخ مدينة دمشق (14/ 231).

(2) بغية الطلب لابن العديم (3/ 43)

(3) البداية والنهاية (8/ 272)

(4) الأعلام للزركلي (3/ 175).

(5) المصدر السابق(8/ 272)، وأسد الغابة لابن الأثير) 2/ 495)

(6) البداية والنهاية (8/ 272)، والمنتظم (2/ 223).

الصدائي[1].

قال ابن خلدون: «وتتبع المختار قتلة الحسين، ودُل على عبيد الله بن أسد الجهني، ومالك بن نسير الكندي، وحمل بن مالك المحاربي بالقادسية، فأحضرهم وقتلهم . ثم أحضر زياد بن مالك الضبعي، وعمران بن خالد العثري، وعبد الرحمن بن أبى حشكارة البجلي، وعبد الله بن قيس الخولاني، وكانوا نهبوا من الورس الذى كان مع الحسين، فقتلهم. وأحضر عبد الله أو عبد الرحمن بن طلحة، وعبد الله بن وهيب الهمداني ابن عم الأعشى فقتلهم، وأحضر عثمان بن خالد الجهني، وأبا أسماء بشر بن سميط القابسي، وكانا مشتركين في قتل عبد الرحمن بن عقيل وفى سلبه، فقتلهما وحرقهما بالنار»[2].

وما زال يتبع القوم ويقتلهم بفنون القتل، فإذا لم يجد الرجل هدم داره[3].

عبيد الله بن زياد : ولما فرغ المختار الثقفي من قتال أهل الكوفة آخر سنة ست وستين بعث إبراهيم بن الأشتر لقتال ابن زياد، فلما التقوا اقتتلوا قتالاً شديداً، حتى انهزم ابن زياد وقُتل، وقَتَل معه من أصحابه : حصين بن نمير ، وحزَّ رأس ابن زياد، وجيء به إلى المختار[4].

وقضى الله عز وجل أن يكون قتل عبيد الله بن زياد يوم عاشوراء سنة 67 هـ، وبعث

---

(1) تاريخ ابن خلدون (3/ 26).

(2) تاريخ ابن خلدون (3/ 25).

(3) المنتظم، لابن الجوزي (2/ 223)

(4) تاريخ دمشق (37/ 459)، وتاريخ بن خلدون (3/ 28-29).

المختار رأسه إلى عبد الله بن الزبير، ثمّ بعث به ابن الزبير إلى علي بن الحسين[1].

ولما جيء برأس عُبيد الله بن زياد وأصحابه نُضدت في المسجد في الرحبة، - يقول الراوي - : فانتهيت إليهم، وهم يقولون: قد جاءت قد جاءت، فإذا حيَّة قد جاءت تخلل الرؤوس حتى دخلت في منخري عبيد الله بن زياد، فمكثت هُنيهة، ثم خرجت فذهبت حتى تغيبت، ثم قالوا: قد جاءت قد جاءت، ففعلتْ ذلك مرتين أو ثلاثاً[2].

عبد الله بن أبي الحصين الأزدي : وكان قد نزل على شريعة ماءٍ في كربلاء ، وحال بين الحسين وبين الماء ، وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة أيام، فنادي: يا حسين أما تنظرُ إلى الماء ؟ والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشًا ! فقال الحسين رضي الله عنه : اللهم اقتُله عطشًا ! فمرض فيما بعدُ، فكان يشرب ماء القُلَّة ثم يقيء ! ثم يعود فيشربُ حتى يتغرغر ثم يقيء ! ثم يشرب فما يروي ! فما زال كذلك حتى مات [3].

أما **يزيد بن معاوية** : فقد مقته الناس، وثار عليه غير واحد، بل ثار عليه أهل المدينة النبوية، فأرسل جيشًا لقتالهم فكانت موقعة الحرَّة المعروفة، فلم يمهله الله تعالى ، وكانت دولته أقل من أربع سنين ! [انظر : سير أعلام النبلاء (4/ 36)] .

وقفاتٌ مع استشهاد الإمام الحسين رضي الله عنه :

الوقفة الأولى : لماذا خرج الحسين رضي الله عنه ؟

إنّ أعظم ما يمتلكه الإنسان بعد الإيمان هو: **الحريّة**، حرية أن يعبد الله تعالى ،

---

(1) الاستيعاب (1/ 397) .

(2) رواه الترمذي (3780) وصححه الألباني.

(3) الكامل في التاريخ لابن الأثير : (3/ 413) .

وحرية أن يأكل ويشرب، وحرية أن يتكلم، وحرية أن يختار الخليفة، وكان خروج الحسين ﷺ حفاظًا منه على مبدأ الحرية، ودفاعًا عن أصل الشورى، وإعطاء النّاس فرصة اختيار الخليفة عن طريق الشورى.

لقد حرص الحسين ﷺ على مبدأ الشورى، وأن يتولّى الأمة أصلحُها، وعندما ينقلب أمر الحكم من الشورى إلى الملك الوراثي، فلا يمكن للحسين أن يسكت، كيف وقد تمّ الإخلال بشرط الصلح الذي كان مع الحسن، وهو أن يكون الأمر من بعد معاوية شورى بين المسلمين، كما مرّ بنا.

الحسين ﷺ الذي عاش في عهد أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ والحسنِ ﷺ ، فإنَّه عاش في عصر الانفتاح السياسي، وعصر حرية الكلمة، عصر الشورى، وحرية التداول السياسي، والإنصات إلى كلمة الأمة ، وبالتالي .. لا يمكنه أن يسكت على إلغاء صوت الملايين هكذا !

ولم يكن عند الحسين ﷺ مانعٌ من أن يتولى الخلافة زيد أو عمرو، خالد أو محمد، لكن لابد أن يكون الخليفة صالحًا، ويختارَه الناس، ولذلك لم يحرّك الحسين ساكنًا في خلافة معاوية ﷺ ، فلم ينزع يدًا من طاعة؛ لأن معاوية صحابيٌّ جليلٌ صالحٌ، وقد اختاره المسلمون، أما ابنه يزيد فلم يكن كذلك، ولذلك لم يبايعه أصلاً.

إنّ شخصية الحسين ﷺ تشكّلت على معرفة الخطأ، ثمّ رفض هذا الخطأ، والناس قد يملك الكثير منهم القدرة على معرفة الخطأ، لكن من يملك القدرة على تغيير الخطأ، وعلى معالجة الخطأ، وعلى مقاومة الخطأ؟ هم العظماء، والحسين ﷺ من أولئك العظماء، بل هو سيد العظماء.

وقد تعلّم الحسين كل هذا من البيئة التي عاشها ﷺ ، في عهد أبي بكر وعمر

وعثمان وعلّي رضي الله عنهم ، حيث رأى النّماذج الباهرة، والتي تمثّل الإسلام الحقيقي، يقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر فيقول: «ما قولكم لو حدت عن الطريق كذا» فقام رجلٌ وقال: «إن حدت عن الطريق كذا، قلنا بسيوفنا هكذا» يقصد: قتلناك بالسيف.

فبماذا ردّ عليه عمر؟ قال: «الحمد لله أنّ في المسلمين من حدت كذا، لقال بالسيف هكذا».

وبعد هذا العصر الذَّهبي الذي عاشه الحسين وشاهده بأمّ عينيه، يأتي «يزيد» ليكون خليفةً للمسلمين ! ويُجبَر الناس على بيعته ! ولا تكون للناس كلمة ولا شورى ! (**متى استعبدتُمُ النَّاسَ وقد ولدتهُم أمهاتهم أحراراً**؟!) إنّها كلمة خالدة قالها عمر، وعاش في ظلّها الحسين، وأبى إلا أن يُقتل من أجلها !

لم يخرج الحسين مقاتلاً أبدًا، وإلا فهل يعقل أن يخرج الحسين للقتال بسبعين نفر!! ويخرج للقتال ومعه الصبيان والأطفال والنساء!! لا يعقل هذا أبدًا، لكنه ظنّ أنّ الناس الذين بايعوه صادقون، وأنهم له مطيعون، ومن أجله مضحّون، ولم يدر رضي الله عنه أنّ العظماء قلة، وأنّ الصادقين قلة، وأنّ المضحّين قلة، ولذلك لّما رأى انصرافهم عنه، طلب الرجوع إلى وطنه، أو الذهاب إلى ثغر، أو إتيان يزيد، لكن الظلمة لم يريدوه إلا أسيرًا ذليلاً، فقُتِل من أجل الحرية، وهو الذي خرج مطالبًا بالحرية، فقتل مدافعًا عن الحرية.

الوقفة الثانية: صيام يوم عاشوراء سنةٌ نبويّة:

إنّ صيام المسلمين ليوم العاشر من شهر محرّم لا علاقة له بمقتل الحسين رضي الله عنه أبداً، وإنما صيامنا ليوم عاشوراء لورود جمعٍ كبير من الأحاديث في فضل صيامه عند أهل السنة والشيعة، فهو يوم نجّى الله فيه موسى عليه السلام، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: « أنَّ

رسولَ الله ﷺ **صَامَ يَومَ عاشوراءَ وَأَمَرَ بِصِيامِهِ** »[1]، وقد سُئِلَ رسول الله ﷺ عَنْ صِيامِ يَوْمِ عَاشُوراءَ، فَقَالَ : « **يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ** »[2].

ولا مشاحّة في أن يجتمع الحزنُ على الحسين فيه والصوم معاً، فإن الصوم أقرب إلى الحزن من الإفطار، وكان النَّواصب ـ أعداء أهل البيت ـ يفرحون بهذا اليوم، ويتوسعون في المآكل والمشارب واللباس تشفياً بمصاب أهل البيت، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

« ثبت عن النبي ﷺ أنه صام يوم عاشوراء، وأمر بصيامه وقال ﷺ : «صومه يكفِّر سنة»، وقرَّر النبي ﷺ أن الله أنجى فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، وروى أنه كان فيه حوادث الأمم.. فمن كرامة الحسين أن الله جعل استشهاده فيه.

وقد يجمع الله في الوقت شخصاً أو نوعاً من النِّعمة التي توجب شكرًا، أو المحنة التي توجب صبرًا، كما أن سابع عشر شهر رمضان فيه كانت وقعة بدر، وفيه كان مقتل علي، وأبلغ من ذلك: أن يوم الاثنين في ربيع الأول مولد النبي ﷺ ، وفيه هجرته، وفيه وفاته.

والعبد المؤمن يبتلى بالحسنات التي تسره، والسيئات التي تسوءه في الوقت الواحد، ليكون صباراً شكوراً، فكيف إذا وقع مثل ذلك في وقتين متعددين من نوع

---

(1) متفقٌ عليه ، ومن كتب الشيعة : الاستبصار للطوسي (2/ 134)، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي (9/ 475).

(2) أخرجه مسلم (1162) ، ومن كتب الشيعة : تهذيب الأحكام للطوسي (4/ 299)، والاستبصار للطوسي(2/ 134)، تذكرة الفقهاء للحلي (6/ 193).

واحد ؟ »[1].

الوقفة الثالثة: فوز الحسين رضي الله عنه بالشّهادة :

إنّ من فضل الله على الحسين، أنّ الله منّ عليه بالشهادة، هذه الشهادة التي تمنّاها جدّ الحسين صلى الله عليه وآله وسلم : «والذي نفس محمد بيده، لوددت أن أغزو في سبيل الله فأُقتل، ثم أغزو فأُقتل، ثم أغزو فأُقتل» [2]. وإنها لأمنيةٌ، فيا لها من أمنية!

فتأمّلوا أيّها الأحباب كيف أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم رسّخ مفهوم الشهادة، وأحياه في القلوب، وبعثه في النفوس، حتى قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : «للشهيد عند الله ست خصال: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنْ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنْ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ»[3]، بل يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «ما أحد يدخل الجنة يحبُّ أن يرجع إلى الدنيا وأنّ له ما على الأرض من شيء، إلا الشهيد، فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيُقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة»[4].

خالدُ بن الوليد رضي الله عنه ، سيفُ الله المسلول، كم شارك في الغزوات والمعارك..

تسعون معركةً مرّت محجلةً   من بعد تسع بنان الفتح يحصيها
وخالدٌ في سبيل الله مشعلها   وخالدٌ في سبيل الله مذكيها

تمنّى خالد بن الوليد أن يموت في ساحة القتال، فإذا به يموت على الفراش،

---

(1) رسالة حقوق أهل البيت ص:22 .

(2) أخرجه مسلم (1876) .

(3) أخرجه الترمذي (1663) وصححه الألباني.

(4) أخرجه البخاري (2662) ومسلم (1877).

فالشهادة كم سعى لها المخلصون، وكم تمنّاها المجاهدون، فإذا بها تأتي ساعيةً إلى الحسين، ولئن فاتته الشهادة في بدرٍ وأحد لصغرهما، فلقد عوّضه الله بها شهادة في صحراء العراق.

إنّه إكرام الله تعالى للحسين رضي الله عنه ، لقد فاز بها وربّ الكعبة، وذلك من كرامته على الله، لا من هوانه عنده، ليرفع درجاته في الدنيا والآخرة،كما أكرم الله حمزة وجعفرًا عمر وعليًا رضي الله عنهم ، ولئن أصابنا الحزن على فراق الحسين، ففي الساعة ذاتها في قلوبنا فرحٌ لفوزه بجنة عدن، ثمن الشهادة، ليكونا سيّد شباب أهل الجنة، والموت في ساحة المعركة عزّة، والموت دون الحق شهامة، والموت دون النفس شجاعة.

إنّ المرأة الفلسطينية إذا بشّرت باستشهاد ولدها على أيدي اليهود الغاصبين سلوها ماذا تقول؟ سلوها ماذا تفعل؟ إنّها تطير فرحًا، وتوزّع الحلوى !

أيها الأحبة، أتظنّون أنّ الحسين انتهى أمره بمصرعه؟ كلا، بل إنّ الحياة الحقيقية بدأت من آن موته، وصدق الله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ١٦٩ ﴾[1].

يا الله .. ما هو حال الشهداء؟ قال الله: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١٧٠ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٧١ ﴾[2] نعم.. فرحين بما آتاهم الله من فضله، ألا تفرح يا أخي لفرح الحسين! فعلام اللطم والضرب والنّياحة؟!

---

(1) [آل عمران:169].

(2) [آل عمران:171].

لقد فازَ بجنةٍ عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، وهو الآن مع النبيّين والصّدّيقين والشهداء والصّالحين، وحسُن أولئك رفيقًا.

الحسين يريد أن يُكتب اسمه بدم، وهو يحبُّ البيع لا السلم، ومن يشابه أباه فما ظلم، **نعم** .. الحسين شهيد، على رغم أنف العنيد، ما قتل وما نهب، وما ظلم وما سلب، وقد أخطأ من قال: إنَّ الحسين قتل بسيف الشريعة، وهذا النقل من الأمور الشنيعة، بل قال شيخ الإسلام، علم الأعلام: «قُتل الحسين بسيف الظلم والعدوان، وقتله مصيبة يُؤجر عليها من استرجع من أهل الإيمان» ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾[1]، وإنا لرسوله لتابعون.

إن كان قتل الحسين من العدل، فقد أُلغي مدلول النقل والعقل، وما عاد في الدنيا ظلم، وما بقي في الأرض إثم، وإذا احتاج إثباتُ النهار إلى كلام، فقل: على الدنيا السلام!

ولو أن الحسين صاحبُ دنيا لما حزنّا، ولو أنه طالبُ جاه ما اشتكينا، ولكنه من البيت الطاهر، صاحب النسب الباهر، أمانته رصينة، وأخلاقه حصينة .

الوقفة الرابعة: قيمة الصَّبر عند المصائب :

المسلم إذا نزلت به المصيبة قال: « إنّا لله وإنّا إليه راجعون، اللهم آجرني في مصيبتي، واخلف لي خيرًا منها»، قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

---

(1) [البقرة:156].

ﭐلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧ ﴾[1].

إنّ مصابنا بفراق الحسين عظيمٌ، لكن لابد من الصبر، والذين ينوحون على الحسين، ويقولون: قُتل وهو مظلومٌ، نقول لهم: هذا أمرٌ معلوم، ولكن..كفاكم نياحة، فالنياحة في الدين غير مباحة، وقد قال جدّ الحسين محمد ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»[2].

ولئن كان قتل الحسين عظيمًا، وشرًا كبيرًا، فإنه للحسين نفسِه خيرٌ وإكرام، يقول ابن تيمية رحمه الله: «فإنه وأخوه سيدا شباب أهل الجنة، وكانا قد تربيا في عز الإسلام، لم ينالا من الهجرة والجهاد والصبر على الأذى في الله ما ناله أهل بيته، فأكرمهما الله تعالى بالشهادة تكميلًا لكرامتهما، ورفعًا لدرجاتهما»[3].

فيا أحبابي، النياحة مخالِفةٌ للمأمور، وفعلٌ للمحظور، ولو لم يُقتل الحُسين رضي الله عنه لمات، أفتنوحون عليه وقد فاز بعزّ الحياة، وسعادة الوفاة!

ولنعلم بأنّ استشهاد الحسين دليلٌ على عظمة الإسلام، لأن ثمن الجنّة رؤوسٌ تقطع، وأرواحٌ تدفع، ومهرها دمٌ يسيل، ورأسٌ في سبيل الله يميل.

لعَظَمة الشمس أصابها الخسوف، ولجلالة القمر رمي بالكسوف ! فمن يحب الحسين ابني علي، فليُطع الولي، هذا هو الحبُّ الجليّ ! وليفعل فعله في حفظ الدين،

---

(1) [البقرة:157].

(2) البخاري (1214) مسلم (148)، ومن كتب الشيعة : مستدرك الوسائل لميرزا نوري:(2/ 452)، وبحار الأنوار للمجلسي (79/ 93)، وجامع أحاديث الشيعة للبروجردي (3/ 489).

(3) مجموع فتاوى ابن تيمية (4/ 511-512).

والتمسّك بالكتاب المبين، وهدي سيد المرسلين، وكراهية الظالمين، وحب المساكين .
إنهم عظماؤنا .. ما بين مقتولٍ ومذبوحٍ، ومسجونٍ ومجروحٍ، ومسموم فارقته الروح، ومع ذلك فإنّ الحسين لا يمجَّد بضريح، ولا بالإسراف في المديح، لكننا نصدق في حبه، إذا حملنا ودَّه، واتبعنا جدّه .. ﷺ .

الخاتمة

إنَّ السيادة ريادة، وإذا لُبِست بلباس التقوى أصبحت سعادة، وقد أخبرنا النبي ﷺ أنَّ سبطيه الحسنَ والحسين : سيدا شباب أهل الجنة، وقد أثبتت الأيام ومرور الشهور والأعوام رسوخ صفة السيادة في الحسنين رضي الله عنهما ، وكانت خلقاً للحسنين رضي الله عنه ، وشعاراً لهما في كل مراحل حياتهما.

فالسيادة تشعشع أنوارها فيهما وما زالا في المهد، في حضن أمهما فاطمة سيدة نساء العالمين، والسيادة ظهرت معالمها في الحسنين منذ أن نطق الذي لا ينطق عن الهوى بأنهما سيدان، فجدهما سيد ولد آدم، وأمهما سيدة نساء عصرها، وسيدة نساء أهل الجنة، وهما سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما سيد كذلك، وسلالتهما الهاشمية أسياد قريش، فلقد حصلا على السيادة من جهة الواقع، ومن جهة النبوة، ومن جهة الأصل، ثم أتبع الله بهما نسلهما بأن شهد العالمون لهم بالسيادة.

همـا قرتـا عـين الرسـول وسـيدا	شـباب الـورى في جنـة وتخلُّـدِ
بـدا سـيدا ظهـر الرسـول قـد ارتقـى	فقَـرَّ ولم يعْجلـه وهـو بمسـجدِ

إنّ شخصيةَ الحسن والحسين رضي الله عنهما صفحةٌ مشرقةٌ في تاريخ المسلمين، فأين شباب اليوم عن الاهتداء بأقوال السِّبطين ؟ والتأسّي بفعال الرَّيحانتين ؟ والاقتداء بسيرة السَّيدين ؟ فسيرتهما من أقوى مصادر الإيمان والعاطفة، والفهم السليم لهذا الدِّين العظيم.

فإن قلت: لماذا؟ قلت لك: كان الإمامان الحسنان رضي الله عنهما ، عالمين بالكتاب والسنة، حريصَين على تحصيل العلم الشرعيّ، ولم يقفا عند ذلك ! بل نجد العلم عندهما قرينٌ بالعمل ، فكانا ذوي عبادةٍ خاشعة، وزهدٍ كبيرٍ في أمور الدنيا، كما كانا أهل كرمٍ وجودٍ

، وبذلٍ وسخاءٍ، فلا يميّزان بين غنيٍّ ولا فقير، ولا صغيرٍ ولا كبيرٍ، ولا قريبٍ ولا بعيدٍ، فقد كانت نفوسُهما مجبولةً على البذل والعطاء، والكرم والسخاء، في مرضاة الله تعالى، وكأن هذه الشخصية العظيمة لهما هي مراد الشاعر:

إني لتُطربنـي الخـلال كريمـة طـرب الغريـب بأوبـة وتـلاقِ

ويهـزُّني ذكـرُ المـروءة والنـدى بـين الشـمائل هِـزةَ المشـتاق

فـإذا رُزِقـتَ خليـقة محمـودة فقـد اصـطفاك مقسـم الأرزاق

فالنـاس هـذا حظـه مـال، وذا علـم وذاك مكـارم الأخـلاق

بل نجد الحسنين رضي الله عنهما مع شرف مقامهما، وعلوّ قدرهما ، ومكانتهما من رسول الله ﷺ ، لم يغترّا بوصف السيادة التي وصفهم بها جدّهما ﷺ ، فلم يقعدا عن العمل لدين الله كما هو حال أبناء الأمراء أو الوجهاء ، ولم يتكاسلا عن ميادين الجهاد في سبيل الله تعالى ، بل شاركا في جيوش الفتوح شرقًا وغربًا ، يبتغون رضا الله تعالى ، ونشر دين الإسلام ! لأنّهما أيقنا أنّ السيادة الحقيقة لا تكون إلا بالعلم والعمل ، والدَّعوة والبذل ، والجهاد والصّبر .

وزيادةً على هذا .. فقد امتازت شخصية الإمام الحسن رضي الله عنه ، أنّها كانت شخصيةً قياديةً فذّة، تتّصف بصفات القائد الرباني، فقد كان رضي الله عنه بعيدًا في نظره، مستوعبًا للأحداث الجارية حوله، ذا قدرةٍ على قيادة الجماهير، وصاحب عزيمةٍ قويةٍ في تنفيذِ الأهدافِ المرسومة، وقد اتضحت هذه الصفات العظيمة عند قيامه بمشروعه الإصلاحي العظيم. فنتعلَّم من سيرته : فقهَ الخلاف، والاستعلاءَ على حظوظ النفس، وتقديمَ مصلحةِ الأمة على مصلحةِ الفردِ والذّات .

وكان ميول السيد الحسن بن علي ﵁ إلى الصلح، لا لذلةٍ، ولا لقلةٍ، ولا لعلةٍ، وإنما لتوحيد الأمة، وحقن الدماء، ورغبة فيما عند الله، وقد قاد الحسن مشروعَ الإصلاح الذي تُوّج بوحدة الأمة، وظل زمام الموقف في جانبه وبيده، وكانت جبهته العسكرية قوية، فلله دره من سيد مسود، ضحى بخلافته من أجل العزة لأمته والسؤدد.

أقول : كم نرى كثيرًا ممّن يملكون تصورات ونظريات إصلاحية، ولكنهم يعجزون عن إسقاطها في دنيا الناس، أمّا إمامنا الحسن ﵁ ، فقد كان عظيمًا ! عظيمًا عندما خطّط لمشروعه الإصلاحي، وعظيمًا عندما سعى ، وعظيمًا عندما استطاع أن ينفّذه ، وعظيمًا عندما تحمّل كل العقبات ! فما أراد أن تراق بسببه قطرة دم، أو يُخدش من أجله مسلمٌ .

أما السيد الحسين ﵁ فقد ظهرت فيه معالم السيادة لما عارَضَ على من حَبَسَ أمر الأمة في فرد، ولم يعمل بالشورى ويترك الحرية لأهل الإسلام في اختيار خليفتهم، فأراد أن يعيد تلك السنة التي مضى عليها المهاجرون والأنصار أصحاب رسول الله ﷺ . وأعطانا درسًا في الثبات على المبدأ، والتضحية من أجل الحقّ، ومقارعة الظالمين، والصبر على الأذى في الدِّين .

وكل واحد من الحسنين ﵄ فيه من صفات الآخر ما إذا ذكرنا أحدهما دخل فيه الآخر .

وختامًا .. وداعًا أيها السبطان، أيها السيدان، أيتها الريحانتان، أودِّعكما والعبرات من عيني تسيل، وإني على فراقكما لمريضٌ عليل ! رحم الله السبطين، الحسن والحسين،

وعلياً وفاطمة في الخالدين . والحمد لله الحميد المجيد، حمداً يوافي نعمه ويكافي منه المزيد، وصلى الله على جدِّ الحسنين، محمد بن عبدالله ، سيّد الأولين والآخرين ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا بالغًا تامًا إلى يوم الدّين .